



جامعة الكوفة . كلية الآداب

قسم اللغة العربية

خطب سيدات البيت العلوي (عليهنّ السلام)
حتى نهاية القرن الأول الهجري
(دراسة موضوعيّة فنيّة)

رسالة قدّمتها إلى

مجلس كلية الآداب في جامعة الكوفة

زينب عبد الله كاظم الموسوي

وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

بإشراف

أ.م.د. رحيم خريبط عطية الساعدي

آب / ٢٠٠٨ م

شعبان / ١٤٢٩ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

Π إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ

وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ  ذُرِّيَّةً

بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ O

صَدَقَ اللَّهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ

الإهداء

إلى من حملن أعباء الرسالة ، وضربن أروع الأمثلة في الفداء والتضحية .

السيدة فاطمة الزهراء (ع)

السيدة زينب (ع)

السيدة أم كلثوم (ع)

السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين (ع)

ولاء وإجلالاً

- إلى من غذاني بحبّ العلم صغيرة .. وشجّعتني على قيادة طريقه كبيرة
وهو يتطلع إليّ صابراً .. ليجني ثمار غرسه.

أبي

عنوان الصبر .. ورمز التضحية

- إلى التي غدتني بحنانها .. وأغدقت عليّ بعبائها .. وتابعت مسيرة حياتي بدُعائها
لثبير في دربي شمعة .

أمي

عرفاناً لها ، وطلباً لمرضاة الله

- إلى الذي فارقتني قبل أن أضمدَ جراحه ، وأطفئَ جمرةَ فؤاده بدعوته ليوم مناقشتي كما
كان يرجو، ولكن أنى ذلك ويد الإرهاب طالته قبل أوانها كما طالَت الملايين من العراقيين
الأبرياء ، فرحل عني ليبقى في ذاكرتي حاضراً بروحه ، عساها بيوم المناقشة تلبي .

عمي - رحمه الله -

حباً .. ووفاءً

- إلى الحبيبة التي رحلت عني وأنا أطوي آخر صفحات بحثي هذا ، فتركنتني أعيش لوعة
الفراق بقلبي شجي ، وهجران الحنان والحضن الدافئ والصدقة الحقيقية .

جدتي - رحمه الله -

أرض العطاء .. وسماء الحنان

شكر و عرفان

أحمد الله على وافر نعمائه ، وأشكره شكر المعترف بمننه وآلائه ، وأصلي وأبارك على صفوة أنبيائه ، وعلى آله وصحبه وأوليائه .

وبعد :

فأمّا الشكر الذي أعارني رداءه ، وقلّدي جميل سنائه ، فتهيّأت أن ينتسب إلا إلى عادات فضله وأفضاله ، ومنهم أستاذي المُشرف الأستاذ المساعد الدكتور رحيم خريبط عطية الساعدي ، الذي بذل من الجُهد ما وسّعهُ في سبيل إتمام هذه الرسالة ، فلهُ مّتي وافر الشكر ، وإلى عمادة كلية الآداب أتقدّم بالشكر والثناء، وأتوجّه بالشكر إلى أساتذتي في قسم اللغة العربية وأخصّ منهم رئيس القسم الأستاذ الدكتور حاكم حبيب الكريطي و الأستاذ المساعد الدكتور خليل عبد السادة و الأستاذ المساعد الدكتور حافظ كوزي والأستاذ المساعد الدكتور علي كاطع " أساتذتي في مرحلة التحضيرية " ، ولا يفوتني أن أشكر الأستاذ المساعد الدكتور محمد زوين ، لما أسداه من نصّح وتوجيه وتثبيت لقناعات في بدء مشوار الكتابة ، وبخالص الشُّكر أتقدّم إلى الأستاذ خالد كاظم الحميداوي لما قدّمه من عون ومساعدة ، وإذ أشكرهُ فإنني لا أنسى فضله ، وكان للشيخ الدكتور عبد المجيد فرج الله فضلٌ كبيرٌ ، إذ منحني كثيراً من وقته ، وأرشدني إلى جملة من المصادر والمراجع ، وإلى الأستاذ الفاضل عدنان عبد الخفاجي أسمى آيات الشُّكر، لما أسهم به من تزويدي بمجموعة كبيرة من المصادر ، وبشكري الوافر أتقدم إلى الدكتورة أميرة الجابري ، وإلى من لم يدّخر وسعاً في جمع المصادر معي أتقدّم بالشكر والامتنان له (والدي) ، وشكري الخالص لسماحة السيد عبد الكريم الجزائري لما قدّمه من مساعدة ، كما أشكر حسن فرج الله الذي تجشّم عناء الطباعة وما تبعها من تعديلات وإضافات ، ولا أنسى أن أتقدّم بالشكر والعرفان إلى زملائي في المرحلة التحضيرية ، وأخصّ منهم هادي سعدون هُتون .

وأتوجّه بجميل الثناء إلى العاملين في مكتبة الإمام الحسن A ، والمكتبة الأدبية المُختصة ، وإلى العاملات - في مكتبة قسم اللغة العربية ومكتبة الكلية - في كلية التربية للبنات /في جامعة الكوفة أتوجه بالشكر ، وأخصّ منهنّ العلوية الفاضلة نوال هاشم الحسيني والسيدة ليلى حداوي .

وأخيراً أتقدّم بوافر الشكر لكلّ من أسهم في إنجاز هذا العمل وإنجاحه وفاتني ذكره .

الباحثة

المحتويات

٣-١	المقدمة
٢٦ - ٤	التمهيد
٤٥ - ٢٧	الفصل الأول : مضامين الخطب
٢٨	مدخل
٣٤ - ٢٩	المبحث الأول : المضامين الدينيّة
٣٩ - ٣٥	المبحث الثاني : المضامين السياسيّة
٤٥ - ٤٠	المبحث الثالث : المضامين الاجتماعيّة
٨٣ - ٤٦	الفصل الثاني : اللغة
٥٦ - ٤٧	المبحث الأول : اللفظ وأثره في السياق
٦٤ - ٥٧	المبحث الثاني : التراكيب
٨٣ - ٦٥	المبحث الثالث : أساليب بناء العبارة وأداء المعنى في الخطب
١٢١ - ٨٤	الفصل الثالث : البناء الفني للخطب
٩٣ - ٨٥	المبحث الأول : بناء الخطبة
١٠٥ - ٩٤	المبحث الثاني : بناء الصورة البيانيّة
١٢١ - ١٠٦	المبحث الثالث : البنية الإيقاعيّة للخطب
١٢٤ - ١٢٢	الخاتمة ونتائج البحث
١٦٠ - ١٢٥	المُلحق "تحقيق نصوص خطب السيدات وتوثيقها "
١٣٩ - ١٢٦	خطبة السيدة فاطمة B لما منعها أبو بكر فدكاً
١٤٣ - ١٤٠	خطبة السيدة فاطمة B في نساء المهاجرين والأنصار
١٤٦ - ١٤٤	خطبة السيدة زينب B بحضرة أهل الكوفة
١٥١ - ١٤٧	خطبة السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين B بعد أن ردّت من كربلاء

١٥٣ - ١٥٢

١٦٠ - ١٥٤

١٧٢ - ١٦١

A - B

حُطبة السيدة أم كلثوم **B** في الكوفة

حُطبة السيدة زينب **B** في الشام

المصادر والمراجع

الخلاصة باللغة الإنكليزية

المُقدِّمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله الذي رفع فلك الهواء على عُصر الترابِ والماء ، والصَّلَاة والسلام على خير خلقه ، وأنجب بريته ، وصفوة رُسُلِهِ الذي بعثه هادياً لعباده ، ومناراً في بلاده ، والمُنْتَخَب لبريته ، محمد وآله الطيبين الأبرار .

وبعد :

كان لرغبتى الشديدة في دراسة خطب السيدة الزهراء B أثر كبير في اختيار موضوع هذا البحث الموسوم بـ (خُطب سيّدات البيت العلوي حتّى نهاية القرن الأوّل الهجري - دراسة موضوعيّة فنيّة -) ، ليكون أكثر شمولاً واتساعاً من جهة ، ولأنّها لم تحظ بدراسةٍ تفصيليّةٍ حقّها بما يتناسب وقيمتها الأدبيّة من جهة أخرى ، وإذ أقدمُ تلك الخطب للدراسة فإنّي أقدمُ رائدات الخطابة من القرن الأوّل الهجري ، وقد درست بلاغة خطبهنّ ، وبيّنت ما تعنيه مضامينها من خصائص وسمات ، واتّبع في رحلة بحثي منهجاً يتّكئ على جملة من المرتكزات التي شكّلت محاور مهمّة في ظهور فنّ نثري عند نساء أهل البيت Δ يمتاز عن سابقه بمزايا عدّة أهمّها المواءمة بينه وبين الحياة الجديدة بكلّ ما طرأ عليها من مستجدّات على المستوى العقيدي والسياسي والفكري والاجتماعي .

ولابدّ من الإشارة إلى أنّ ثمة دراسات سابقة لها علاقة بهذا الموضوع ، لكنّها لم تكن معنيّة ببحث مكامن هذه الخطب ، بل تناولتها بإشارات ، ومن هذه الدّراسات: (نثر المرأة من الجاهلية إلى نهاية العصر الأموي (دراسة وجمع وتحقيق) : د. عبد الحي بن علي الحوسني ، أدب النساء في الجاهلية والإسلام : د. محمد بدر معدي ، أدب المرأة منذ ظهور الإسلام حتّى نهاية القرن الأوّل الهجري : عتاب بسيم السّوداني (رسالة ماجستير) ، التّصوير الفنّي في خطب المسيرة الحسينيّة - من مكّة إلى المدينة - : هادي سعدون (رسالة ماجستير) ، الخطابة في العصر الأموي (دراسة موضوعيّة فنيّة) : جاسم حسين التّميمي (رسالة ماجستير) .

فضلاً على الدّراسات التي تناولت نتائج النساء في ذلك القرن .

ومع ذلك فإنّ هذه الدراسة ما هي إلا امتدادٌ لتلك الدّراسات ، لكنّها تميّزت بتركيزها على تحليل نُصوص هذه الخطب واستقراء التأثيرات الدينيّة والسياسيّة والاجتماعيّة وانعكاسها

عليها ، وكان لأبد لي من الرجوع لأجل ذلك إلى عدد من المصادر والمراجع الأدبية منها والتأريخية التي تناولت خطب السيدات وترجمة سيرتهن الذاتية وما رافق ذلك من ظروف وأحداث ، وقد أغنتني - على اختلافها وتنوعها - في تحقيق النصوص وتوثيقها ثم تحليلها ، ومن هذه المصادر الأدبية :

(البيان والتبيين للجاحظ (ت ٢٥٥هـ) ، بلاغات النساء لابن طيفور (ت ٢٨٠هـ)) .

ومن المصادر الحديثة التي أعاننتني :

(جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة لأحمد زكي صفوت ، فن الخطابة لإبراهيم البدوي ، فن الخطابة للدكتور أحمد محمد الحوفي ، أدب النساء في الجاهلية والإسلام للدكتور محمد بدر معبدي) .

وأما المصادر التاريخية فتمثلت بـ :

تاريخ الطبري (ت ٣١٠هـ) ، السقيفة وفدك لأبي بكر الجوهري (ت ٣٢٣هـ) ، الاحتجاج للطبرسي (ت ٥٢٠هـ) ، مقتل الإمام الحسين للخوارزمي (ت ٥٦٨هـ) .

ومن الطبيعي أن تعترض البحث كثير من المعوقات ، لعل في مقدمتها توثيق نصوص اختلاف الرواة في نقلها ، وتفرقت على اختلاف ألفاظها في كتب الأدب والتاريخ ، وطول مدة جمعها التي حدها طول مدة البحث ، ولكني بفضل الله استطعت أن أخط منهجاً لتجيب وتجاوز مشاكل عديدة ، وقد قامت دراستي على ثلاثة فصول سبقت بمقدمة وتمهيد ، وانتهت بخاتمة تتبعها ملحق توثيقي للنصوص الخطب .

وبما أن موضوع البحث متعلق بفن الخطابة ، ومختص بخطب سيدات البيت العلوي ، لذا تضمن التمهيد :

- أثر المرأة في رقي الخطابة العربية .

- ترجمة أعلام خطيبات البيت العلوي .

- درست في الفصل الأول مضامين الخطب بثلاثة مباحث ؛ تناولت في أولها المضامين

الدينية ، وفي الثاني المضامين السياسية ، أما الثالث فكان عن المضامين الاجتماعية .

- أما الفصل الثاني فقد تضمن دراسة (للغة نصوص هذه الخطب) في ثلاثة مباحث ؛

الأول منها في الألفاظ ، والثاني في التراكيب ، في حين عني الثالث بدراسة أساليب بناء العبارة وأداء المعنى في الخطب .

- ودرس الفصل الثالث البناء الفني لهذه الخطب في مباحث ثلاثة أيضاً ؛ ركز الأول منها

على بناء الخطبة ، وتناول الثاني بناء الصورة البيانية ، وعني الأخير بالبنية الإيقاعية لخطب السيدات .

وبعد ذلك خُتِمت الرِّسالة بالاستنتاجات المُتأتية من رحلتي الطويلة في هذا البحث ، الذي توخَّيت فيه الوضوح والإبانة والإخلاص في إجلاء سمات وخصائص ما درست .

وبما أنَّ الشُّكر شاهدُ الإخلاص ، وعنوانُ الاختصاص ، فعندي منه ما يفي بحقَّ من بذل قصارى جهدهُ في متابعة بحثي مُذ كان فكرةً وحتَّى غداً حقيقةً ، وأتحفني بمُلاحظاته القيِّمة أستاذي المُشرف الأستاذ المساعد الدكتور رحيم خريبط عطية الساعدي .

وأخيراً فإنِّي لا أدعي كمال هذا البحث ، فهذا ما لا سبيل إليه لأنَّ الكمال لله وحده ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الباحثة

التمهيد

أولاً : أثر المرأة في رُقي الخطابة العربية

لا يخفى أن للمرأة العربية خصوصية تختلف عن غيرها ، إذ ((كان لها حظ في المجتمع العربي القديم أفضل بكثير من حظها في مجتمعات الفرس أو الرومان أو اليونان)) (١) ، وبذلك استطاعت أن تجعل لوجودها وحركتها تميزاً فاق ما كانت عليه المرأة في مجتمعات وأمم أخرى.

ففي الهند كان يُنظر لها بأنها ((دورة للروح في حياة شريعة)) (٢) ، وعند الإغريق والرومان كانت ((تابعة للرجل ومجرد ظل له ، فهو يُسيطر عليها فلا تملك من أمرها شيئاً وتُعطيه هذه السيطرة كافة الحقوق عليها حتى حق الحياة والموت وحق بيعها ببيع الرقيق)) (٣).

وأما عند الفرس فقد كانت محتقرة الجانب في البيت وخارجه و ((كان من حق الرجل أن يحكم على النساء بالموت إذا غضب)) (٤) ، وفي الديانة المسيحية كان يُنظر لها على أنها فخ نصبه الشيطان للرجل (٥) .

ولذا فإن التاريخ لم يأت على ((ذكر أسماء نساء اشتهرن بالخطابة في العهد اليوناني أو الروماني ، ولعل ذلك يرجع إلى أحد أمرين : إما لأن المرأة عموماً لم يكن لها عندهم ذلك الشأن الذي يؤهلها للكلام والخطابة في المجتمعات العامة وبين الناس كي تُعرف وتُشتهر ، وإما لأنه لم تبرع من النساء واحدة لتستحق نقل اسمها في كتب التاريخ)) (٦) .

ومهما كانت الأسباب ، فالنتيجة هي أن المرأة اليونانية والرومانية لم تكن تعرف فن الخطابة ، ولو فرضنا أن هناك خطيبة واحدة أو اثنتين فإن ذلك لا يُشكل ظاهرة في خطابة المرأة في اليونان أو الرومان ، ويؤيد ذلك ما ورد في كتاب الخطب والمواعظ في أثناء الحديث

(١) المرأة في الشعر الجاهلي : ١٨ - ٦٥ - ٥٤٩ - ٥٥٤ .

(٢) المرجع في الحضارة العربية الإسلامية : ٤١٠ .

(٣) عصر النبوة : ٢٠١ .

(٤) المرأة وحقوق الإنسان : ٢١ .

(٥) ظ : المرجع في الحضارة العربية الإسلامية : ٤١٠ .

(٦) فن الخطابة : إبراهيم البدوي : ٥٦ .

على خطابة المرأة الغربية : ((ولن نُلقي القول هنا جُزافاً بغير دليل ، فلو رجعت إلى ما دُوّن لنا من خطب اليونان والرومان لم تكد تظفر باسم أنثى واحدة بين ذلك العدد العديد من الرجال ، ولو رجعت إلى أيّ كتاب في تاريخ الأدب الفرنسي من نشأته المعروفة حتّى عصرنا هذا فلن تظفر باسم امرأة واحدة بين عشرات الأسماء من الرجال الخطباء من عهد "بودان" و"سان فرانسوا دي سال" إلى عهد "جون فافر" و"لاكورديو" و"غامبتا" و"ديدون" .. ولن ترجع من البحث بجدوى حين تُفَتِّش في تاريخ الأدب الإنكليزي عن خطيبة واحدة إلا ما يُصادفك من أسماء بعض المُتحدّثات أو المُتكلّمات في العصر الحديث)) (١) .

وأما عند العرب فإن للمرأة من الشأن والقدر ما أتاح لها فرصة المُشاركة في أكثر من مفصل من مفاصل الحياة ، وكان ممّا تركته من ثراثٍ أدبي أثرى كُتُبَ الأدب ، ولم تغفله كُتُبُ التاريخ .

ولذا احتفظ أدبها بأهم معالمه ومزاياه وخصائصه واتجاهاته - على الرغم من تنوّع فنونه - وما ذلك إلا لامتلاك المرأة قدرات خاصّة وحيويّة ، تمثّلت فيما منحها الله من الرّقة والعذوبة ، والاستجابة السريعة للمؤثرات العاطفيّة والوجدانيّة ، لذا جاء أدبها معبراً عن معنى من معاني الحياة ، ويجلو صورة من صورها بأسلوب له عذوبة أخرى ، وألفاظ دالة ، فآثار بمعانيه المُتلقيين ونال إعجابهم .

وما يعيننا من أدبها هنا فنّ الخطابة الذي يُعدّ من ((فنون النثر ، ولون من ألوانه ، وهوفن مُخاطبة الجمهور ، الذي يعتمد على الإقناع والاستمالة والتأثير ، فهي كلام بليغ في جمع من الناس لإقناعهم برأي ، أو استمالتهم إلى مبدأ ، أو توجيههم إلى ما فيه الخير لهم في دنيا أو آخرة)) (٢) .

إذ تركت لنا المرأة نتاجاً لا يُتغاضى عنه ، وهذا بديهي ، كون الخطابة ضرورة من ضرورات مجتمعاتهم .

لذا نجد لها نُصوصاً من الخطب استطاعت أن تشغل مساحة لا يُستهان بها إلى جانب خطب الرجال من العرب منذ عصر ما قبل الإسلام وما بعده .

والذي يهمنّا هو أثر المرأة في تطوّر الخطابة العربيّة ، فكما هو واضح أنّ للخطابة العربيّة مكانتها الخاصّة في النفوس ، لما تؤدّيه من أثر فعّال عند المتلقين ، مما أدّى إلى ظهور

(١) الخطب والمواظ : ٣٦ .

(٢) دراسات في الأدب الجاهلي وصدر الإسلام : ١٣٧ ، ظ : النثر الفني بين العصر الجاهلي وصدر الإسلام : ٢٦ ، ظ : في الأدب الجاهلي دراسة ونقد : ١٧٢ ، ظ : الأدب العربي في العصر الجاهلي وصدر الإسلام : ١٨٥ ، ظ : الوسيط في الأدب العربي وتاريخه : ٢٣ ، ظ : التعريف في الأدب العربي : ١ / ٤٤ ، ظ : قصّة الأدب في الحجاز في العصر الجاهلي : ٢٩٩ .

جُملة من الخطباء في كثير من القبائل ، ممّا ساعد على تطوّر ها ، وإعطائها حظاً من القوّة والنهضة على سائر الفنون النثرية الأخرى .

ولذا باتت الخطابة من ((لوازم سادتهم الذين يتكلمون باسمهم في المواسم والمحافل العظام)) (١) ، ولذلك نجد نصوصاً من هذا الفن لخطباء وخطيبات من الجاهلية (٢) ومنهنّ : الشعثاء (٣) وطريفة الخير (٤) والزبراء (٥) والكاهنة السعدية (٦) وغُفيرا (٧) وأمامة بنت الحارث (٨) والعجفاء بنت علقمة (٩) وهند بنت الخس الإيادية (١٠) .

والمتملّ في خطب نساء العصر الجاهلي يجد نفسه أمام تطوّر ملحوظ لهذا الفن لدى المرأة ، إذ ((كانت نساء القبائل العربية فصيححات الألسن يتكلمن العربية بطلاقة وسلاسة لفتت أنظار السامعين في عدّة مواقف)) (١١) .

-
- (١) الفن ومذاهبه في النثر العربي : ٢٨ .
 (٢) للاطلاع ظ : البيان والتبيين : ١ / ١٤٠ ، وما بعدها ، العقد الفريد : ٣ / ٣٠٧ ، وما بعدها ، الأمالي للقاللي : ٢ / ٢٢ وما بعدها .
 (٣) وهي ربيعة بنتي مالك بن غفيلة ذي النحيين ، ظ : الأغاني : ٦ / ٣٧٠ ، ١٣ / ٣٧٠ - ٣٧١ ، ١٥ / ٣١٣ - ٣٢٣ ، ١٧ / ١٧٣ ، ٢٠ / ٣٦١ ، البيان والتبيين : ١ / ١٨٨ ، جمهرة خطب العرب : ١ / ١٠٣ ، فصل المقال في شرح كتاب الأمثال : ١٩٤ ، مجمع الأمثال : ١ / ١٣٧ .
 (٤) أوهي خطيبة تتكهن بسيل العرم وخراب سد مأرب وكان زوجها عمرو بن عامر مزيقياء أول من خرج من اليمن في أول تمزيقهم وكان سبب خروجه أن زوجته طريفة الخير قد رأت في منامها أن سحابة غشيت أرضهم فأرعدت وأبرقت ثم صعقت فأحرقت كل من وقعت عليه ففزع طريفة لذلك فزعاً شديداً وأتت الملك عمرأ وهي تقول ما رأيت اليوم أزال عني النوم رأيت غيماً رعد وبرق طويلاً ثم صعق فما وقع على شيء إلا احترق فلما رأى ما داخلها من الفزع سكنها ، ظ : جمهرة خطب العرب : ١ / ١٠٥ .
 (٥) وهي أمة من مولدات العرب تابعة لعجوز من بني رنام من قضاة تسمى خويلة ، خطب العرب : ١ / ١١٠ - ١١١ .
 (٦) وهي الخطيبة الكاهنة التي تنافرت إليها العجفاء بنت علقمة السعدية وصويحاتها من قومها وذلك عندما خرجن فاتعدن بروضة يتحدثن فيها فوافين بها ليلاً في قمر زاهر وليلة طلقة ساكنة وروضة معشبة خصبة ، وكانت الكاهنة السعدية معهن في الحي ، ظ : جمهرة خطب العرب : ١ / ١١٤ .
 (٧) وهي الخطيبة التي عبرت رؤيا الملك مرثد بن عبد كلال بعد أن عجز عن تفسيرها عدد كبير من الكواهن والكهان وعلى أثرها بعث إليها بمانة ناقة كوماء ، ظ : جمهرة خطب العرب : ١ / ١١٥ - ١١٨ .
 (٨) وهي بنت الحارث بن عوف قيل هي البرصاء والدّة شبيب بن البرصاء وقيل اسمها قرصافة كان أبوها أعرابيا جافيا سيد قومه تزوجها ابن عمها يزيد بن جمرة بن عوف ابن أبي حارثة فولدت له الشاعر شبيب بن يزيد وهو المعروف بابن البرصاء ، ظ : الإصابة في تمييز الصحابة : ٧ / ٤٩٩ ، جمهرة خطب العرب : ١ / ١٤٢ - ١٤٥ .
 (٩) وهي بنت علقمة السعدية من بني سعد وكان علقمة جباناً بخيلاً وذات يوم خرجت العجفاء مع أتراب لها إلى متحدث لهن ليلاً فذكرت كل واحدة إياها وافتخرت به فقالت العجفاء (كل فتاة بأبيها معجبة) ثم ذكرت أباهما بخير رغم جنبه وبخله فأصبح قولها مثلاً يضرب في إعجاب الرجل برهطه وإن كانوا غير أهل لذلك ، ظ : المستقصى في أمثال العرب : ٢ / ٢٢٨ ، جمهرة خطب العرب : ١ / ١١٤ ، شرح كتاب الأمثال : ١ / ٢١٨ ، كتاب جمهرة الأمثال : ٢ / ١٤٢ ، مجمع الأمثال : ٢ / ١٣٤ .
 (١٠) هي الخطيبة بنت الخس بن جابر بن قريظ الإيادية التي خطبها ثلاثة نفر من قومها وارتضت أنسابهم وجمالهم عمدت إلى سبر عقولهم ، ظ : المزهري في علوم اللغة : ٢ / ٤٥٧ ، جمهرة خطب العرب : ١ / ٦٨ - ٣ / ٣١٧ .
 (١١) عيون الأخبار : ٨ / ٤ .

ومثال ذلك ما جاء في خطبة زبراء الكاهنة وهي تُنذر قومها من بني رثام من قضاة :
 ((واللّوح الخافق (١) ، واللّيل الغاسق (٢) ، والصباح الشارق ، والنجم الطارق (٣) ، والمُزن
 الوادق (٤) ، إن شَجَرَ الوادي ليأدو خُتلاً (٥) ، ويُحرقُ أنياباً عُصلاً (٦) ، وإن صخرَ الطودِ
 لينذرُ ثكلاً (٧) ، لا تجدون عنه مَعلاً (٨) ، فوافقت قوماً أشارى (٩) سُكارى ... مهلاً يا بني
 الأعزّة ، والله إني لأشُمُّ ذفر (١٠) الرجال تحت الحديد)) (١١) .

نلاحظ أنّ هذه الخطبة وإن كانت منتمية إلى سجع الكهّان ، لكنها تحوي عناصر الخطبة
 المؤثرة ، حتّى ذكرت تحت عنوان خطب الكاهنات ، ونجد فيها أثراً واضحاً للمرأة في قومها ،
 فهم يستمعون لكلامها ، فتارةً تُحذّرهم ، وأخرى تُنذرهم ، كما نلاحظ مدى تأثيرها الاجتماعي
 فيهم ، ونجد مثلاً آخر في خطبة سلمى الهمدانية في حريم المُراي :

((والخفو والوميض (١٢) ، والشفق كالإحريض (١٣) ، والقلة والحضيض (١٤) ، إن
 حريماً لمنيع الخير (١٥) ، سيّد مزيّز (١٦) ، ذو معقل حريز ، غير أنّي أرى الحِمّة (١٧) ستظفر
 منه بعثرة ، بطيئة الجبرة ، فاغر ولا تُنكع (١٨))) (١٩) .

- (١) اللّوح بالضم الهواء بين السماء والأرض ، لسان العرب : مادة (لوح) ٥٨٤ / ٢ .
 (٢) غسق : غسق الليل ظلّمته وقيل أول ظلّمته ، لسان العرب : مادة (غسق) ٢٨٨ / ١٠ .
 (٣) الشارق : من شرّقت الشمس ، لسان العرب : مادة (شرق) ١٧٣ / ١٠ ، والطّارق قيل هو النجم وسمي الآتي بالليل طارقاً
 لحاجته إلى ذق الباب ، لسان العرب : مادة (طرق) ٢١٥ / ١٠ .
 (٤) المُزن : السحاب عامة وقيل السحاب ذو الماء وأحدثه مُزنّة وقيل المُزنّة السحابة البيضاء والجمع مُزن ، لسان العرب : مادة (مزن)
 ٤٠٦ / ١٣ ، والودق : المطر ، لسان العرب : مادة (ودق) ٣٢٧ / ١٠ .
 (٥) أدوت له أدواً إذا ختلته ، لسان العرب : مادة (أدا) ٢٤ / ١٤ ، وختلاً : من ختلته يخلّته خُتلاً وختلاً وختلاً وخاتله خدعه ، لسان
 العرب : مادة (ختل) ١٩٩ / ١١ .
 (٦) تُحرقُ أنيابها بعضها على بعض أي تحكّها ، لسان العرب : مادة (حرق) ٤١ / ١٠ ، والعَصَلُ في الناب اغوجاجه ، لسان
 العرب : مادة (عصل) ٤٤٩ / ١١ .
 (٧) الطود : الجبل العظيم ، لسان العرب : مادة (طود) ٢٧١ / ٣ ج ، والثكل : الموت والهلاك ، لسان العرب : مادة (ثكل) ١١ /
 ٨٨ .
 (٨) المَعْلُ سَيْرُ النَّجاء والمَعْلُ السرعة ، لسان العرب : مادة (معل) ٦٢٥ / ١١ .
 (٩) الأشترُ المرح ، لسان العرب : مادة (أشتر) ٢٠ / ٤ .
 (١٠) السُكرانُ خلاف الصّاحي والسُكرُ نقيض الصّحو ، لسان العرب : مادة (سكر) ٣٧٢ / ٤ ، الدّفَرُ شِدّةُ ذكاء الريح من طيب أو
 نثن ، لسان العرب : مادة (ذفر) ٣٠٦ / ٤ .
 (١١) جمهرة خطب العرب : ١١١ / ١ ، الأمالي : ١٢٦ / ١ .
 (١٢) الخفو : خفا البرق خفواً وخفواً لمع ، لسان العرب : مادة (خفا) ٢٣٤ / ١ ، والوميض : من لمعان البرق وكلّ شيء صافي
 ، لسان العرب : مادة (ومض) ٢٥٢ / ٧ .
 (١٣) الشّفقُ بقية ضوء الشمس وحرثها في أول الليل والشّفقُ النهار ، لسان العرب : مادة (شفق) ١٧٩ / ١٠ ، والإحريض هو
 الغصن وقيل هو الساقط الذي لا خير فيه ، لسان العرب : مادة (حرض) ١٣٣ / ٧ .
 (١٤) القلة أعلى الجبل وقلة كل شيء أعلاه ، لسان العرب : مادة (قلة) ٥٦٣ / ١١ ، والحضيضُ القرار من الأرض عند مُنقطع
 الجبل ، لسان العرب : مادة (حضض) ج ١٣٦ / ٧ .
 (١٥) المتنبع أيضاً الممتنع والمنوع الذي منع غيره ، لسان العرب : مادة (منع) ج ٣٤٣ / ٨ .
 (١٦) مزيّز وأمر أي فاضل ، لسان العرب : مادة (مزز) ج ٣٠٧ / ٥ .
 (١٧) تحرّزت أي توقّيته وأحرّز الشيء فهو مُحَرّزٌ وحريزٌ ، لسان العرب : مادة (حرز) ٣٣٣ / ٥ ، وحمه أي قدره وموئته وحَمَ
 حمةً قصده ، لسان العرب : مادة (حمم) ج ١٥٠ / ١٢ .
 (١٨) ظفّره ظفراً مثل لحقّ به ولحقّه فهو ظفّرٌ ، لسان العرب : مادة (ظفر) ٥١٧ / ٤ ، والعثرة الزلّة ويقال عثر به فرسه فسقط ،
 لسان العرب : مادة (عثر) ٥٣٩ / ٤ ، والجبرة من جبر العظم بعد كسره ، لسان العرب : مادة (جبر) ١١٣ / ٤ ، والفاغرُ
 دويبة أبرى الأنف يلكع الناس صفة غالبية كالغراب ودويبة لا تزال فاغرةً فاها ، لسان العرب : مادة (فغر) ٥٩ / ٥ ، ومعنى تُنكع
 أي لاتمنع ، لسان العرب : مادة (نكع) ج ٣٦٣ / ٨ .
 (١٩) الأمالي ، ١٢٣ / ٢ ، جمهرة خطب العرب : ١١٣ / ١ .

فعلى أثرها استرشد عمرو بن براقه ، فقد بلغ من تأثير رأيها فيه أنه أغار على حريم المرادي وقاتله واستاق كل شيء له ، وكان كل شيء يسير على وفق توجيهات الخطيبة وإرشاداتها ، وهذا يدل على المكانة التي حققتها المرأة في عصر الجاهلية ، حتى أخذ بعض الملوك ينزلون عند رأيها ومشورتها ، كما بدا واضحاً من استرشاد عمرو بن براقه بالخطيبة ، كل ذلك حداً بالمرأة أن تأخذ مكانتها ، وتطور إمكاناتها وقدراتها ومنها الأدبية ، وهذا ما نلاحظه في خطبهن^(١) التي كان لبعضها قيمته الأدبية والتاريخية والعلمية .

وهذه القيم التي توافرت عليها خطب بعض نساء العصر الجاهلي تدحض الرأي القائل : بأنه ((على الرغم من كثرة الخطباء في الجاهلية ، لم نرَ خطيباً من النساء))^(٢) ، إذ إن هذا الرأي يُعَوّل على التقاليد الاجتماعية والأعراف القبليّة على أنها لم تكن لتسمح للمرأة أن تخرج وسط الرجال وتخطب فيهم ، فالقتال ورئاسة القبيلة وفض المنازعات كانت في أيديهم .

وهذا القول يمكن المناقشة فيه ، فالمرأة في عصر الجاهلية لم تكن بعيدة عن واقع الحياة التي يعيشها الرجل ، بل كانت في خضمّها ، إذ شاركته في مجالات عدّة ، ومنها الأدبية وخاصة الخطابة كونها تُعبّر عن حاجاتهم المختلفة ، فقد اشترك فيها الرجل والمرأة على حدّ سواء ، ولذا خلقت لنا هذه المرحلة نصوصاً ذات أهمية ، إذ إنها وقفت وخطبت ، ممّا أدّى إلى ظهور عدد من الخطيبات المفوّهات كما ذكرنا ، و ((ما ذلك إلا لتوفر الظروف المساعدة على نموّ مواهبها واستعداداتها الفطرية ، ولأنّ الفرص كانت مواتية لبروزها في الميادين المختلفة ، وربّما ساعدها الرجل في حالاتٍ نادرة كهذه ، فأخذ بيدها لترتفع إلى المستوى العالي الذي وصلت إليه))^(٣) ، وخير دليل ما وصل إلينا من نصوص لها في ذلك العصر .

وما ذهب إليه الدكتور أحمد الحوفي من أنّ خطب النساء ((لم تتجاوز المواقف الطارئة التي كانت شذوذاً عن القاعدة ، وربّما روي عن بعضهنّ من قبيل الوضع والدّعاية السياسيّة ، أو كان تضخيماً لحديث ألقته امرأة))^(٤) ، فيه أكثر من مجالٍ للنقاش ، فهو لا يصمد أمام ما وجد من نتاج للمرأة في هذا الفن في العصر الجاهلي والعصور التالية ، الذي حفلت به كُتُب الأدب والتاريخ .

(١) ظ : جمهرة خطب العرب : ١ / ١٠٣ - ١١٥ .

(٢) نثر المرأة من الجاهلية إلى نهاية العصر الأموي : ١ / ٣٤ .

(٣) المرأة في أدب العصر العباسي : ١٧ - ١٨ .

(٤) فن الخطابة : د. أحمد محمد الحوفي : ٢٢٢ .

فإزاء قوله يقودنا البحث إلى :

١- إذا كانت خُطب المرأة لم تتجاوز المواقف الطارئة ، فهي عموماً خُطب لا يُمكن إنكارها سواء أُلقيت في ظروف استثنائية أم طبيعية ، ثم أنّ الغالب على خُطب العرب أنّها تُلقى في الظروف الطارئة والمواقف السريعة ، بل كانت جلّ خطبهم إن لم تكن كلّها مرتجلة أو قريبة من الارتجال ، ولاسيما خُطب الحرب وفض المنازعات وما إلى ذلك ، وعلى هذا فخُطب النساء ليست شذوذاً عن القاعدة ، كونها جارت المواقف التي كان خُطباء العرب يلقون خطبهم على وفقها .

٢- ليس هناك ما يُستدلّ عليه من أنّ ما روي عنهنّ من قبيل الوضع والدعاية السياسية، وإنّما وجود مثل هذا النتاج الذي ورد عنهنّ في عصر الجاهلية كما مرّ آنفاً ، دليل على وجود خطيبات مُبدعات ، وأمّا قضية الوضع فلم تُلحق بنتاج المرأة فحسب ، بل شملت عموم الخطب الجاهلية ، فهناك دراسة أشارت إلى الشك في صحّتها ، بل ذهبت إلى إنكارها (١) ، بينما دراسة أخرى دعت إلى أنّ اتّهام نصوصها لا ينتهي بنا إلى إنكارها على الجاهليين (٢) ، ذلك أنّ كلّ شيء عندهم يؤهل لهذا الازدهار ، وعلى هذا فإنّ قضية الوضع لخطب النساء مرفوضة ، ولو جرت لجرت على عموم خُطب العرب ، إذ لا يُمكن التسليم بأنّ كلّ ما وردنا من نصوص خطب جاهلية تكون موضوعاً .

٣- قوله إنّ ما (ألفته تضخيماً لحديث) فإنّه لا يُعوّل عليه إلى الدُرّة التي يذهب فيها إلى إنكار وجود خطيبات ، ولعلّ ما دفعه إلى قول ذلك هو أنّ الآداب العالمية لم تعرف إلا قلة من النساء اللاتي برعن في الشعر والكتابة وعمامة الفنون إلا الخطابة فإنّها لم تُعرف مُجلجلة صوتها على المنبر ، كما هو الحال في تفوّقها في الشعر ، وهنا نقول إنّ هذا لا ينطبق على المرأة العربيّة إذ إنّها تألّقت في سماء الخطابة لما تمتعت به من حظوة تميّزت بها عن غيرها كما ذكرنا في البدء ، ثمّ أنّه يذهب في كتابه (المرأة في الشعر الجاهلي) إلى أنّ حظها يختلف عن غيرها (٣) .

ولذلك فهي لا تُقاس بغيرها من النساء ، ولكن يبدو واضحاً أنّه يصّر على أنّ المرأة ليست بخطيبة لا في عصر الجاهلية ولا في العصور التي تلتها وحتى يومنا هذا ((أمّا العصر الحديث فقد عرف بضع نساء عربيّات اشتهرن بمواقف شبه خطابية في المحافل و... لكن هؤلاء جميعاً - على براعتهم - لم تبلغ إحداهنّ الدُرّة التي تُسوّي بينها وبين أحد من الرجال

(١) ظ : من تاريخ الأدب العربي ، النشر الجاهلي ، المجلد الثاني - العصر العباسي الأول - القرن الثاني : ٢ / ٤١٩ - ٤٢٠ .

(٢) ظ : العصر الجاهلي : ٤١٠ .

(٣) ظ : المرأة في الشعر الجاهلي : ١٨ - ٦٥ - ٥٤٩ - ٥٥٤ .

الخطباء الكبار ، ولعلني لا أعدو الحقّ إذا ما سلكتهنّ في عداد المحاضرات البارعات ، أو المتحدّثات اللّبات ، لا في عداد الخطباء الأفذاذ)) (١) ، وهذا القول فيه كلام ، ويُفنده ما وجد من ثراث أدبيّ زخرت به كُتُب الأدب ولاسيّما نصوص خطب النساء ، وما ذكرناه على قلّته وما سيتكفل البحث ببيانه لاحقاً من عرض لنصوص خطابية كافٍ لاستيفاء الرّد على ما يقوله الحوفي ، إذ إنّنا أمام عطاءٍ لا يُمكننا أن نخلفه وراء ظهورنا أو نتركه جانباً ، ذلك أنّ التأريخ حملها قروناً بعد قرون من دون أن يعدم تلك الومضات التي أثرت الأدب العربي ، وحين أطلّ الإسلام و ((أسفر نوره فأفتر ثغر الدّهر لنساء العرب عن جوٍّ مُشرق ، وأمل بعيد ، وأسلوب من الحياة جديد ، فبعد أن كان للمرأة العربيّة في عهد جاهليّتها فضائلها المكسوبة ، ومواهبها الموروثة ، وحقوقها التي تمّ لها بعضها ، وسلب الجهل وسوء النظام بقيتها ، فأما وقد رسخت أصول الإسلام ، وورفت ظلاله ، وخفقت على الخافقين أعلامه ، ونعمت هي تحت ظلّه بوثوق الإيمان)) (٢) .

وبذلك انتقلت المرأة إلى مرحلة جديدة في حياتها تميّزت عن سابقتها ولاسيّما في مجال الخطابة ، إذ برزت خطيبة يُشار إليها بالبنان ، فقد استطاعت ((أن تثبت وجودها في المعترك الخطابي دون فرق في ذلك بين المرأة المسلمة وسواها ، بل ربّما كانت المرأة المسلمة أكثر تقدّماً في هذا المضمار)) (٣) ، إذ خرجت إلى ميدان الخطابة من دون أن يُعيقها حجابها ، أو يُقيدها إسلامها ، بل كان ذلك دافعاً لخروجها خطيبة سجّلت بخطبها مواقف لها أثرها ومواقعها ، سيّما أنّ مجريات الحياة تغيّرت ، والأحداث تحوّلت .

لذا استطاعت المرأة أن تُحقّق نجاحاً كبيراً في هذا الفنّ وبصورة عملية ، فجاءت خطبها غاية في الدقّة من حيث العمق الدلالي والبلاغي ، وهذا بديهي كونها كانت ((معنية بالخطابة قبل الإسلام وبعده ، ويتّضح ذلك من خلال المرحلة الأولى للدعوة الإسلاميّة)) (٤) ، فإنّنا نجد نصوص خطبٍ لنساء هذه المرحلة قد تضمّنت أحداثاً سياسيّة وتحولات اجتماعيّة ومُرتكزات دينيّة بشكلٍ دقيق ، ومن خلال تأملي بعض خطب نساء تلك المُدّة ألحظ أنّها كانت تُعبّر عن رأيها ، وتعرض ما يختلج في صدرها من أفكار وتطلّعات ، وتُدافع عن قضايا وتقوّي دفاعها بأدلة وبراهين ، وتلجأ إلى المنطق في بعض الحالات ، وممّا يلاحظ أيضاً استعمالها للمصطلحات الإسلاميّة الجديدة ، والمعاني الراقية التي اكتسبت من الدّين السمح ، ولا يفوتنا أن نذكر أثر القرآن الواضح على خطبهنّ ، والثورة الروحية التي قادها الرسول 9 في اللّغة

(١) فن الخطابة : ٢٢٢ - ٢٢٣ .

(٢) المرأة العربيّة في ظلال الإسلام : ١٥ .

(٣) فن الخطابة : ٦٧ .

(٤) أثر المرأة في الحياة الإسلاميّة حتّى نهاية العصر الراشدي (رسالة ماجستير) : ١٢٨ .

والأدب ، وهذا ما نلمسه واضحاً في خطبة الخنساء بنت عمرو السلمي مثلاً ، حين خرجت تُدافع عن العقيدة وتُجاهد في سبيل الله ((يا بَنِي إِيَّكُمْ أَسَلِمْتُمْ طَائِعِينَ ، وَهَاجَرْتُمْ مُخْتَارِينَ ، وَوَالَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ ، إِيَّكُمْ لَبَنُو رَجُلٍ وَاحِدٍ ، كَمَا أَتَكُمْ بَنُو امْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ ، مَا خُنْتُ أَبَاكُمْ ، وَلَا فَضَحْتُ خَالَكُمْ ، وَقَدْ تَعْلَمُونَ مَا أَعَدَّ اللَّهُ لِلْمُسْلِمِينَ مِنَ الثَّوَابِ الْعَظِيمِ فِي حَرْبِ الْكَافِرِينَ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الدَّارَ الْبَاقِيَةَ خَيْرٌ مِنَ الدَّارِ الْفَانِيَةِ ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ II يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا

وَصَابِرُوا فَرِيطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ O ، فإذا أصبحتم غداً فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين ، والله على أعدائه مُستنصرين)) (١) .

فهنا نلاحظ الخطيبة تركز على خصلتي الصبر والثبات بعبارات قوية مؤثرة ، مُقتبسة من أي الذكر الحكيم في خطبتها على وفق ما يتناسب وموضوع الخطبة ، مما جعل الاقتباس مؤثراً فيها ، وفي المضمون جمال المعاني ظاهرٌ ، وحسن الانتقاء في الكلمات واضحٌ ، والبُعد عن الغرابة والتكلف بادٍ عليها ، ولذلك وفقت في التأثير بحُسن البلاغة ، ودقّة الإيجاز ، وطلاوة المعنى .

وإذا تتبعنا نصوص خطب النساء في هذا العصر نجد وفرة في استعمال الفنون البلاغية من استعارات وكنائيات وتشبيهات ، وانتقاء المفردات السهلة اللفظ ، العميقة الدلالة ، البعيدة عن الصنعة والتكلف ، وهذا ما كان غالباً في عُموم ذلك العصر ، كون الخطيب كان يعيش في كنف الفصاحة ومنبع البلاغة في ظل مدرسة القرآن ونبي الإسلام وأهل بيته Δ الذين عرفوا بكونهم أبلغ الخطباء .

ولذلك نرى خطيبات مُبدعات في هذه الحقبة لا يُمكن التغاضي عن نصوصهنّ أو عن إظهار أسماهنّ ، لما اتّصفت به تلك النصوص من تمثّل للنمطيّة الجديدة التي جاءت في خطب رسول الله 9 وأهل بيته Δ ، فضلاً عن استحكام الجُرأة الأدبية في مجال الخطابة التي أبرزت قدرتهنّ من خلال تعبيرهنّ عن المواقف الصعبة التي واجهت أمة الإسلام وقتذاك ، وذلك نتيجة الصراع المحتدم بين السيف والبيان ، وهناك سبب رئيس لا يُمكن تغافله لما له من أثر كبير في إظهار بعض الشخصيات النسوية المحاربة الموالية لعلّي - 0 - ، وقد امتازت الأدبيات الشيعيّة ، فضلاً عن جرأتهنّ وبلأتهنّ في سبيل العقيدة بمقدرة خطابية لعلّها كانت ثمرة ضرورية من ثمار ذلك العهد (٢) .

(١) جمهرة خطب العرب : ١ / ٢٣١ ، والآية من سورة آل عمران / ٢٠٠ .

(٢) ظ : أدب النساء في الجاهلية والإسلام : ١٢٠ - ١٥٣ .

وامتازت خطب أولئك النسوة - كما هو واضح من خلال الاطلاع عليها - (١) بأسلوب حاول أن يُفيد من القرآن الكريم من حيث الدقة والوضوح والسّموم في المضمون ، وكذلك أفدّن من المنهج المنطقي في الكلام ، والاحتجاج بالأدلة والبراهين ، والاطراد في الإتيان بالأحكام الشرعية ، والاقتباس من القرآن الكريم على وفق ما يناسب الخطبة من حيث المضمون ، حتّى جاءت اقتباساتهنّ مُتناسقة مع الخطب ، وهذا ما أكسبها روعة واضحة ، ممّا أدّى إلى أن تتحول هذه الخطب إلى عطاءات مثمرة وداعية للتأمل ، و مثال ذلك خطبة أم الخير بنت الحريش التي ابتدأتها بقوله تعالى : ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ O

(٢) ، إنّ الله قد أوضح الحق ، وأبان الدليل ، وبين السبيل ، ورفع العلم ، فلم يدعكم في عمياء مُدلّهمة ، فإنّ تُريدون رحمكم الله ؟ أفراراً عن أمير المؤمنين أم فراراً من المؤمنين ؟ أم فراراً من الزحف ؟ أم رغبة عن الإسلام ؟ أم ارتداداً عن الحق ؟ (((٣) ، لتقنع خصمها بالحُجّة والبرهان ، ومن يتأمل في هذه الخطبة لا يعدو ملاحظة ما كانت تتمتع به الخطيبة من دقة في انتقاء الألفاظ ، ومنها (الحق ، أبان ، العلم ، مُدلّهمة ، رغبة) .

أمّا لو أخذنا خطبة عكرشة بنت الأطرش لوجدنا وفرة الاقتباسات التي وظفتها الخطيبة لمُحاجة خصومها ، وأيضاً استعمالها لأسلوب النداء بالحرف (يا) وبعده التوكيد بالحرف إنّ من أجل تحفيز القوم ، ومن ثمّ إتيانها بالاستعارات اللطيفة ((يا أَيُّهَا النَّاسُ عليكم أنفسكم لا يضركم من ضلّ إذا اهتديتم ، إنّ الجنة دار لا يرحل عنها من قطنها ، ولا يحزن من سكنها ، فابتاعوها بدار لا يدوم نعيمها ولا تنصرم همومها ، كونوا قوماً مُستبصرين ، إنّ معاوية دلف إليكم بعُجم غُلف القلوب لا يفقهون الإيمان)) (٤) .

ونُطالع القوّة في التأثير بالجمهور من خلال أسلوب خطبة الزرقاء بنت عدي ((أيها الناس ارجعوا وارجعوا إنكم أصبحتُم في فتنة غشتكم جلايبب الظلم وجارت بكم عن قصد المحجة فيا لها فتنة عمياء صماء بكماء لا تسمع لناعقها ولا تسلس لقائدها إنّ المصباح لا يضيء في الشمس والكواكب لا تنير مع القمر ولا يقطع الحديد إلا الحديد ألا من استرشد أرشدناه ومن سألنا أخبرناه ، أيها الناس إنّ الحق كان يطلب ضالته فأصابها فصبراً يا معاشر المهاجرين والأنصار على الغصص فكأن قد اندمل شعب الشتات والتأمت كلمة التقوى ودمغ

(١) ظ : صبح الأعشى : ٣٠٠ / ١ - ٣٠١ ، وظ : جمهرة خطب العرب : ٣٦٨ / ١ - ٣٦٩ ، خطبة عكرشة بنت الأطرش ، وظ : صبح الأعشى : ٢٩٦ / ١ ، وجمهرة خطب العرب : ٣٦٩ / ١ ، خطبة أم الخير بنت الحريش ، وظ : صبح الأعشى : ٢٩٩ / ١ ، والمستطرف : ٤٠٩ / ١ - ٤١٠ ، وجمهرة خطب العرب : ٣٧٣ / ١ ، خطب الزرقاء بنت عدي الهمدانية وظ : المستطرف : ١٦٩ / ١ وجمهرة خطب العرب : ٣٦٨ / ١ ، خطبة سفانة بنت حاتم .

(٢) سورة الحج / ١ .

(٣) جمهرة خطب العرب : ١٩٣ - ١٩٦ ، العقد الفريد : ١٣٢ / ١ ، نهاية الإرب : ٢٤١ / ٧ ، صبح الأعشى : ٢٩٧ / ١ .

(٤) جمهرة خطب العرب : ٣٦٩ - ٣٧١ ، العقد الفريد : ١٣١ / ٢ ، صبح الأعشى : ٣٠١ - ٣٠٠ / ١ .

الحق باطله فلا يجهلن أحد فيقول كيف العدل وأنى ليقضي الله أمرا كان مفعولا ألا وإن خضاب النساء الحناء وخضاب الرجال الدماء ولهذا اليوم ما بعده والصبر خير في عواقب الأمور إيهما لحرب قدما غير ناكسين ولا متشاكسين ((^(١)) ، التي اعتمدت فيها على إيراد الحُجج والبراهين .

وخلص القول ؛ إن خطب النساء في ذلك العصر تميّزت بطلاوة الألفاظ ، ووضوح العبارة ، وتناسق الجمل ، وكثرة إيراد الأدلة العقلية والنقلية ، فضلا على اختيار الأسلوب المُعَبّر والموصل إلى الهدف المنشود ، من خلال عرض الخطبة ، وهذا ما يدل على مدى قوّة نثرهنّ في هذه المرحلة المتأثر بأسلوب القرآن والبلاغة العربية ، ففي العصر الأموي تطالعنا أسماء كثير من النساء الخطيبات اللاتي تميّزن بأسلوب بعيد عن الصنعة والتكلف ، فكشف عن قدرة خطابية كبيرة ، جاءت نتيجة تطور أسلوب الجدل والمناقشة ، ومحاكاة الأسلوب القرآني ، ونقف عند خطبة سودة بنت عمارة ((إنك أصبحت للناس سيّداً ، ولأمورهم مُتقلّداً ، والله سائلك عن أمرنا وما افترض عليك من حقنا ، ولا تزال تُقدّم علينا من ينهض بعزك ، ويبسط سلطانك ، فيحصدنا حصاد السُنبل ، ويدوسنا دياس البقر ، ويسومنا الخسيصة ، ويسلبنا الجليلة ، هذا ابن أرطاة قدم بلادي))^(٢) ، فهي تستعمل العبارات الرصينة بنزعة جديدة من خلال الكلمات القويّة المتمثلة بـ (سيّدا ، مُتقلّداً ، افترض ، سلطانك ، الجليلة) واللغة السهلة المتّفقة بقوّة تُؤهلها للدفاع عن عقيدتها وإعلاء كلمة الحق حينما تقول (والله سائلك عن أمرنا وما افترض عليك من حقنا) .

وفي خطبة أروى بنت الحارث نجد من الاقتباسات القرآنية ما يُقوّي رأيها ، ويسند حججها ، وقد ضمّنتها أبياتاً من الشعر ، ومنها :

((يا ابن أخي ، لقد كفرت يد النعمة ، وأسأت لابن عمك الصُّحبة ، وتسميت بغير اسمك ، وأخذت غير حقك ، من غير بلاءٍ كان منك ولا من آبائك ، و... إن أمك للقائلة يوم أحد في قتل حمزة ⓓ :

نحن جزيناكم بيوم بدر والحرب بعد الحرب ذات سُعر))^(٣)

وكان لخطبتها هذه صدى وشهرة ، إذ على الرغم من شتانها فيها لمعاوية إلا أنها (قد سحرته ببلاغها وقوّة منطقها ، ووفرة التضمين من القرآن الكريم والشعر العربي الجيد ، وأمر لها بستّة آلاف دينار))^(١) .

^(١) جمهرة خطب العرب : ١ / ٣٦٨ ، العقد الفريد : ١ / ١٣٠ ، صبح الأعشى : ١ / ٢٩٩ - ٣٠٠ .

^(٢) جمهرة خطب العرب : ٢ / ٣٧٥ ، بلاغات النساء : ٣٥ ، العقد الفريد : ١ / ١٢٩ .

^(٣) ظ : بلاغات النساء : ٣٢ ، العقد الفريد : ١ / ١٣٤ ، جمهرة خطب العرب : ٢ / ٣٨١ - ٣٨٢ .

وهكذا لو استعرضنا نصوص خطب النساء ، لوجدنا أنها في غاية من التأثير في الجمهور المُتلقي من حيث سلاسة اللفظ ومتانة الأسلوب وبلاغة التعبير ، زيادة على ذلك إيثار الترسل أو ازدواج الجُمْل في بعض الأحيان ، وما ذلك إلا لما كان لهنّ من ملكة في فصاحة اللسان ، وجمال البيان ، والقدرة على امتلاك القلوب والأسماع بالكلام البليغ المؤثر .

ولو أردنا أن نُقارن بلمحة خاطفة بين المرأة الخطيبة في عصر الجاهلية ، ونظيرتها في عصر صدر الإسلام والعصر الأموي ، لوجدنا أنّ المرأة في الجاهلية تهيأ لها الظرف لأن تكون خطيبة وتبرز في هذا المجال فضلاً عن المجالات الأخرى ، لكنّها في عصر الإسلام أُتيح لها المجال بشكل كبير ، وتمتعت بمكانة وحظوة أكثر من ذي قبل ، حتّى أنّ ثرائها حفظ أكثره ، بخلاف نتاجها في الجاهلية ، إذ ضاع أغلبه وأهمل بسبب عدم الحفظ وقلة التدوين إن لم يكن معدوماً ، ومع ذلك نجد أنّ هناك نصوصاً للمرأة في كتب التاريخ والأدب .

وهذه النصوص التي استعرضناها كشفت عن خصائص وصفات أظهرت واقع عصر ما قبل الإسلام ، من حيث التأثير بمكانم البلاغة ، ومحاسن الفصاحة ، والتضمين للحكم والأقوال المأثورة ، والاستشهاد بالشعر ، والتكلف في بعض الأحيان ولاسيما الكاهنات اللاتي كنّ يملن إلى الصنعة والتكلف في خطبهنّ (٢) .

أمّا خطب النساء في العصر الإسلامي فهي وإن تميّزت عن خطب الجاهلية إلا أنّها امتداد لها ، فهي بحق أنضج منها ، وقد جاءت بحلة جديدة من التضمين للمعاني الإسلامية ، وحذوها للأسلوب القرآني الذي أعجز وأبهر فصحاء العرب ، فضلاً عن الاقتباس ، ثمّ صدور هذه الخطب من أفواه بدأت بعقولها إلى الحجج ، وإيراد البراهين لإقناع الخصم ، والخصوص في المنطق ، كلّ ذلك وُلد أرضاً خصبة لنمو فنّ الخطابة عند المرأة وازدهاره ، حتّى أنّها تألقت فيه ، فأخذت المبدعة منهنّ تقتحم الميادين إذا ما دعت الحاجة إلى ذلك وتوجه خطابها بأساليب مختلفة .

ومهما قلت عن خطب المرأة منذ العصر الجاهلي وحتى العصور التالية ، فالنتيجة أنّ لها أثراً واضحاً في تطوّر الخطابة العربية ونموّها ، ومن ثمّ ازدهارها ، ومن يرى خلاف ذلك فإنّه بلا شكّ قد وقع في توهم ، أو أنّه فاتته مطالعة كثير من النصوص ، أو لعلّه اعتمد ما كرّرت بعض الكتب التي اعتمدت نماذج معيّنة ، ممّا وُلد إهمالاً لنصوص كثيرة من نتاجات المرأة .

وخلاصة القول ؛ إنّ المرأة العربية أثّرت الخطابة بنصوص تستحقّ التوقّف عندها ، والتأمل في دراستها ، وهذا ما سيتكفل به البحث - إن شاء الله - .

(١) أدب النساء في الجاهلية والإسلام / النشر : ١٣٩ .

(٢) ظ : جمهرة خطب العرب : ١ / ١٠٣ - ١١٥ ، (خطب الكواهن) .

ثانياً : تراجع أعلام خطيبات البيت العلوي اللائي وردت أسمائهن في هذا البحث :

١- السيدة فاطمة الزهراء B :

اختلفَ في سنة ولادتها (١) ولكن أرجح الروايات وأشهرها ذهب إلى أنها ولدت في جمادى الآخرة يوم العشرين منه سنة خمس وأربعين من مولد النبي ٩ (٢) .
وهكذا تكون الزهراء B قد نشأت في بيت كان مهبط وحي الله ومحط رسالته .
وكان لنشأتها في هذا البيت الذي عُدَّ من أشرف البيوت وأرفعها شأنًا عند أهل الأرض والسماء الأثر الواضح في تجسّد الأبعاد المعرفية والعلمية والفكرية والأخلاقية في شخصيتها .
وبذلك اتّسمت شخصيتها بأبعاد مختلفة سمت من خلالها B في مدارج الكمال ، حتّى أضحت حياتها مثلاً حيّاً للحياة الناجحة بكلّ ما تحمل هذه الكلمة من معانٍ .

وفاة أبيها ٩ وقضية فدك :

ما إن دخلت السنة الحادية عشر للهجرة ، وتصرّمت أيام شهرها الثاني شهر صفر ، حتّى لبّى رسول الله ٩ نداء ربّه ملتحقاً بالرفيق الأعلى في الثامن والعشرين من شهر صفر سنة ١١ هـ ، وكانت وفاته بداية لمحنة آل البيت Δ ، تلك المحنة السياسية التي تتمحور ضمن أمرين هما : الخلافة ومصادرة فدك ، ولسنا بصدد التفصيل في هذه المسألة التاريخية ، فما يُهمُّنا هو موقف السيدة الزهراء B ، فإلى جانب الخلافة مصادرة فدك وهي قرية في الحجاز ،

(١) قيل إنّها ولدت وقریش تبني البيت ، وذلك قبل أن تُبَيّ رسول الله ٩ بخمس سنين وهو ابن خمس وثلاثين سنة وفي ذلك ظ : تاريخ الأمم والملوك : ١ / ٥٢٣ ، ومنهم من قال إنّها ولدت سنة إحدى وأربعين من مولد النبي ٩ ، وكان مولدها قبل البعثة بقليل ، ظ : الإصابة في تمييز الصحابة : ٨ / ٥٤ .

(٢) ظ : دلائل الإمامة : ١٠ .

بينها وبين المدينة يومان ، كانت لليهود ، ولكنها بعد فتح خيبر ألقى الله سبحانه وتعالى في قلوب أهلها الرعب ، فصالحوا النبي 9 على النصف وقبل منهم الصلح ، فكانت له 9 خاصة ؛ لأنها لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب (١) ، وقد دفعها لابنته السيدة فاطمة B في حياته ، وكانت تتصرف فيها أربع سنوات في حياته ، وبعد وفاته 9 صادرها أبو بكر ، فخرجت B تطالب بها بإصرار ، وتصدّت للموقف بنفسها للدفاع عن الحق وهي السيدة التي لا تسكت عن حقها وحق آل بيتها في الخلافة التي تُعدّ امتداداً للرسالة ، ولم تكن السيدة B تعني فداً فحسب ؛ بل القضية كانت أبعد من أن تكون فداً أرضاً زراعية ، وهي إنما خرجت لا لتحصل على الإرث لعلها أنّ الذين يغتصبون خلافة ليس كثيراً عليهم أن يغتصبوا قطعة أرض (٢) ، وقد كانت السيدة الزهراء B في خروجها للمطالبة بالحق مثلاً للجهاد والشجاعة والعطاء ، فمع كل آلامها نجدها تخرج وتدافع حينما يتطلب الموقف ، وكان لخطابها في مسجد أبيها أثر كبير ، إذ بيّنت وأفصحت وحاجبت وحذرت وقرّعت ، وهي بذلك كله تهدف إلى استرجاع الحق ، وقد أصبحت فداً ((تتمشّى مع الخلافة جنباً إلى جنب ، كما صار لها عنوان كبير وسعة في المعنى ، فلم تبقى فداً قرية زراعية محدودة بحدودها في عصر الرسول ، بل صار معناها الخلافة والرقعة الإسلامية بكاملها ، ومما يدلّ على هذا تحديد الأئمة لفداً ، فقد حدّها علي A في زمانه بقوله : حدّ منها جبل أحد ، وحدّ منها عريش مصر ، وحدّ منها سيف البحر ، وحدّ منها دومة الجندل)) (٣) وكانت هذه الحدود التقريبية للعالم الإسلامي آنذاك .

وأيضاً حدّها الإمام الكاظم A لهارون الرشيد بعد أن ألحّ عليه أن يأخذ فداً ، فقال له الإمام : ما آخذها إلا بحدودها ، قال الرشيد : وما حدودها ؟ قال : الحدّ الأول عدن ، والحدّ الثاني سمرقند ، والحدّ الثالث أفريقية ، والحدّ الرابع سيف البحر ممّا يلي الخزر وأرمينية ، فقال له الرشيد : فلم يبقَ لنا شيء فتحول في مجلسي (٤) ، أي أنّك طالبت بالرقعة الإسلامية في العصر العباسي بكاملها ، فقال الإمام : قد أعلمتك أنّي إن حدّتها لم تردّها .

وهذا يدلّ على أنّ فداً تعبير ثانٍ عن الخلافة الإسلامية ، والسيدة الزهراء B جعلت فداً مقدّمة للوصول إلى الخلافة ، فأرادت استرداد الخلافة عن طريق استرداد فداً ، ومما يدلّ على هذا تصريحاتها B في خطبتها التي ألقتها في مسجد رسول الله 9 (٥) ، فمنها يتّضح أنّ السيدة الزهراء B قد اتخذت من فداً ذريعة للوصول إلى استرداد خلافة الإمام علي A ، وإلّا فما

(١) ظ : أعلام النساء المؤمنات : ٦٤٠ .

(٢) ظ : فاطمة الزهراء B وترّ في غمد : ١٠٧ ، ظ : أعلام النساء المؤمنات : ٦٤٢ .

(٣) الأسرار الفاطمية : ٥٠٧ .

(٤) أعيان الشيعة : القسم الثالث من الجزء الرابع : ٤٧ .

(٥) ظ : الأسرار الفاطمية : ٥٠٨ .

الداعي إلى أن تذكر في خطبتها مناقبه وأحقّيته في الخلافة حتّى أشارت الانتصار، وأيضاً إنّ توجه نفسها إلى المعنويات والدّرجات الأخروية لا تدفعانها إلى المطالبة بمجرد قطعة أرض ، وإنّما إلى مسألة أهم جعلت أرض فدك طريقاً للوصول إليها .

فصاحتها وبلاغتها :

ليس بغريب إذا قلنا إنّ السيدة فاطمة الزهراء B مدرسة في الفصاحة والبلاغة والإعجاز ، فهي قد اغترفت من معين القرآن وعلومه التي لا تنضب ، ومن أحاديث أبيها 9 وكلامه المتسم بالبيان الذي عجز كثيرون عن مجاراته ، لذلك اشتهرت بفصاحة اللسان وقوّة البلاغة والبيان ، ولو أخذنا خطبها من دون باقي كلامها لوجدناها تحمل في كلماتها وعباراتها مختلف الفنون البلاغية والموضوعات البيانية ، حتّى يمكن القول بأنّ خطبتيها تعدّان مدرسة مستقلة لفنّ الخطابة ، ولو لم يكن لها إلا هاتين الخطبتين لكفى، ولما عدونا القول بأنّها رائدة ومعلّمة لأصول الخطابة ، وليس هذا فحسب ؛ بل امتازت بالأقوال المأثورة (١) ، والسيدة الزهراء B قالت من الشعر ما قالت في رثاء أبيها 9 (٢) وإن كانت لها شؤون تصرفها عن الشعر ، إذ إنّ كلامها وفصاحتها أرفع مستوى وأدقّ معنى ، وفي كلّ كلامها سواء كان نثراً أم شعراً نلاحظ قوّة البلاغة والفصاحة ، وغذوبة الألفاظ ذات المحتوى والمضمون الهادف .

وفاتها :

رحلت عن الدنيا وهي غاضبة وكان ذلك بعد وفاة أبيها بمدة قصيرة جداً وقد اختلف في اليوم والشهر الذي توفيت فيه إلا أنّ المتفق عليه أنّها توفيت في السنة ١١ للهجرة ، وهي السنة التي توفي فيها رسول الله 9 (٣) .

٢- السيدة زينب بنت علي X :

(١) ظ : فاطمة الزهراء B والفاطيون : ٤٥ .

(٢) ظ : أعلام النساء المؤمنات : ٦٥٥-٦٥٦-٦٥٧-٦٥٨ . (شعرها).

(٣) ظ : الأسرار الفاطمية (تاريخ وفاتها) : ٣٣٨ - ٣٤٠ .

ولدت B في الخامس من شهر جمادى الأولى في السنة الخامسة للهجرة (١)، وكانت البنت الأولى لأمير المؤمنين والسيدة الزهراء بعد الحسن والحسين A، وبها فرح رسول الله ﷺ كثيراً فأسماءها (زينب)، وكان من عادة أهل البيت A أن يكتبوا بما هو معروف وذلك لأنها مستحبة في السنة، وجرياً لهذا الاستحباب فقد كُتبت السيدة زينب B بأَمِّ كُلثوم، وهذه الكنية كانت السبب فيما ذهب إليه المؤرخون من أوهام وأخطاء إلى أنه ليس هناك بنت أخرى لأمير المؤمنين A اسمها أم كُلثوم، على حين أن الإمام علياً A كانت له ثلاث أناث يحملن الكنية نفسها - كما سنرى في ترجمة حياة السيدة أم كُلثوم B - وعلى أية حال فإن السيدة زينب الكبرى المكناة بأَمِّ كُلثوم هي غير أم كُلثوم، وكنيتهما قد شاركنا في معركة الطف إلى جنب الإمام الحسين A، وكان لكل واحدة منهما خطابها التاريخي في أهل الكوفة، وهذا البحث كفيلاً ببيان سيرة السيّدتين وترجمتهما، ومن ثمّ عرض خطاب كل واحدة وتحليله بعد تحقيقه.

وجديرٌ بالذكر أنّ السيدة زينب B قد عرفت بهذه الكنية واشتهرت بها على الرغم من أنّ لها غيرها (٢)، وليس هذا مهماً بقدر ما نسلم بأنّ هذه السيدة الجليلة غير السيدة أم كُلثوم البنت الثانية لأمير المؤمنين من السيدة الزهراء X.

وأما ألقابها فهي كثيرة تستشف من بطولاتها التاريخية، ونذكر منها: (العقيلة)، والعبادة والفاضلة والكاملة - من الكمال - والعالمة والصدّيقة الصغرى - تمييزاً من الصدّيقة الزهراء B والصدّيقة الكبرى خديجة B - بضعة البتول والصابرة.

نلاحظ أنّ هذه الألقاب تظهر شخصيتها العظيمة التي تأتت من نشأتها المباركة في ذلك البيت العلوي، وفي كنف الرّسالة المحمّدية حيث نزول الوحي في ذلك البيت المُفعم بالإيمان، فلم يكن لها إلا أن تستلهم منه العلم والحكمة، والدراية والفطنة، والفهم والنبوغ، فضلاً عن فهم القرآن وحفظه والتفقه في الدين، وحفظ الأحاديث، وهذا ما جعل شخصيتها مُتميّزة على مرّ الزمن، كما أكسبتها تلك النشأة في كنف الإمام علي والسيدة الزهراء X الكمال الروحي، والمحاسن الجيدة والأوصاف الجليلة التي تجلّت بها طوال عمرها في أشد محنها كانت محافظة عليها، حتّى عدّت من شمانلها ومفاخرها الملتصقة بها.

وهكذا وفي وسط أجواء ملوّها القيم والمبادئ نشأت السيدة زينب B، وكان لذلك أثر كبير في بناء شخصيتها وغرس القيم والمبادئ في أعماق ذاتها، ووسط تلك الأجواء المُفعمّة بالمسؤولية والتضحية بدأت السيدة زينب B تتلقّى سهام قدرها وهي في أوّل سنّي عمرها،

(١) ظ: زينب الكبرى بنت الإمام علي بن أبي طالب: ١٧، العقيلة زينب والفواطم: ١٠، في رحاب السيدة زينب: ١٤.
(٢) ظ: وفاة زينب الكبرى: ٤، زينب الكبرى من المهد إلى اللحد: ٢٩ - ٣٠، السيدة زينب رائدة الجهاد في الإسلام: ٣٥، الصدّيقة الصغرى زينب بنت علي: ١٨.

ففي السنة الخامسة من عمرها لبى جدّها 9 نداء ربّه ، وإذا بها تصطدم بالفاجعة التي قلبت أجواء البيت ، وكان عليها أن تُشارك أمّها في محنتها السياسية ، إذ وقفت معها في المسجد وهي تخطب بالمهاجرين والأنصار خطابها التاريخي ، ثم مرضها وحزنها السرمدي حتّى وفاتها ، كلّ ذلك وعمرها لم يتجاوز السادسة ، وبذلك بدأت بتحمّل المسؤولية وإحلالها في البيت محل أمّها في رعاية إخوتها وإدارة المنزل ، وبدا كلّ شيء فيها أكبر من عمرها ، فقد ((أنضجتها الأحداث ، وهياتها لأن تشغل مكان الراحلة الكريمة ، فتكون للحسن والحسين وأم كلثوم أمّاً لا تعوزها عاطفة الأمومة بكلّ ما فيها من حنو وإيثار)) (١) ، وهكذا تحمّلت عقيلة بني هاشم مسؤولية بيت علي A ، وعاشت في خضمّ المشاكل والأحداث ، ويكاد هذا البيت ينفجر في الأحداث ، فالأقدار تتواثب عليه ، والنوائب تصلبه ومع هذا كلّه فالإمام عليّ A لا تهزّه الأحداث ، وأخذ قلب زينب يتسع لكلّ هذه وأكثر منها ، ولا غرابة فهي ابنة الإمام علي A ، الرجل الصلّد وأشبال عليّ A على شاكلته ، والسيدة زينب B واحدة من تكلم الأشبال ، فهي التي حملت البطولة على كتفها وجسّدتها بأجلى مظاهرها (٢) .

نهضتها مع الإمام الحسين A :

لم تُختَر السيدة زينب B لهذا الدور القيادي إلا لاتصافها بصفات أهلتها لذلك ، وجعلتها B تأخذ على عاتقها كشف الحقيقة للنّاس ، وهذه مهمّة كبيرة ، إذ إنّها كانت ((تقوم بدور جهاز الدعاية المضاد لجهاز الدولة ، بل يُمكن أن نقول عنها إنّها قامت مقام دور الإعلام في يومنا هذا وهي تجوب الأمصار مع السبايا وتكشف من خلال خطبها زيف الادعاءات الأموية ، وعلى ذلك فإنّ اصطحاب العائلة كان على جانب كبير من الحكمة واليقظة والمعرفة وفهم للظروف القادمة)) (٣) .

ونكاد لا نقرأ أو نسمع عن الإمام الحسين A أو كربلاء إلا وللسيدة زينب B الذكر الوافر فيها ، لأنّها بدأت مع الحسين A وأكملت المهمة بعده .

وكانت مواقفها B تدلّ على قوّتها وصلابتها ، وهي تُحاجج القوم وتُخاصمهم وتُتكر عليهم إسلامهم ، وفي الوقت نفسه تنذّب أخاها ، وأعظم منه وقوفها على جسد الإمام الحسين A بعد مقتله وهو جثة بلا رأس وقولها : ((اللهم تقبل منّا هذا القربان)) (٤) ، فأية عظمة

(١) تراجع سيدات بيت النبوة : ٥٦١ .

(٢) ظ : في رحاب السيدة زينب : ٢٤ .

(٣) السيدة زينب B ودورها في أحداث عصرها : ٣٩ .

(٤) في رحاب السيدة زينب B : ١٤٨ - ١٤٩ .

هذه من السيدة الطاهرة المفجوعة ، من هنا ومن هذه الكلمة وهذا الموقف بدأت السيدة B بتسلّم مهمتها وبدء اهتمامها بالرسالة ، ممّا أدّى إلى أن تضرب للأجيال أروع الأمثلة في الصبر والشجاعة ، ليس هذا فحسب ؛ بل نجدها أخذت تستثمر كل موقف تفقه في كل مكان لصالح الدّين والرسالة المحمّدية .

بلاغتها :

كانت السيدة زينب B على قدر كبير من الفصاحة والبلاغة والمقدرة الكلامية المتضمّنة للحجج والبراهين ، ولهذه الفصاحة الدقيقة جاء بها شهيد العزّ والإباء إلى العراق لعلمه أنّ الغاية التي يُضحيّ بنفسه لأجلها ستذهب أدراج السلطة الأموية وتبقى الحقيقة مستورة لو لم يتعقبها لسان ذرب ، وإنّ كلّ واحد لا يستطيع في ذلك الموقف الحرج الذي تحقّه سيوف الظلم أن يتكلم بالحقيقة مهما بلغ من المنعة في عشيرته إلا العقيلة (١) .

وما تركته السيدة زينب B من خطب ومحاورات في أثناء الوقائع والأحداث يجعلنا نصفها بالأديبة ، بل إنّها فوق ذلك ، إذ اتّخذت من البيان لغة قاومت بها أعداء الإسلام بدل السيف ، وكانت لغتها هذه وسيلة لتبصير الأمة بحقيقة الإسلام الأصيل ، وبذلك أثبتت للأمويين الذين جعلوا من المرأة وقتذاك آلة للهو والخدمة فقط ((أنّ دور المرأة في التبليغ والدّفاع عن الدّين عبر الخطابة لا يقلّ أهميّة عن دور الرّجل ، بل إنّ في كثير من الأحيان يكون خطاب المرأة أكثر تأثيراً في النفوس ، وهذا ما نلاحظه في خطاب الصديقة زينب B الأمر الذي ينبغي أن يُعطي المرأة في هذا العصر الدافع القوي لدخول هذا المجال ، والنهوض بمسؤوليّتها الدّينية والاجتماعيّة ، فالخطابة ليست مُباحة للرجل ومحظورة على المرأة ، بل ليست راجحة للرجل ومرجوحة للمرأة ، فواجب التبليغ والإرشاد غير مختلف الوسائل أمر يشترك فيه الرجل والمرأة على حدّ سواء ، وكلّ يعمل على شاكلته)) (٢) .

وفي بلاغتها يقول النقي : ((إنّ هذه الفصاحة العلوية ، والبلاغة المرتضوية ، قد ورثتها هذه المُخدّرة الكريمة ، بشهادة العرب أهل البلاغة والفصاحة أنفسهم ، فقد تواترت الروايات عن العلماء وأرباب الحديث بأسانيدهم عن حذيم بن شريك قال : قدمت الكوفة في المحرم سنة إحدى وستين عند منصرف علي بن الحسين A من كربلاء ومعهم الأجناد يُحيطون بهم وقد خرج الناس للنظر إليهم ، فلما أقبل بهم على الجمال بغير وطاء ، وجعلن نساء الكوفة يبكين وينشدن فسمعت علي بن الحسين A يقول بصوت ضنيل وقد نهكته العلة وفي عُقْهِ

(١) ظ : العباس : ١٢٢ .

(٢) الصديقة زينب B مثال المرأة الواعية : ٨٩ .

الجامعة ويدهُ مغلولة إلى عنقه ، إن هؤلاء النسوة يبكين فمن قتلنا ، قال ورأيت زينب بنت علي B ولم أرَ خفرةً أنطق منها كأنها تفرغ عن لسان أمير المؤمنين A قال وقد أومأت إلى الناس أن اسكتوا فارتدت الأنفاس وسكنت الأصوات ((^(١)).

ثم أشار إلى أن ((بلاغة زينب B وشجاعتها الأدبية ليس من الأمور الخفية وقد اعترف بها كل من كتب في واقعة كربلاء ، ونوه بجلالتها أكثر أرباب التاريخ))^(٢).

وجدير بالذكر إن بلاغة السيدة زينب B وفصاحتها مكسوة بأنوار البلاغة العلوية ، وأسرار الخطبة الفاطمية التي تأثرت بها B مذ كانت صغيرة ، وهي تعد أول خطبة حفظتها ، فقد ((نقلها الحفاظ عن زينب العقيلة بنت فاطمة الزهراء ، حيث كانت في صُحبة أمها يوم ألقت الخطبة في مسجد النبي ، وكانت زينب يومذاك في السادسة من العمر ، فحفظت خطبة أمها فاطمة عن ظهر قلب ، ولذا نجد عبد الله بن عباس عندما يتحدث عن مصادر الخطبة يقول: حدثتنا عقيلتنا زينب بكذا وكذا))^(٣) ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على قوة بلاغتها ومقدرتها الأدبية التي مكنتها من حفظ هذه الخطبة التي تعد من أمهات الخطب المتألفة في سماء الخطابة النسوية ، وهي لم تحفظها فحسب ؛ بل تأثرت بها ، ولذا نجدها حينما خطبت أمام يزيد في الشام شابها أمها الزهراء B في توظيف الخطبة لتظهر الأحداث الجسيمة التي هزت الأمة الإسلامية وأودت بآل الرسول 9 ، وهذه الخطبة قد كشفت عن الجرأة الأدبية الفائقة التي اتصفت بها B ، فضلاً على الشجاعة النادرة التي جعلتها - وهي أسيرة مثكولة مفجوعة - تواجه يزيد بكلام معظمه تقريع وإظهار لحقائق حاول إخفائها ، وبيان لأمر لم تكن واضحة لدى المغرر بهم آنذاك من قبل يزيد وأتباعه ، ولذا ما كان منها إلا الاسترسال في الخطاب ، والتعبير عما انطبع في داخلها بملكاتهما الفاضلة .

وفي ذلك ذكرت دراسة حديثة أن ((من خطيبات النساء المسلمات زينب ابنة علي بن أبي طالب ، فكانت سيدة جليلة ذات فصاحة وبلاغة ، وامرأة عاقلة ، ذات جنان ثابت حينما أظهرت من تلك الفصاحة والخطبة نتيجة ما لقيت من شدة الجزع والألم ما يفت الأكباد ، ويفتخر بفصاحتها كون أبيها أمير المؤمنين الذي رباه الرسول محمد 9))^(٤).

وكان لبلاغتها الموروثة أثر كبير في تغيير مجرى التاريخ ، إذ خطبت بأكثر من موطن نزلت فيه ، من أجل كشف الحقائق ، مما أدى إلى إيقاظ الأمة من سباتها ، وبعث روح التحدي

^(١) حياة السيدة زينب B : ٥٩ - ٦٠ .

^(٢) م ن : ٦٨ .

^(٣) اعلماؤنا فاطمة - فاطمة الزهراء والحضارة الإسلامية : ٥١ .

^(٤) أثر المرأة في الحياة الإسلامية حتى نهاية العصر الراشدي (رسالة ماجستير) : ١٣٤ .

والمواجهة فيها ، وبذلك تكون السيدة B قد وظفت قوة بلاغتها ورفعة فصاحتها في قلب الرأي العام على دولة بني أمية .

ونحن مهما قلنا في بلاغتها B لا نصل إلى الوصف الدقيق لتلك المقدرة التي مكّنتها من إحلال لغة البيان محل لغة السيف ، وفي وصف ذلك يقول النقدي : ((إن بلاغة زينب B وشجاعتها الأدبية ليس من الأمور الخفية ، وقد اعترف بها كل من كتب في وقعة كربلاء ، ونوّه بجلالتها أكثر أرباب التاريخ ، ولعمري إن من كان أبوها علي بن أبي طالب الذي ملأت خطبه العالم ، وتصدى لجمعها وتدوينها أكابر العلماء ، وأمها فاطمة الزهراء B صاحبة خطبة فدك الكبرى ، وصاحبة الخطبة الصغرى التي ألقتها على نساء قريش ونقلها النساء لرجالهن ، نعم إن من كانت كذلك فحرياً بأن تكون بهذه الفصاحة والبلاغة ، وأن تكون لها هذه الشجاعة الأدبية)) (١) ، وللعقيلة B بعض الأشعار التي قالتها في رثاء أخيها A (٢) .

وكان لبلاغتها أثر كبير في مواصلة المسيرة بعد أخيها A ، وبقيت في جهادها الرسالي هذا حتى وافاها الأجل في الخامس عشر من رجب من عام ٦٢ هـ الموافق ٦٨١ م ، وهذا التاريخ قد اتفق عليه الأغلبية (٣) .

٣- السيدة أم كلثوم بنت أمير المؤمنين X :

ولدت هذه السيدة الطاهرة في السنة السادسة للهجرة ، وكان تسلسلها الرابع بين إخوتها الحسن والحسين وزينب B ، نشأت وترعرعت بينهم ، وحينما بلغت مبلغ النساء تزوجت من ابن عمها عون بن جعفر بن أبي طالب (٤) .

أم كلثوم في كربلاء :

كانت السيدة أم كلثوم هي الأخت التالية لزينب B من حيث المكانة والفضل عند الحسين A ، وكانت ثاني امرأة حملت صفات الرزاة والحلم والحكمة في التصرف بعد السيدة زينب B

(١) حياة السيدة زينب B : ٦٨ .

(٢) ظ : أعلام النساء المؤمنات : ٤٥١ - ٤٥٢ .

(٣) ظ : أخبار الزينبيات : ١٢٢ ، ظ : تراجم سيدات بيت النبوة : ٦٩ .

(٤) ظ : أعلام النساء : ٢٤١ ، وظ : أعلام النساء المؤمنات : ٢٢٥ .

في الطف ، إذ كانت تصغرها بسنة واحدة ، وإذا تتبّعنا الواقعة في كتب التاريخ نلاحظ أن السيدة أم كلثوم B كانت نعم الأخت الصابرة والمشاركة لأختها السيدة زينب B في تحمّل أعباء الرّسالة بعد مقتل الحسين A ومسير السبايا الذي زادها شجوناً وحملها آلاماً مُبرّحة ، ما انفكت عنها حتّى وفاتها ، وهي مع ذلك صابرة مُجاهدة سجّلت مواقف تاريخية إلى جنب الإمام الحسين وأختها السيدة زينب X ، ومما يروى أنّه ((أثناء وداع الحسين للعائلة ، جعلت أمّ كلثوم تُنادي : وا أحمده ، وا علياه ، وا أمّاه ، وا أخاه ، وا حسيناه ، وا ضيعتنا بعدك يا أبا عبد الله ، فعزّاها الحسين A وقال لها : يا أختاه تعزّي بعزاء الله ، فإنّ سكان السماوات يفنون ، وأهل الأرض كلّهم يموتون ، وجميع البرية يهلكون ، ثم قال: يا أختاه يا أمّ كلثوم ، وأنت يا زينب ، وأنت يا فاطمة ، وأنت يا رباب ، انظرن إذا أنا قتلت فلا تشقّقن عليّ جيّباً ، ولا تخمشن عليّ وجهاً ، ولا تقتلن هجراً)) (١) فنداء الإمام A [يا أختاه يا أمّ كلثوم وأنت يا زينب] يدلّ على أنّ الشخصيتين كانتا معه في الطفّ ، وللسيدة أمّ كلثوم مواقف سجّلت فيها أروع صور البطولة والشجاعة (٢) .

بلاغتها وفصاحتها :

تميّزت السيدة الفاضلة أمّ كلثوم B كمثيلاها من سيدات آل الرسول 9 بالفصاحة البلاغة ، والمعرفة بمواقع الكلام ، في كلّ مقام ، لأنّها كانت فهيمة ، وذات فصاحة طليقة ، فضلاً عن صفات أخرى انّصفت بها ، ومنها أنّها كانت عالمة ، جليّة القدر ، عظيمة المنزلة عند أهل بيتها Δ وسائر الناس حتّى من الأعداء الذين كانوا يعترفون بشجاعتها الأدبية وبلاغتها القويّة

...

وقد جعلت السيدة أمّ كلثوم B من هذه الملكة التي منحها الله سبحانه وتعالى لها من قوّة في البيان ، ومعرفة في الفنون البلاغية وظيفّة لخدمة الحق ، إذ كانت لخطبتها في أهل الكوفة ((الأثر في توعية الناس وتعريفهم بحقيقة الأمور ، وبأئهم آل الرسول 9 ، لا خوارج كما يدعي يزيد)) (٣) ، إذ كشفت عن عمق جريمتهم النكراء ، وكذلك كشفت عن البعد الحقيقي لأحقية أهل البيت Δ بتولي الأمور من خلال استفهاماتها الاستنكارية ، التي أعطت مفهوماً في مكانة أولاد أمير المؤمنين Δ في نفس الرسول 9 ، ممّا أدّى إلى أن تكون هذه الخطبة من أشدّ

(١) اللّهُوف في قتلى الطفوف : ٣٢ .

(٢) ظ : أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام : ٢٣١ - ٢٣٣ ، وظ : أعلام النساء : ٢٥٣ - ٢٥٤ .

(٣) أعلام النساء المؤمنات : ٢٣٣ .

ما وقع على أسماع أهل الكوفة وتركز في ذهنهم ، لأن الخطبة B كشفت عن الموقف بصراحة ووضوح تامين ، مُستثمرة في ذلك الحشد الكبير المتجمع ، فدعت إلى الله بعد أن أعلنت عن مظلوميّتهم جرّاء امتدادهم الرّسالي للدعوة الإلهية ، ومعاداة ذراري المُشركين لهم ، فكان إعلانها للمظلومية هو الدعوة إلى الله بعينه ، وبحنكة بلاغية ودراية بيانية نجحت B في إيصال ما نشدته من خلال تأثيرها في القوم .

ولم تخلف السيدة B الخطبة التاريخية فحسب ؛ بل تركت لنا أشعاراً وإن لم تكن شاعرة ، لأنّ هناك ما يشغلها عنه ، ولكنها قالتها في مواقف (١) .

وفاتها :

بعد رحلة الأسر المُضنية رجعت B إلى المدينة ومكثت فيها أربعة أشهر وعشرة أيام^(٢) ، ثمّ توفيت B بعد أن قلبت الرأي العام عليهم بخطابها التاريخي الذي أدّى إلى جانب خطابات أهل البيت Δ في أثناء المسير إلى توالي الانتفاضات وتتابع الثورات .

٤- السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين X :

سمّاها أبوها A باسم أمّه السيدة الزهراء B ، وكنيتها أمّ عبد الله ، وكانت تُلقب بفاطمة الكبرى لأنّها البنت الكبرى للإمام A أو كبرى الفواطم اللائي جئن بعدها من نساء أهل البيت Δ^(٣) .

إنّ سيرة السيدة فاطمة B تكشف عن أنّها كانت عالمة تبلغ من العلم درجاته العليا ، محدّثة ، راوية للحديث ، عارفة بنصوص الإمامة ، ورواياتها وأحاديثها كثيرة في الكتب ذكرها الرواة والعلماء خلفاً عن سلف^(٤) .

(١) ظ : أعلام النساء : ٢٦١ - ٢٦٣ .

(٢) ظ : م ن : ٢٤١ .

(٣) ظ : فاطمة بنت الحسين : ٥ .

(٤) للاطلاع ظ : أعلام النساء المؤمنات : ٥٨٥ - ٥٩٠ روايتها للحديث .

فصاحتها وبلاغتها :

لقد تلقت السيدة فاطمة B علومها من علوم بيت الوحي ، وورثت منهم الفصاحة والبلاغة ، فكانت تروي وتحديث عنهم ، مما حدا بها إلى أن تكون من النساء الفصيحات الألسن ، البليغات الكلام .

ولبلاغتها الواضحة أثر كبير على مستمعيها ، إذ إن تلك البلاغة كشفت عن مكنون ما تمتعت به تلك الشخصية الفذة من معدن الحكمة ، وينبوع المعارف ، فضلاً عن فصاحة مشهودة كانت تطلق بها عنان كلامها في المواعظ والأخلاق والآداب .

وكان للبلاغة العلوية أكبر الأثر في نفس السيدة فاطمة B ، فمنها اقتبست ، وبخطب جدّها أمير المؤمنين A تأثرت ، وقد كانت لها حافظة ، ففي مقطع من خطبتها في الكوفة تقول : ((وَجَعَلَ عِلْمُهُ عِنْدَنَا ، وَفَهْمُهُ لَدَيْنَا ، فَنَحْنُ عَيَّةُ عِلْمِهِ ، وَوَعَاءُ فَهْمِهِ وَحِكْمَتِهِ ، وَحُجَّتُهُ فِي الْأَرْضِ فِي بِلَادِهِ لِعِبَادِهِ ، أَكْرَمَنَا اللَّهُ بِكَرَامَتِهِ)) (١) ، نجدها تستند إلى لغة جدّها أمير البلغاء A حينما رأى في آل البيت Δ وعاء لفهم علم الله وحكمته (٢) .

وهي حينما ألقت خطبتها هذه افتتحتها بحمد الله والثناء عليه ، ثم الإقرار بالشهادتين ، كما هو الحال في خطب آل الرسول Δ - ، إذ لم يكونوا يبدؤون الكلام - ولاسيما الخطب - إلا بحمد الله وذكر الشهادتين - وهي سنة متبعة في الخطابة الإسلامية - ، ثم تواصل خطبتها بأسلوب فصيح بلاغي حكيم أمام أهل الكوفة ، وكان لذلك الأثر الواضح في إبداء ندمهم ، وذلك لما استعملته من فنون البيان .

و لو لم يكن من كلام للسيدة فاطمة B إلا هذه الخطبة لكفى ، لما أنبأت عنه من أنها كانت على جانب كبير وعظيم من العلم والذراية وقوة البيان التي وظفتها في تقرير القوم وتنبيههم على فعلتهم ، مما أدى إلى امتلاك تلك القلوب بقوة البيان وأسلوب البلاغة الذي أثر في الأسماع ، ونفذ في الأعماق ، وجدير بالذكر أن لهذه الخطبة النصيب الأوفر في مباحث وفصول هذا البحث ، لثرائها اللغوي والبلاغي .

ولم تقتصر بلاغة السيدة على هذه الخطبة فحسب ، بل نجد لها بين صفحات الكتب الأدبية أبياتاً من الشعر (٣) .

(١) اللّهُوف في قتلى الطفوف : ٩٧-٩٦ ، الإحتجاج : ٢ / ١٠٦ .

(٢) ظ : نهج البلاغة : ٤٧ .

(٣) ظ : الدر المنثور : ٣٦٢ .

ونذكر من كلامها البليغ على سبيل المثال لا الحصر وهي توجه وترشد : ((والله ما نال أحد من أهل السفه بسفهم شيئاً ، ولا أدركوا من لذاتهم شيئاً ، إلا وقد ناله أهل المروعات ، فاستتروا بجميل ستر الله)) (١) ، فهذا المقطع من كلامها يُقدِّم لنا أنموذجاً بارعاً من فصاحتها المُتميِّزة ، وحرصها الكبير على أمة جدّها ، وهي إنما تُوظف ما تمتلكه من ثراء بلاغي للتبليغ والإرشاد .

وفاتها :

توفيت السيدة فاطمة B في المدينة المنورة سنة ١١٧ هـ ، ودفنت في البقيع .

(١) الأعلام : ٥ / ٣٢٨ ، الدر المنثور : ٣٦١ .

الفصل الأول

مضامين خطب سيّدات البيت العلوي

* المبحث الأوّل : المضامين الدينيّة

* المبحث الثاني : المضامين السياسيّة

* المبحث الثالث : المضامين الاجتماعيّة

مدخل :

تُعدّ خطب سيدات البيت العلوي موسوعة ثقافية واسعة ، لما تضمّنته من موضوعات ذات اتجاهات وأهداف مختلفة ومتنوعة ، وفيها ظهرت مقدرتهنّ الكبيرة ، إذ نجد في كلّ خطبة التنقل الواضح من موضوع إلى آخر ، ومن مفهوم إلى آخر ، من دون الإخلال بالنص ، وذلك لأنّ الخطيبة لا تخرج من البحث في موضوع أو مضمون مُعيّن حتّى تففيه حقّه ، بقلّة من العبارات ، وغزارة في المعاني ، وهذا يدلّ على المقدرة البلاغية ، والإحاطة العلمية ذات الثقافات المتنوعة لدى الخطيبة ، بحيث أهلتها إلى مثل هذه الخطابات التي تُعدّ مدرسة معطاء لفنّ الخطابة العربية .

وجديرٌ بنا ونحن في صدد دراسة نصوص هذه الخطب أن نبحت في المضامين التي اختلفت باختلاف الباعث وأسلوب كلّ خطيبة في إيصال الخطاب وحاجتها في إشباع قضايا قد تشترك فيها مع المتلقين ، أو أنّها تريد إشراكهم فيها ، وبما أنّ النصّ الخطابي واحد من أكثر النصوص الفنية التي تُلزم الخطيب بحشد الطاقات التعبيرية المؤثرة ، لما يميّز به الفنّ الخطابي من الاعتماد على الإقناع والاستمالة (١) .

فإنّ الخطيب المُبدع يسعى إلى تحشيد وظائف متنوعة داخل النصّ ويتعلّق بعض هذه الوظائف بالمضمون ، بينما بعضها الآخر يتعلّق بالشكل القائم على لغة الإيحاء (٢) .

وفي نصوص خطب السيّدات تجلّت لنا بعض المضامين الخطابية التي أوحّت بها فقرات نصوص هذه الخطب ، ممّا حدا بنا إلى أن نُفرد دراسة خاصّة لكلّ منها ضمن هذا الفصل .

والإفراد في دراسة المضامين ما هو إلا لغرض الدراسة ، لأنّ النصّ الفنّي لا يُخاطب جانباً مُعيّناً من دون آخر في نفس المتلقّي ، وإنّما يُخاطب الكينونة بما فيها من عقل وحسّ ونفس (٣) ، والفصل بين تلك المضامين يكشف عن خصائص النصّ وقيّمته الفنية (٤) .

ومضامين هذه الخطب (الدنيّة والسياسيّة والاجتماعيّة) .

(١) ظ : النقد الأدبي عند اليونان : ١٤٠ .

(٢) ظ : شعر الشريف الرّضي - الفنّ والإبداع : ٩٥ .

(٣) ظ : الصورة الفنية في القرآن الكريم : ٤٣٧ .

(٤) ظ : الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث : ٥٤ .

المبحث الأول

المضامين الدينية

تنوّعت وجوه الأثر الديني في خطب سيّدات البيت العلوي ، فكان للموضوعات العقديّة والتشريعيّة حظّ وافرٌ في نُصوصها ، وكان ذلك نتيجة الرّغبة الملحة لدى الخطيبات في إشباع تلك الموضوعات وإظهارها على حقيقتها بطريقة أدبيّة تؤثّر في نفس المُتلقي .

وقد عمدت الخطيبات إلى استمداد تلك الموضوعات من القرآن الكريم ؛ لما له من وقع في النفوس على مرّ العصور ، ولذلك فإنّ الخطباء ((ينهلون منه ويقتبسون ويسعون إلى محاكاة أسلوبه ، وكان أثره في النثر ، سواء من حيث الأسلوب والصياغة أم من حيث الأفكار والمعاني ، أو من حيث الصّور والأخيلة ، هذا فضلاً عن اقتباس آيات منه وتوشيح الخطب بها)) (١) .

وخطب سيّدات البيت العلوي واحدة من النّصوص الأدبيّة التي استمدّت موضوعاتها من الدّين الحنيف .

وقد تنوّعت سُبُل التّضمين الديني في تلك النّصوص الفنيّة ، فجاءت بأشكال مُختلفة . وقبل الخوض في تلك المضامين أوّد الإشارة إلى أنه قد يكون نصّاً أو معنىً أو إشارة إلى معنى ، وأمثله في خطب العلويّات كثيرة ، منها ما ورد في خطبة السيّدة الزهراء B في المسجد : ((وَأَنْتُمْ الْآنَ تَزْعُمُونَ : أَنْ لَا إِرْثَ لَنَا ، Π أَفْهَكُمُ الْجَاهِلِيَّةَ يَنْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ O (٢) ؟ ! أَفَلَا تَعْلَمُونَ ؟ بَلَى ، قَدْ تَجَلَّى لَكُمْ كَالشَّمْسِ الصَّاحِيَّةِ : أَنِّي ابْنُئُهُ .

أيّها المُسلمون ! أَغْلَبُ عَلَى إرْثِيهِ ؟ ! يَا ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ ! أَفِي كِتَابِ اللَّهِ أَنْ تَرِثَ أَبَاكَ وَلَا أَرِثَ أَبِي ؟ Π لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا O [عَلَى اللَّهِ وَرَسُولُهُ] ! أَفَعَلَى عَمَدٍ تَرَكْتُمْ كِتَابَ اللَّهِ وَتَبَذَلْتُمُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ؟ إِذْ يَقُولُ : Π وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ O (٣) ، وَقَالَ : فِيمَا اقْتَصَّ مِنْ خَبَرِ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا (ع) إِذْ قَالَ :

(١) الخطابة العربية في عصرها الذهبي : ٤١ .

(٢) المائدة / ٥٠ .

(٣) النمل / ١٦ .

Π فَبَلِّغْ لِي مِنَ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴿١﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ O (١) ، وَقَالَ [أَيْضًا] : Π وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ O (٢) ، وَقَالَ : Π يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ الْإُنثَى O (٣) ، وَقَالَ : Π إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَلَدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ O (٤) ، وَزَعَمْتُمْ أَنْ لَا حِطَّةَ لِي وَلَا إِرْثَ مِنْ أَبِي وَلَا رَحِمَ بَيْنَنَا ، أَفَخَصَّكُمُ اللَّهُ بِآيَةٍ [مِنَ الْقُرْآنِ] أَخْرَجَ أَبِي [مُحَمَّدًا (ص)] مِنْهَا ؟ أَمْ هَلْ تَقُولُونَ : إِنَّ أَهْلَ الْمِلَّةَيْنِ لَا يَتَوَارَثَانِ ؟ أَوْ لَسْتُ أَنَا وَأَبِي مِنْ أَهْلِ مِلَّةٍ وَاحِدَةٍ ؟ أَمْ أَنْتُمْ أَغْلَمُ بِخُصُوصِ الْقُرْآنِ وَعُمُومِهِ مِنْ أَبِي وَابْنِ عَمِّي (((٥) ، فَهَذَا اقْتَبَسْتُ الْخُطْبَةَ هَذَا الْجَمْعُ مِنَ الْآيَاتِ الْمُبَارَكَةِ الَّتِي حَوَتْ عَلَى أَحْكَامٍ تَشْرِيعِيَّةٍ حَوْلَ مَوْضُوعِ الْإِرْثِ ، وَالْمُلَاحِظَةُ أَنَّهَا تَطَرَّقَتْ إِلَى هَذَا الْحُكْمِ بَعْدَ أَنْ ذَكَرْتَ مَآسِيَهَا ، ثُمَّ أَتَتْ بِآيَاتِ الْمَوَارِيثِ لِتَجْعَلَهَا حَلَقَةً وَصَلْ مَسْبُوقَةٌ بِتِلْكَ الْمَآسِي وَمَلْحُوقَةٌ بِشَجُونِهَا ، وَهَذَا مَا جَعَلَهَا تَذَكُّرَ آيَاتِ الْمَوَارِيثِ الْخَاصَّةِ بِالْأَنْبِيَاءِ أَوَّلًا ، وَمِنْ ثُمَّ آيَاتِ الْمَوَارِيثِ بِشَكْلِ عَامٍ ، وَكِلَاهُمَا مَوَارِيثُ الْأَنْبِيَاءِ وَمَوْضُوعُ الْمِيرَاثِ بِشَكْلِ عَامٍ مُتَّحِدَانِ فِي مَوْضُوعٍ تَشْرِيعِيٍّ وَاحِدٍ أَلَا وَهُوَ الْإِرْثُ .

وَالْخُطْبَةُ B اسْتَنْمَرَتْ آيَاتِ الْمَوَارِيثِ هَذِهِ بِالْتَّحْدِيدِ بِشَكْلِ مُتَتَالٍ لِمُحَاجَجَةِ الْقَوْمِ بِطَرِيقَةِ اسْتِدْلَالِيَّةٍ ، فَهِيَ B كَانَتْ فِي مَعْرَكَةٍ كَلَامِيَّةٍ مُحْتَدِمَةٍ مَعَ خُصُومِهَا ، فَلَمْ يَكُنْ لَهَا سِلَاحٌ غَيْرُ الْكَلَامِ الْمُنْطَقِيِّ الْمُفْعَمِ بِالْأَدْلَةِ وَالْبَرَاهِينِ .

وَمِنَ الْمَضَامِينِ الدِّينِيَّةِ أَيْضًا مَا وَرَدَ فِي خُطْبَةِ السَّيِّدَةِ الزَّهْرَاءِ B فِي نِسَاءِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، وَهِيَ تَنْصَحُ وَتُوجِّهُ وَتُنْذِرُ وَتُشِيرُ إِلَى الْخَطَرِ جَرَاءَ مَا يُحَاكُّ حَوْلَ الْإِمَامِ عَلِيِّ A فِي قَوْلِهَا : ((وَنَصَحَ لَهُمْ سِرًّا وَإِعْلَانًا ، وَلَمْ يَكُنْ يَتَحَلَّى مِنَ الْغِنَى بِطَائِلٍ ، وَلَا يَخْطِي مِنَ الدُّنْيَا بِنَائِلٍ ، غَيْرَ رِيٍّ النَّاهِلِ ، وَشِبَعَةِ الْكَافِلِ ، وَلَبَّانَ لَهُمُ الزَّاهِدُ مِنَ الرَّغْبِ ، وَالصَّادِقُ مِنَ الْكَاذِبِ ، Π وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى

أَمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَنَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ O

(١) مريم / ٦٠ - ٦١ .

(٢) الأنفال / ٧٥ .

(٣) النساء / ١١ .

(٤) البقرة / ١٨٠ .

(٥) الاحتجاج : ١ / ٢٦٧ - ٢٦٨ .

(١) ، Π ، وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ O (٢) ، أَلَا هَلُمْ فَاسْتَمِعْ

((٢) ، وهنا يتجلى الموضوع الذي أرادت إظهاره بوضوح ، وهي تعرض صفات الإمام علي A وتمزج كلامها بكلام الباري { ، لتُحقق وحدة موضوعية ضمن سياق فني بين فقرات الخطبة ، وهذا إنما يدل على عمق ثقافتها الإسلامية ، واستيعابها لدلالات القرآن الكريم ، وقدرتها على الاختيار الدقيق لنصين مختلفين ، وجمعهما في فضاء دلالي واحد ضمن سياق موضوعي ، وهذان النصان بما يحملان من معانٍ مشتركة لما أرادت عرضه من موضوع قد أسهما في تعزيز دلالة النص الخطابي دلالة مركزية .

ونجد السيدة زينب B قبل أن تدخل في موضوع خطبتها أمام يزيد في قولها : ((صَدَقَ اللَّهُ

سُبْحَانَهُ كَذَلِكَ يَقُولُ : Π ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوءَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ

O (٤) ((٥) ، فهنا تسبق النص بالإشارة إليه ، ثم تأتي به تاماً من دون تغيير ، وهذه الخطبة الوحيدة التي عمدت فيها B إلى الإشارة منها بأن ما ستقوله هو من القرآن لا من كلامها ، ويظهر أن تلك الإشارة تحمل معانٍ ومقاصد لا تتوقف عند حد إشارة أو شدّ انتباه المتلقين وضمان إصغائهم ، بل إنّ المسألة أبعد ، إذ إنّها B عمدت إلى هذه الآية وأتت بها مع الإشارة إليها ولم تُغيّر فيها لتردّ على قول يزيد :

لَعَبْتُمْ هَاشِمٌ بِالْمُلْكِ فَلَا خَبَرَ جَاءَ وَلَا وَحْيٍ نَزَلَ

وهو بهذا الاستشهاد قد أنكر نزول الوحي ، وهذا دليل على كفره وزندقته ، فمعنى البيت يؤكّد أنّ بني هاشم لعبوا بالملك تحت اسم النبوة والرّسالة ، وليس هناك وحْيٍ من عند الله { ، ولأجل أن تُدحض الخطيبة هذا الادعاء بدأت خطابها بهذا النص القرآني ، فكان اقتباساً موفقاً ، إذ إنّ الآية جاءت متناسبة من حيث المعنى لتفنيد هذا الادعاء الباطل ، فعاقبة كلّ شيءٍ آخره ، وعاقبة الذين أساءوا هي النار نتيجة كثرة الذنوب والمعاصي في سجلّ أعمالهم ، ممّا أدّى إلى أن يُكذّبوا بآيات الله ، ويُنكروا الحقائق الواضحة ، ويستهنّوا بالمقدّسات ، وممّا يلاحظ أيضاً من خلال هذا الاقتباس أن الخطيبة B قد شعرت بعظم الموقف وقلة الناصر ، وهي في ذلك

(١) الأعراف / ٩٦ .

(٢) الزمر / ٥١ .

(٣) الاحتجاج : ١ / ٢٨٩ .

(٤) الروم / ١٠ .

(٥) الاحتجاج : ٢ / ١٢٣ - ١٢٤ .

الموقف حيث الأسر ووجود أناس في المجلس جاهلين للحقيقة ، بسبب التعتيم الإعلامي الذي مارسه الحكم الأموي آنذاك ، وهذا يُحتم على من يدعي خلافة المسلمين ، وعلى كل مسلم الإنصات والاستجابة ، وهذا ما يقوي حجة الخطيب ويرفعها أمام الجمهور ، وهذا المضمون الدّيني في خطبة السيدة زينب B كشف عن قوة إيمانها بقضاء الله } ، وكذلك عن رؤيتها العميقة والواضحة لدلالة الآيات القرآنية التي تقتبسها ضمن موضوعات خطبها ، كما كشفت عن استيعابها للموقف وهي تستمد نصّاً تامّاً تضمّنه قولها في خطبتها بالشام ((فَمَهْلًا مَهْلًا لَا

تَطِشْ جَهْلًا ! أُنْسِيتَ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : Π وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا

نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ O ((١)) ، لتقوي موقفها وحجتها بهذه الاقتباسات

القرآنية ، فهنا أرادت B أن تلقي الحجة على المُخاطب وتذكره بقول الله } ، وقولها (أنسيت قول الله) لم يكن بدافع حاجتها لجواب منه ، وإنما أرادت به الخروج للتقريع والتوبيخ والإنكار لما هو فيه من فرح وسرور نتيجة جهله واعتقاده بأنه المنتصر ، ولكنها فطنت هذا الاعتقاد بهذا الاقتباس ، وأثبتت أن حقيقة الانتصار لهم ، وما فيه هو ليس بخير ، لأن العذاب ينتظره .

وتميّزت المضامين الدينية في خطب سيدات البيت العلوي بإكثار الاقتباس من آيات القرآن الكريم بما يناسب الحال والمقام ، وأيضاً تميّز هذا الاقتباس بأنه تارة يكون مباشراً وضمن سياق الخطبة كما أسلفنا ، إذ يجعل من النص وكأنه عبارة واحدة مترابطة الفقرات بشكل وثيق ضمن لوحة فنية ، إلى درجة أن المتلقي لا يشعر معها بالانتقال من فقرة إلى أخرى ، وذلك لإجادة الخطيبة في الربط بين الكلام والآية ، وأخرى يكون غير مباشر بحيث يُشير المنشئ إليه من الآيات أو بعض الآيات ، من دون أن يلتزم بلفظها وتركيبها (٢) ، كما في قول السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين B : ((وَاللَّهِ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ ، وَعَظُمَتْ أَكْبَادُكُمْ ، وَطُبِعَ عَلَى

أَفْئِدَتِكُمْ ، وَخُتِمَ عَلَى سَمْعِكُمْ وَبَصَرِكُمْ)) (٣) ، ففي مضمون خطابها إشارة إلى قوله تعالى : Π

(١) آل عمران / ١٧٨ .

(٢) الإحتجاج : ٢ / ١٢٤ ، مقتل الخوارزمي : ٢ / ٧٦ .

(٣) ظ : معجم آيات الاقتباس : .

(٤) اللهوف في قتلى الطفوف : ٩٧ - ٩٨ ، الإحتجاج : ٢ / ١٠٧ .

وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْمَعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا^(١) ، وهكذا تستمر

الخطبية بمضامين خطبتها بطريقة أدبية تُعزّز من خلالها القيمة المعنوية للنص الخطابي .
ومن المضامين الدينية في خطب السيدات المضامين العقيدية ، وقد كان لها حضور وزخم كبير ، ومنه في قول السيدة الزهراء B ((وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، كَلِمَةً جَعَلَ الْإِخْلَاصَ تَأْوِيلَهَا ، وَضَمَّنَ الْقُلُوبَ مَوْصُولَهَا ، وَأَنَارَ فِي التَّفَكُّرِ مَعْقُولَهَا ، أُمْتَمَعَ مِنَ الْأَبْصَارِ رُؤْيَاهُ ، وَمِنْ الْأَلْسُنِ صِفَتُهُ ، وَمِنْ الْأَوْهَامِ كَيْفِيَّتُهُ ، ابْتَدَعَ الْأَشْيَاءَ لَا مِنْ شَيْءٍ كَانَ قَبْلَهَا ، وَأَنْشَأَهَا بِلاَ اخْتِدَاءٍ أَمْثَلَهَا كَوْنَهَا بِقُدْرَتِهِ))^(٢) ، فهنا تحدّثت الخطيبة B ((عن ركائز الدين ودعائم الإسلام ، مُبَادِرَةً وَقَبْلَ أَنْ تُثِيرَ أَيَّ مَوْضُوعٍ مَعَ خُصُومِهَا الَّذِينَ مَلَأُوهَا قَهْرًا وَاهْتِزَامًا ، وَفِي ذَلِكَ حِكَايَةٌ صَادِقَةٌ عَنْ تَعَلُّقِهَا بِرَبِّهَا وَمَعْبُودِهَا ، وَحِرْصِهَا عَلَى تَرْكِيزِ مَبَادِئِ الْإِعْتِقَادِ فِي نَفُوسِ الْأُمَّةِ ، وَأَنْ تَحْفَظَ مَكَانَ النَّبِيِّ 9 فِي إِرْشَادِهَا وَتَعْلِيمِهَا لِلْأُمَّةِ ، مُضَافًا إِلَى اعْتِدَادِ ذَلِكَ رَكِيزَةً فِي مُنَاقَشَاتِهَا الْآتِيَةِ))^(٣) ، ونلاحظ من نصّها الأدبي أنّ الأفكار التي عرضتها في موضوع التوحيد ، الأصل الأول من أصول العقيدة ، تتلخّص بالشهادة التي أكّدت عليها بأكثر من صيغة (لا إله إلا الله ، وحده ، لا شريك له) والإخلاص له ، والتوحيد الفطري ثمّ التوحيد النظري ، وأخيراً عمدت إلى ذكر الصفات المقدّسة له في مظاهر التوحيد .

وفي خطبة السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين B يتجلّى لنا الأصل الرابع من أصول العقيدة وهو الإمامة في قولها ((وَجَعَلَ عِلْمُهُ عِنْدَنَا ، وَفَهْمُهُ لَدَيْنَا ، فَتَحْنُ عَيْبَةَ عِلْمِهِ ، وَوَعَاءُ فَهْمِهِ وَحِكْمَتِهِ ، وَحُجَّتُهُ فِي الْأَرْضِ فِي بِلَادِهِ لِعِبَادِهِ ، أَكْرَمَنَا اللَّهُ بِكَرَامَتِهِ ، وَفَضَّلَنَا بِنَبِيِّهِ 9 عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَهُ تَفْضِيلًا))^(٤) ، فهنا نلاحظ البعد العقيدي ، إذ تصف أهل البيت Δ بالفدرة على حفظ علم الله ، واستمراريتهم على ذلك ومعرفة حكمته ، وتدرّج في خطابها حتّى تصفهم بأنهم المؤتمنون على إرث النبوة الدّيني والعلمي ، وهذه إشارة منها B إلى أنّهم حُجّة الله على الأرض ، لذلك فهو أكرمهم وفضلهم على غيرهم ، وقد أتت بدليل قرآني من خلال اقتباسها للآية بعد قولها ((

^(١) الأنعام / ٢٥ .

^(٢) الاحتجاج : ١ / ٢٥٥ ، دلالات الإمامة : ٣١ - ٣٢ .

^(٣) فاطمة صوت الحق الإلهي : ٢٩ - ٣٠ .

^(٤) اللهوف في قتلى الطفوف : ٩٦ - ٩٧ ، الاحتجاج : ٢ / ١٠٦ .

ويلكم أحسدتمونا على ما فضلنا الله Π ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (١) ((
(٢) يقوِّي كلامها هذا .

وبإشارة إلى الأصل العقيدي الثالث والرابع (النبوة والإمامة) من السيدة زينب B في خطبتها أمام أهل الكوفة تقول : ((قَتَلَ سَلِيلَ خَاتَمِ النَّبُوَّةِ ، وَمَعْدِنِ الرَّسَالَةِ ، وَسَيِّدِ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ)) (٣) ، إذ كتبت B لتظهر مقام النبوة (الرسول) على سائر الأنبياء ، وهي B إنما عمدت إلى هاتين الكنيتين لتحمل كلمة سليل التي أضيفت إليهما الدلالة التي تراها لذلك السليل ، إذ إنها لم تعد سلالة دموية جسدية ، بل تحولت إلى سلالة عقيدية إيمانية وانتماء إلى أرقى ما في النبوة من معنى ، وقد أتت B بجُملة (سيد شباب أهل الجنة) وعطفها على (سليل خاتم النبوة) لا لتذكّر برأي الرسول G في الإمام الحسين A فحسب ؛ ولكن لتقدّم مظلومية الإمام ومقامه عند ربّ العالمين أيضاً ، ولتضيء كلمة (سليل) إضاءة جديدة وتجعله (سليلاً مُميّزاً) وغرضها من ذلك الإيماء إلى العصمة ، مُهَدِّةً بذلك للحديث عن صورة الإمام الحسين A ببُعدها العلمي الدنيوي عبر سلسلة من أسماء المكان المُضافة إلى القضايا الأساس التي كانت تشغل أذهان الكوفيين (٤) .

وفي خطبة للسيدة أم كلثوم بنت أمير المؤمنين X تقول : ((قَتَلْتُمْ خَيْرَ رِجَالٍ بَعْدَ النَّبِيِّ G ، وَنَزَعْتِ الرَّحْمَةَ مِنْ قُلُوبِكُمْ)) (٥) ، فهنا تشير إلى مضمون عقيدي هو الإمامة للإمام الحسين A ، وخطابها B يكشف عن مكانة الإمام الحسين A إلى جانب بيانه لعظم الجريمة التي اقترفوها إذ قتلوا خير الرجال بعد النبي G وبعد أبيه وأخيه "عليهم السلام".

من خلال النماذج التي تمّ عرضها نستطيع القول بأنّ المضامين الدينية قد تمحورت في مجالين هما : التشريعي والعقدي ، وقد أسند كلُّ منهما بالدعم القرآني والحديث الشريف ، ولذلك اتسقت تلك المضامين مع حياة المجتمع الإسلامي ، وخرجت مؤثرة فيه ، فالخطيبات انطلقن في تلك المضامين من أصول دينية بحتة ، مستهدفات من ذلك ترسيخ المبادئ والقيم

(١) الحديد / ٢١ .

(٢) اللهوف في قتلى الطفوف : ٩٧ .

(٣) بلاغات النساء : ٢٤ ، نثر الدر : ٢٠ ، الاحتجاج : ١١١ / ٢ .

(٤) ظ : أثر كربلاء في خطابة آل البيت والتوابين - رؤية عناصر الواقعة واللغة الفنية (بحث منشور في مجلة المنهاج) ع ٥ - ٦ ، السنة الثانية .

(٥) اللهوف : ٩٩ .

الدينيّة ، فكان مسار تلك المضامين مُتشابهاً إلا ما جاء رهنأً بظروف طرأت نتيجة تقلّب الأحداث وتآزُر الأوضاع ، ولكنها بأيّ حال كانت ضمن سياق الإطار الديني .

المبحث الثاني

المضامين السياسيّة

كان للموضوعات السياسيّة نصيب وافر في خطب سيدات البيت العلوي ، لأنها لازمت تغييرات كبيرة على واقع السياسة في مرحلتين ؛ الأولى بعد وفاة النبي ٩ ، والثانية بعد قتل الإمام الحسين A ، وقد تفاعلت الخطيبات مع تطورات الساحة السياسيّة ، لأنّ العصر كان مُزدحمًا بالأحداث والتطوّرات ، حافلاً بتضارب الآراء والنزعات ، مليئاً بالاصطدام وكان أدبه زاخراً بصور ذلك كله (١) ، لذلك جاءت خطبهنّ مُمثّلة للواقع وعمّق اتّصاله وارتباطه بوجودان المُتلقين .

وتتجلى المضامين السياسيّة في خطبة السيدة الزهراء B أمام المهاجرين والأنصار بشكل واضح ، وسبب ذلك أنّه لمّا قبضَ رسول الله ٩ وأجمع أبو بكر على منعها فدياً وحرمانها من ملكها ومنعها من التصرف (٢) .

خطبت B خطبتها التي كانت ((مثلاً للفصاحة والبلاغة ، ورسمت صورة عن السياسة أثر وفاة النبي وبيّنت التخاصم الذي وقع طلباً للخلافة)) (٣) ، وفيها تحدّثت عن الآثار الوخيمة التي ظهرت في المجتمع بعد وفاة الرسول ٩ جرّاء اغتصاب الخلافة من محلّها ، فبدأت B بوصف فشل المهاجرين والأنصار في المرحلة التي مروا بها بعد وفاة أبيها ٩ الذي طالما سمعوه يقول : (يا علي أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه لا نبي بعدي) (٤) ، ويقول ٩ : (علي أخي ووصيّ ووزير وخليفتي من بعدي) (٥) ، وإذا بهم بعد وفاته ينسجون المؤامرة فيزّيحون الخلافة عن صاحبها الشرعي الذي تحدّث عنها قائلاً : ((إنّ محليّ منها محلّ القطب من الرّحى ، ينحدر عنيّ السيل ولا يرقى إليّ الطير)) (٦) .

(١) ظ : الخطابة في عصر صدر الإسلام : ٧٣ / ٢ .

(٢) ظ : فاطمة صوت الحق الإلهي : ١٦ .

(٣) الأدب السياسي المُلتزم في الإسلام : ٩٦ .

(٤) مسند أحمد بن حنبل : ٣٣٠ / ١ .

(٥) تاريخ الأمم والملوك : ٢١٧ / ٢ .

(٦) نهج البلاغة : ٢٥ / ١ .

وهذا ما يتجسد في خطبة السيدة الزهراء B في نساء المهاجرين والأنصار : ((وَيَحْهُمْ
أَنِّي زَعَرْتُهَا عَنْ رَوَاسِي الرِّسَالَةِ ، وَقَوَاعِدِ الثُّبُوتِ والدَّلَالَةِ ، وَمَهْطِ الرُّوحِ الْأَمِينِ ، وَالطَّيْنِ بِأُمُورِ الدُّنْيَا
وَالدِّينِ ؟! Π أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ O (١) . وَمَا الَّذِي نَقِمُوا مِنْ أَبِي الْحَسَنِ A ؟! نَقِمُوا وَاللَّهِ مِنْهُ
نَكِيرَ سَيْفِهِ ، [وَقَلَّةَ مُبَالَاتِهِ لِحَتْفِهِ] ، وَشِدَّةَ وَطْأَتِهِ ، وَنَكَالَ وَقَعْتِهِ ، وَتَنَمُّرَهُ فِي ذَاتِ اللَّهِ . وَتَالَلَّهِ لَوْ مَالُوا عَنْ
الْمَحْجَةِ اللَّايِحَةِ ، وَزَالُوا عَنْ قُبُولِ الْحُجَّةِ الْوَاضِحَةِ ، لَرَدَّهُمْ إِلَيْهَا ، وَحَمَلَهُمْ عَلَيْهَا ، وَلَسَارَ بِهِمْ سَيْرًا سُجْحًا ،
لَا يَكَلُمُ خِشَاشُهُ ، وَلَا يَكِلُ سَائِرُهُ ، وَلَا يَمَلُّ رَاكِبُهُ ، وَلَأَوْرَدَهُمْ مِنْهَا نَمِيرًا صَافِيًا رَوِيًّا ، تَطْفَحُ صِفَتَاهُ ، وَلَا
يَتَرَقُّ جَانِبَاهُ ، وَلَأَصْدَرَهُمْ بِطَانًا ، وَنَصَحَ لَهُمْ سِرًّا وَإِعْلَانًا)) (٢) ، فهنا تدرجت الخطيبة منطقياً في
خطابها لتعالج أعظم الأمور وأخطرها ، ألا وهو الإمامة ، فأخذت تظهر عجبها من الأمور
وتصرف الدهور ، وتستمر في سياق خطبتها لتكشف عن جلال مرتقى الإمامة وشامخ مقام
الإمام A مُتَّخَذَةً مِنَ الْوَصْفِ عُنْوَانًا عَلَى الْمَوْصُوفِ ، وَمِنْ مَوَاقِفِهِ الْحُكْمَ لِلْمَوْضُوعِ ، فَكَيْفَ
وإِلَى أَيْنَ نَحْوَا الإمامة وأبعدوها عن مواطنها ، ومن كلام السيدة الزهراء B يظهر لنا أن
أساس رأس الحكومة الإسلامية هم أهل البيت Δ ، وخلاف تسلمهم لها فإن الأمة الإسلامية
ستكون في خلاف مستمر ، والفرقة ستحدث بينهم بلا شك ، وهي إنما عمدت إلى الإشارة إليها
بعد اغتصابها من صاحبها الشرعي ، ولعل الأيام التي أعقبت كلامها أثبتت ذلك .

ويبدو أن صوتها ، حينما خرجت لتخطب في مسجد أبيها لم يسمعه إلا نفر قليل - إن ما
سُمعَ من خطابها ليس كلامها المنطوق - إن ما دونه التاريخ من ذلك الخطاب ، هو المعنى - هو
الفكر - هو التمرد على كل ما هو ظلم وجور ... لقد شرحت في الخطاب رسالة أبيها - لا لتشرح
الرسالة - بل لتعين مركزها من الرسالة - مركز علي منها - ولقد طالبت بالإرث ، مثبتة أن لها
حقاً فيه كما لكل النبيين من وراء آبائهم (٣) ، وهي B كانت تعلم بأن مطالبتها بفدك لن تُعيد
إليها الأرض ، لذلك فإنها لم تطلب أرضاً فيها نخيل ولم تقصدها ، بل قصدت إرثاً آخر ، إرث
فيه عزّة النفس ، وأصالة الحق ، فضلاً عن عنفوان الرسالة ورأس سياسة الدولة الإسلامية
(٤) .

(١) الزمر / ١٥ .

(٢) بلاغات النساء : ٢٠ ، دلائل الإمامة : ٤٠ ، نثر الدر : ٨ - ٩ ، الاحتجاج : ١ / ٢٨٧ - ٢٨٩ .

(٣) ظ : فاطمة الزهراء وتر في غمد : ١٣١ - ١٣٢ .

(٤) ظ : م ن : ١٣١ .

وقد صرّحت بذلك في خطبتها B أمام المهاجرين والأنصار في مسجد أبيها حينما قالت:
 ((واطاعتنا نظاماً للملّة ، وإمامتنا أماناً من الفرقة)) (١) ، إذ قصدت B أن طاعة أهل البيت Δ عامل
 إيجابي لاستقامة الأمة ، كونهم خلفاء الله في أرضه ، ولأنهم وجود مقدّس لا باطل ولا ضلال ،
 وفي ذلك إشارة منها إلى قضية سياسية ألا وهي رئاسة الأمة الإسلامية من قبل أهل البيت Δ ،
 لا لأجل المنصب ، بل لأن إمامتهم Δ ضمان لسلامة الأمة وتوحيدها ، ذلك أن إمامتهم Δ صمّام
 الأمان لوحدة المسلمين وعدم تشتّتهم ، إذ إنّها تنطلق من نصّ إلهيّ في تنصيب وتولية الأمر
 إلى الإمام علي A ، وهذا التنصيب لم يرد بحقّ إمامة أخرى ، وعلى ذلك فإنّ المسلمين إذا لم
 يفرطوا بهذه الإمامة فسيكونون جماعة واحدة لا يفرّقهم شيء ، ويؤيّد ذلك قول الرسول G :
 ((النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأمتي)) (٢) .

ولفهم الحديث المتقدّم يتوجّب ضمّهما إلى قول السيدة فاطمة B : ((وإمامتنا أماناً من الفرقة
)) ، فستكون النتيجة أنّ المقصود بإمامة أهل البيت Δ أن يكونوا على رأس الحكومة الإسلامية
 ، لا أن يلتزموا بيوثهم لا حول لهم ولا قوّة ، أو كانوا مُشرّدين ، فإنّ الخلاف والفرقة
 سيحصلان قطعاً ، لذا فإنّ حديثي الرسول G وقول الخطيبة B تستدعي العمل الحديث من أجل
 إعادة السّلطة إلى أصحابها (أهل البيت Δ) ، وهذه نتيجة واضحة من خلال خطاب السيدة
 الزهراء B ولاسيّما أنّها أدلت بها في أثناء اغتصاب الخلافة (٣) بعد وفاة رسول الله G ،
 وتطرّقت لشجونها وأشارت في أكثر من موضع من خطبتها أمام المهاجرين والأنصار إلى أنّهم
 قد مالوا بها عن موطنها (٤) .

ومضامين السياسة في خطب السيدة الزهراء B الأخرى فضلاً على التي ذكرناها إنّما
 جاءت استكمالاً لنظائرها من المضامين الدينيّة والاجتماعيّة ، وكأنّما حدثت بها الرغبة إلى
 إشباع هذا الجانب في نفس المتلقّي وإشراكه في القضية التي ثارت شجونها (الخلافة) ، وهي
 B إنّما أعطت من خطبها مساحة واسعة للمضامين السياسيّة ذلك أنّ أهل البيت Δ إنّما يبتغون

(١) دلّال الإمامة : ٣٣ . الاحتجاج : ١ / ٢٥٨ .

(٢) ينابيع المودة : ٢٠ .

(٣) ظ : فاطمة الزهراء B شخصيّتها / ظلامتها (روية جديدة) : ٢٦٤ .

(٤) ظ : خطبة السيدة الزهراء B على القوم لما منعوا فذك ، بلاغات النساء : ١٢ - ١٩ ، دلّال الإمامة : ٣٠ - ٣٩ ، نشر الدر : ٨ - ٥ ، الاحتجاج : ١ / ٢٥٣ - ٢٧٨ ، وخطبتها أمام نساء المهاجرين والأنصار : بلاغات النساء : ١٩ - ٢٠ ، دلّال الإمامة : ٤١ - ٣٩ ، نشر الدر : ٨ - ٩ ، الاحتجاج : ١ / ٢٨٦ - ٢٩٢ ، ففيها تطرّقت إلى مسألة الخلافة وأحقّيّة أهل البيت Δ فيها ، وكانت إشاراتها بيّنة نتيجة خبرتها بشئون الحياة وشجونها وآلامها فلمحت في خطبتها أمام نساء المهاجرين والأنصار بقولها : ((يَا حَسْرَةَ لَكُمْ ! يَا بَكْم)) إلى تخاصم أهل البيت في الخلافة ، ممّا حدا بها إلى تحذيرهم من سوء العاقبة ، وبالفعل تُشير الكتب التاريخية إلى ما حلّ بأهل المدينة بعد بيعة عثمان بن عفان التي مهدت إلى الحكم الأموي ، الذي خاض وقعة الحرّة واستباح المدينة سنة ٦٣ هـ .

من السياسة الإصلاح ، ولذلك نجد المؤثرات الدينية تُغطي بشكل واسع تلك الموضوعات السياسية التي تطرقت إليها ، فحينما تأتي بالجهاد تذكر الإسلام (والجهاد عزراً للإسلام) ، وحينما تذكر طاعتهم المفروضة من قبل الباري { تأتي معه بلازم نظام الأمة الإسلامية (وطاعتنا نظاماً للملة) ، وبعد أن تذكر الخلافة تربطها بالرسالة (ويجهم آتئ زحزحوها عن رواسي الرسالة) ، وهذا يدل على أن المؤثر الإسلامي مُلازمٌ لأغلب مضامينها السياسية ، ويُعدُّ هذا نوعاً من التداخل بين الحسّ السياسي والديني وليس هذا بغريب ، إذ إن أهل البيت Δ لا يفصلون بين الدين والسياسة .

وجديرٌ بنا بعد أن تطرّقنا إلى المضامين السياسية في خطب السيدة الزهراء B أن نذكر بأنها موسوعة ثقافية ووثيقة تاريخية بكل ما حوته من مضامين سياسية دلّت على جوهر المواقف التي مرّ بها آل البيت Δ بعد وفاة الرسول 9 .

وكما تصدّت السيدة الزهراء B سياسياً تصدّت ابنتها العفيفة زينب B بعد قتل الإمام الحسين A حينما وقفت مُتحديةً يزيد بن معاوية بقولها : ((أَطَنَّتْ يَا يَزِيدُ أَتَكَ حِينَ أَخَذْتَ عَلَيْنَا أَقْطَارَ الْأَرْضِ ، وَصَيَّقْتَ عَلَيْنَا آفَاقَ السَّمَاءِ ، فَأَصْبَحْنَا لَكَ فِي إِسَارٍ ، نُسَاقُ إِلَيْكَ سَوْقاً فِي قِطَارٍ ، وَأَنْتَ عَلَيْنَا ذُو اقْتِدَارٍ أَنْ بَنَّا مِنَ اللَّهِ هَوَاناً وَعَلَيْكَ مِنْهُ كَرَامَةٌ وَامْتِنَاناً ، وَأَنَّ ذَلِكَ لِعِظَمِ خَطَرِكَ ، وَجَلَالَةِ قَدْرِكَ ، فَشَمَخْتَ بِأَنْفِكَ ، وَظَنَنْتَ فِي عِطْفِكَ ، تَضْرِبُ أَصْدْرِيكَ فَرِحاً وَتَنْقُضُ مِذْرَوِيكَ مَرَحاً حِينَ رَأَيْتَ الدُّنْيَا لَكَ مُسْتَوْسِقَةً وَالْأُمُورَ لَدَيْكَ مُتَسِقَةً وَحِينَ صَفَا لَكَ مُلْكُنَا ، وَخَلَصَ لَكَ سُلْطَانُنَا ، فَمَهْلًا مَهْلًا)) (١) ، وقد كشفت في خطبتها B هذه عن حكمه الباطل ، وتعلنُ أمام الحاضرين بأنّ الملك والسلطة إنما لأهل البيت Δ حينما تقول : (حين صفا لك ملكنا وسلطاننا) ، وهي بذلك تكشف عن قضية سياسية بشجاعة فائقة ، وتندرج بحديثها لتبين أن الرسول 9 جدّها هو الذي ((أرسى دعائم الدين بأحكام أمر الإمامة والخلافة في صفوة عترته وأهل بيته ، فعليّ إمام ووصي ووارث ، ومن بعده ابنه وسبطا رسول الله الإمام الحسن فالإمام الحسين)) (٢) ، وهذا الخطاب من السيدة زينب B يكشف عن شجاعتها ، إذ خاطبت من لا يجرو أحد على تكليمه وفضحته أمام الخلائق ، وكشفت عن أحقية أهل البيت Δ في تولي السلطة ، وإثمه وأباه مغتصبان لها .

(١) نشر الدر : ١٧ - ١٩ ، الاحتجاج : ١٢٤ / ٢ .

(٢) زينب والظالمون : ١١٠ .

ولم تكتفِ بذلك ، بل أشارت إلى حدث سياسي مهم حينما تقول : ((أَمِنَ الْعَدْلُ يَا بَنَ الطَّلَقَاءِ تخديركَ حرائركَ وإماءك ، وَسَوْفَكَ بِنَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ)) (١) ، وبه تُحطَمُ كبرياء ذلك الحاكم الجائر باستخدامها كلمة (يا ابن الطلقاء) ، إذ بها أعلمت الحاضرين بأن يزيد الحاكم عليهم ، والمُسِيرَ لأُمُور بلادهم ، إنما هو من سُلالة الطَّلَقَاء الذين أطلقهم الرسول ﷺ بعد فتح مكة وامتلاكه لرقابهم ودمانهم ، لكنّه ﷺ أطلق سراحهم ، وكان أبو سفيانَ وهند وابنهما معاوية على رأس الطلقاء المُعتقين ، والخطيبة عمدت إلى ذكر هذه الحادثة التاريخية السياسية ، لتؤكد تسلم الحكم إلى من لا يستحق بعد أن هزلت المقاييس (٢) .

وبذلك تكون السيدة زينب B قد أشارت إلى مسألة مهمة جداً وهي أنّ هذه الدولة والكيان الإسلامي إنما أشادته سيُوفُ بني هاشم وتضحيات آل الرسول ﷺ بالدرجة الأولى (حين صفا لك مُلكنا وسلطاننا) ، فأهل البيت Δ هم أصل القيادة الحقيقية للأمة الإسلامية ، وإليهم يعود الفضل (٣) ، ولاسيما للرسول ﷺ الذي عفا عن الطلقاء من أسلاف يزيد .

نستشفّ من ذلك أنّ السيدة الزهراء B والسيدة زينب B قد اشتركتا في إظهار قضية مهمة من خلال خطبهنّ ، ألا وهي (الإمامة) ، والهدف واحد وهو ((بثّ الدعوة لأهل البيت ونشر فضائلهم ومحاسنهم ومثالب غيرهم ومساوئهم ، وإفهام النَّاس جميعاً أنّ الإسلام في حقيقته لا يقومُ على التلقُظ بالشهادة وتأدية الفرائض المكتوبة وكفى ، بل لا بُدَّ أولاً وقبل كلّ شيء من التصديق بما جاء به محمد ، ومما جاء به وجوب التمسك بالكتاب والعتره)) (٤) .

من هذه المضامين السياسية في خطب سيدات البيت العلوي تتجلى روحية الخطيبات الهادفة إلى الإصلاح والإرشاد لا إلى السُّطّة بما هي سُلطة ، فقد كشفت في خطبهنّ من خلال التعرّض لمسألة الخلافة (الإمامة) عن المهاد والمصير الذي ستؤول إليه البلاد الإسلامية إذا لم تنهض الأمة لتصحيح المسار وضبط زمام الأمور لإصلاح الأمر وتوجيه الموقف ، مُتَّخِذَاتٍ سندهنّ السياسي في أثناء خطاباتهنّ من واقع آثار الفوضى التي حلت بالمجتمع في مرحلتين ؛ الأولى ما بعد وفاة الرسول ﷺ ، والأخرى ما بعد واقعة كربلاء وقتل الإمام الحسين A ، فكان من الطبيعي أن تعرض كلّ خطيبة ما ضمّنته لخطبتها من موضوعات سياسية في سياق تلك

(١) بلاغات النساء : ١٢ ، نثر الدر : ١٨ ، الاحتجاج : ١٢٥ / ٢ .

(٢) ظ : زينب والظالمون : ١١٧ - ١١٨ .

(٣) ظ : دور نساء آل البيت السياسي والفكري في معركة الطف (اطروحة) دكتوراه : ٢٧٩ وما بعدها .

(٤) ظ : زينب والظالمون : ١٤٧ - ١٤٨ .

الأنماط الخاضعة لآثار هذه الفوضى ، ولذلك كانت تلك المضامين بمثابة إظهار لما في نفس الخطيبات من رسم ومنهج وخطة في الأمور السياسيّة المرتبطة بالرسالة المحمّدية .

المبحث الثالث

المضامين الاجتماعيّة

استطاعت خطب سيّدات البيت العلوي أن تُغطي مساحة واسعة من الموضوعات الاجتماعيّة عبر فقراتها المتنوّعة ، وبدأت مضامينها رهناً بما كانت تمرُّ به الخطيبات ، ولكنّها - في هذا الإطار - ظلت مشوبة بالمطالب الاجتماعيّة وما يرتبط بها ، ونتيجة ذلك بدا المؤثر الإسلامي رافداً من روافدها ، ممّا حدا بالبحث أن يصف بعض تلك المضامين الاجتماعيّة ضمن سياق اللون الديني الصريح ، وهذا ما يبدو من خلال عرض تلك المضامين التي تُعدُّ بمثابة المرآة العاكسة لواقع الحياة وطبيعة الفكر الإنساني السائد لما تضمّنته من قيم وعلاقات اجتماعيّة سائدة في المجتمع آنذاك ، ومثال ذلك ما ورد في خطبة السيدة الزهراء B في المسجد : ((فَجَعَلَ اللَّهُ الْإِيمَانَ ؛ تَطْهِيراً لَكُمْ مِنَ الشَّرِّ ، وَالصَّلَاةَ ؛ تَنْزِيهاً لَكُمْ عَنِ الْكِبَرِ ، وَالزَّكَاةَ ؛ تَرْكِياً لِلنَّفْسِ ، وَنَمَاءً فِي الرِّزْقِ ، وَالصِّيَامَ ؛ تَنْبِيهاً لِلْإِحْلَاصِ ، وَالْحَجَّ ؛ تَشْييداً لِلدِّينِ ، وَالْعَدْلَ ؛ تَنْسِيحاً لِلْقُلُوبِ ، وَطَاعَتَنَا ؛ نِظَاماً لِلْمِلَّةِ ، وَإِمَامَتَنَا ؛ أَمَاناً مِنَ الْفِرْقَةِ ، وَالْجِهَادَ ؛ عِزّاً لِلْإِسْلَامِ ، [وَذُلّاً لِأَهْلِ الْكُفْرِ وَالتَّفَاق] ، وَالصَّبْرَ ؛ مَعُونَةً عَلَى اسْتِجَابِ الْأَجْرِ ، وَالْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ ؛ مَصْلَحَةً لِلْعَامَّةِ ، وَبِرَّ الْوَالِدَيْنِ ؛ وَقَايَةً مِنَ السَّخَطِ ، وَصِلَةَ الْأَرْحَامِ ؛ مَنْسَأَةً فِي الْعُمُرِ وَمَنْمَاءً لِلْعَدَدِ ، وَالْقِصَاصَ ؛ حَقّاً لِلدِّمَاءِ ، وَالْوَفَاءَ بِالنَّذْرِ ؛ تَعْرِيضاً لِلْمَغْفِرَةِ ، وَتَوْفِيَةً الْمَكَايِلِ وَالْمَوَازِينِ ؛ تَغْييراً لِلْبَحْسِ ، وَالنَّهْيَ عَنْ شُرْبِ الْخَمْرِ ؛ تَنْزِيهاً عَنِ الرَّجْسِ ، وَاجْتِنَابَ الْقَذْفِ ؛ حِجَاباً عَنِ اللَّعْنَةِ ، وَتَرْكَ السَّرِقَةِ ؛ إِجْبَاباً لِلْعَفَّةِ ، وَحَرَمَ اللَّهِ الشَّرْكَ إِخْلَاصاً لَهُ بِالرَّبُوبِيَّةِ

فـ Π اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ^(١) ، وأطيعوا الله فيما أمركم به و[ما] نهاكم

عنه ، فإنه Π إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ^(٢) ، إذ إنها B قد ضمنت هذا المقطع من

خطبتها مضامين اجتماعية متعددة ، وقد وشحتها بمؤثر ديني ، وهذا لا يعني أن هذه المضامين دينية ، إذ إن ((المؤثر الديني شيء والخطابة الدينية شيء آخر مختلف تماماً))^(٣) ، والخطبية إنما عمدت إلى المؤثرات الدينية لكونها راسخة في فكر المتلقين ، لذلك أثرتها لتجذب انتباههم وتشد أذهانهم ، وسأفصل الشرح في مضامين هذا المقطع وصولاً إلى أنواع مضامينها الاجتماعية بدءاً من قولها : ((فجعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك)) ، حيث أنها B تؤكد انزياح ظاهرة الشرك التي كانت متفشية في المجتمع الجاهلي ، وحلول الإيمان محلها ، ونمو عملية التطهير ، واعتقد أنها عمدت إلى مفردة (الشرك) مقابل كلمة (التوحيد) ، فالشرك هو ما يخالف التوحيد بكل ما يحمل من معنى للذات المقدسة .

وفي قولها : (والصلاة تنزيهاً لكم عن الكبر) نجدها B تجعل من الصلاة لازماً أخلاقياً ، وهنا يتضح التأثير الديني في خطابها ، فقد أشارت B إلى أن الصلاة تنزيه عن الكبر ، وهذا واضح من قوله تعالى : Π إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ^(٤) ، و ((المنكر هو كل ما يُنكره العقل والشرع . والكبر ، الذي تنزه عنه الصلاة منكر عقلاً وشرعاً فالعقل يقول : إن الناس سواسية فلماذا يتكبر زيد على عمرو ؟ والشرع يقول : الكبر رداء الله فمن تكبر فقد نازع الله رداءه))^(٥) .

والخطبية B أرادت من ذلك أن تبين أن الصلاة هي التي تقوم بهذه الوظيفة الأخلاقية التي تترك آثارها الإيجابية على عموم المجتمع إذا ما التزم بها أفراد .

ومن المنطلق نفسه توجهت إلى الزكاة بقولها : (والزكاة تركية للنفس ونماء في الرزق) لنفصح عن بعض آثارها الأخلاقية ، إذ إنها تُزكي النفس ، وهذا المعنى مُستمد من قوله تعالى :

^(١) آل عمران / ١٠٢ .

^(٢) فاطر / ٢٨ .

^(٣) بلاغات النساء : ١٦ ، دلالة الإمامة : ٣٢ - ٣٣ ، الاحتجاج : ١ / ٢٥٨ - ٢٥٩ .

^(٤) النثر الفني بين صدر الإسلام والعصر الأموي (دراسة تحليلية) : ٢٠٥ .

^(٥) العنكبوت / ٤٥ .

^(٦) فاطمة الزهراء B شخصيتها ، ظلامتها (روية جديدة) : ٢٦١ .

Π خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ^(١) O ، فالزكاة لا تُمثّل حركة مادية في المجتمع

فحسب؛ بل تتعدّى ذلك لُتمثّل ارتفاعاً في رُوحية العطاء ، بحيث يشعر الإنسان بطهارة نفسه ، وهو يُؤثّر على المحرومين ويُساعدهم ، وهكذا تتدرّج B حينما تقول : (والصيام تشبّهًا للإخلاص) وهذا لازم أخلاقي ، إذ ركّزت على العلاقة الوطيدة ما بين الإثنين ، فالصوم ليس ظاهراً للعيان ، لذلك فخير ملازم له هو الإخلاص .

وأنت بعد ذلك بعبارة : (والحج تشبيداً للدين) ذلك أنّ فريضة الحج لها دورٌ في تشييد دعائم الدين ، فهو على الرغم ممّا يُلَاقِيه مؤدّيه من تعب ونصب وتعرّض للخطر ، إلا أنّه مستمر على مدار السنين ، فالحشود متواصلة في سيرها لأدائه ، وهذا يدلّ أنّ سبب أدائها هو الدافع الديني انطلاقاً من قوله تعالى : Π وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا^(٢) ،

وإلى جانب ذلك تتجلّى فيه آثارٌ جمّة ذات منافع كبرى تعود على المجتمع ، فمنها اجتماع المسلمين في مكان واحد ، وتبادل الثقافات والآراء وطرح الأفكار السياسية منها والاجتماعية ، وهذه الأمور مجتمعة في الحجّ إذا ما وظفت بشكل صحيح فستعود بمنافعها على المجتمع ، وهذا ما أرادت الخطيبة B الإشارة إليه .

ثمّ أكّدت على أهمية العدل في تنظيم وتنسيق القلوب ، فقالت : (والعدل تنسيقاً للقلوب) ، وقد أرادت من ذلك أن تُبيّن بأنّ المجتمع إذا كان مُعتمداً في نظامه على مبدأ العدل ، فإنّه بلا شكّ سيزخر بالأمن والاستقرار ، وسوف لن يُواجه أية مشكلات ، وهي بهذا الإيراد أكّدت على قضية اجتماعية كبرى من المُمكن أن تنهار مجتمعات بأكملها عند غيابها أو عدم وجودها .

وتستمر السيدة الزهراء B في ذكر المضامين الأخلاقية بطريقة ذات أبعاد جديدة يغلب عليها منطق الصّراع ولُغة التّحدّي حينما تقول : (والصبر معونة على استيجاب الأجر) ، وكأنّها عمدت إلى ذكر الصبر بشكل مباشر ، كونه يخصّ الإنسان المؤمن ، وهي في ظرف كان يتطلب منها الصبر لمواجهة التّحديات ، إذ إنّ الصبر وظيفته المقاومة .

وفي كلام وجّهته إلى المتلقين من المهاجرين والأنصار أرادت فيه بيان مصلحة الأمة الإسلامية القائمة على مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بقولها : (والأمر بالمعروف مصلحة للعامة) فيه تكامل حركة المجتمع في إصلاح الواقع ، لأنّ الناس إذا تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ضعف المجتمع وسار نحو الانهيار ، ذلك أنّ مسألة الأمر

(١) التوبة / ١٠٣ .

(٢) آل عمران / ٩٧ .

بالمعروف والنهي عن المنكر فضلاً عن أن باعته ديني إلا أنه إذا لم يُمارس فستندم الرقابة العملية ، وسوف يُسيطر من يصنع المنكر على المجتمع ويُفسده حتماً (١) .

واستمرت الخطبة B في تنبيه المتلقين وحثهم في مواضع كثيرة ، لتعزيز موقفهم وهم ينتقلون إلى وضع جديد ممزوج بحيثيات ذات أبعاد متحوّلة ، بما حملته تلك الأبعاد من الانخراط في زحام اللاواقع ، وكثرة الفتن ، وتباين الفرق والاتجاهات ، ممّا حدا بها إلى ردد خطبتها بدلالات اجتماعية أغنت فيها التجربة الإبداعية صدقاً فنياً وواقعية ، ومنحتها بُعداً زمنياً ومكانياً خالداً في ضمير المتلقين ، فكانت مضامينها الاجتماعية مقدّمة بطريقتين ؛ هما الردع لبعض القيم المفروضة ، وتعزيز القيم التي أمر الله { نبيه الأكرم } بها من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية لترسيخهما ، وهذا ما يتجسد في قولها : ((وَبِرِّ الْوَالِدَيْنِ ؛ وَقَايَةِ مِنَ السَّخَطِ ، وَصِلَةِ الْأَرْحَامِ ؛ مَنْسَأَةِ فِي الْعُمُرِ وَمَنْمَأَةِ لِلْعَدَدِ ، وَالْقِصَاصِ ؛ حَقّاً لِلدِّمَاءِ ، وَالْوَفَاءَ بِالنَّذْرِ ؛ تَعْرِضاً لِلْمَغْفِرَةِ ، وَتَوْفِيَةَ الْمَكَايِلِ وَالْمَوَازِينَ ؛ تَغْيِيراً لِلْبَخْسِ ، وَالنَّهْيَ عَنْ شُرْبِ الْخَمْرِ ؛ تَنْزِيهاً عَنِ الرَّجْسِ ، وَاجْتِنَابَ الْقَذْفِ ؛ حِجَاباً عَنِ اللَّعْنَةِ ، وَتَرْكَ السَّرِقَةِ ؛ إِجَاباً لِلْعِفَّةِ)) (٢) ، فهنا ذكرت B مضامين اجتماعية على وفق رؤيتها الجديدة لهذا المجتمع المتحوّل ، ورؤيتها هذه مستمدة من تعاليم الدين الإسلامي ، فهي تُذكر بأنّ رضا الله { مرهون برضا الوالدين ، وإذا ما تحقّق هذا الرضا فسيكون الأفراد في حماية من كلّ الأخطار المُحدّقة بهم من قبل الأعداء ، هذا على جانب أداء التكاليف الأخرى ، وصلة الأرحام تزيد رزق الفرد وتُثمي المجتمع ، وأمّا مسألة القصاص فهي إشارة منها إلى هذه المعالجة التي يُراد بها حماية حقوق الأفراد ومن ثمّ المجتمع ، ذلك أنّ القصاص هو ليس جريمة بقدر ما هو عقوبة للمُجرّم ، فضلاً عن أنّه بمثابة أسلوب لردع الآخرين ومنعهم من الاعتداء على غيرهم من الناس .

وضمّنت B خطبتها قضايا اجتماعية أخرى كـ(النهي عن شرب الخمر) ، لأنّه يضرّ الإنسان مادياً ومعنوياً ، وبما أنّ الإسلام يُريد مصلحة الإنسان ويهدف إلى تحقيقها ، فقد جاء التشريع بالنهي عنه من أجل إحراز طهارته فهو رجس ، وهذا التشريع إنّما جاء لمصلحة الفرد أولاً ، ومن ثمّ المجتمع ، والخطبية تهدف إلى إيراد هذا المضمون لتحقيق غايتها في نُصحهم وإرشادهم لنلا يعودوا أدراجهم إلى الجاهلية التي ما انفكّ أبناؤها يُغادرون شرب الخمر الذي يذهب بعقولهم ويدفعهم إلى فعل ما لا يُحمدُ عقباه ممّا تترك آثارها على المجتمع .

(١) ظ : فاطمة الزهراء B شخصيتها ، ظلامتها (روية جديدة) : ٢٦٦ .

(٢) دلائل الإمامة : ٣٣ ، الاحتجاج : ١ / ٢٥٩ .

و(اجتناب القذف) ، وفي ذلك أشارت الخطيبة B إلى قضية اجتماعية مهمة ، إذ إن قذف الناس بعضهم لبعض يدفع بالمجتمع نحو الرذيلة ، فلو انشغل الأفراد بتبادل هذه التعابير لمالوا عن الاستقامة والتوحد والشعور بالمسئولية والانتماء للإنسانية المنصهرة داخل المجتمع ، ولكون القذف يُنافي هذه الأهداف فقد نهت عنه الشريعة ، وعمدت الخطيبة إلى التذكير به في نص خطبتها التي استجمعت فيها جمعاً من المضامين الاجتماعية .

و(ترك السرقة) ، لأنها لو حلت في المجتمع وانتشرت بين أفرادها لاضمحل الأمن وغاب الاطمئنان ، فهي وازع للخوف ، ومغيبة للعقّة ، ومُضيعة لنزاهة الفرد داخل مجتمعه .

وهي قد عمدت إلى ذكر هذه القضايا الاجتماعية سعياً منها لإصلاح النفس والأمة ، وإدراكاً منها بعمق تلك السمات على الفرد والمجتمع ، وقد عمدت B إلى مسألة التفصيل في كل قضية تطرقت إليها لثبّين ما تتركه من آثار إيجابية أو سلبية في حياة الفرد والمجتمع لبناء مجتمع إسلامي موحد .

وفي خطبتها B أمام نساء المهاجرين والأنصار تتجسّد لنا جملة من المضامين الاجتماعية في قولها : ((لَفَطْتُهُمْ بَعْدَ أَنْ عَجَمْتُهُمْ ، وَشَنَأْتُهُمْ بَعْدَ أَنْ سَبَرْتُهُمْ ، فَقَبْحًا لِفُلُولِ الْحَدِّ ، وَاللَّبِّ بَعْدَ الْجَدِّ)) (١) ، فهنا توجّهت B بخطابها إلى ذلك الجمع لتُصرّح بأنهم كالسيف المهشوم ، لا بل كالقناة الهشة الضعيفة ، حيث أنهم يميلون إلى فساد الرأي ويتبعون ما تسوّله لهم أنفسهم ، لذلك فإن الله قد غضب عليهم ، وسيخلدون حتماً في العذاب كونهم استجابوا للدنيا التي أوثقتهم بعري حبالهم ، وألبستهم عارها بعد أن أخضعتهم بغاراتها ، فأضحوا من الظالمين ، فحبس الله عنهم كلّ خير ، وسلبسهم ثوب الخزي والعار (٢) ، لتركهم الحقّ واتّباعهم الباطل ، وهي بذلك قدّمت صورة عن صفات ذلك المجتمع .

وفي خطبة السيدة زينب (ع) في أهل الكوفة تتجسّد جملة من المضامين الاجتماعية التي عمدت فيها إلى ترك بصمات مؤثرة في ذلك المجتمع بقولها : ((يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ ! يَا أَهْلَ الْحَسَلِ وَالْغَدْرِ أَتَبْكُونَ ؟ فَلَا رَقَاتِ الدَّمْعَةِ ، وَلَا هَدَأَتِ الرَّثَّةُ ، إِنَّمَا مَثَلُكُمْ كَمَثَلِ الْيَتَامَى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَكْثَانًا تَتَخَذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ ، أَلَا وَهَلْ فِيكُمْ إِلَّا الصَّلَفُ وَالشَّنْفُ ، وَمَلَقُ الْإِمَاءِ ، وَغَمْرُ الْأَعْدَاءِ)) (٣) ، فهنا شخّصت B مجموعة من الصفات النفسية غير الصالحة التي تفتك بالمجتمع كالغدر والمراوغة والصلافة ... إلخ من الصفات التي تؤدّي إلى ضياع المجتمع ، وغياب المثل والقيم

(١) الاحتجاج : ٢٨٦ / ١ - ٢٨٧ .

(٢) ظ : الأدب السياسي الملتزم في الإسلام : ٩٠ - ٩١ .

(٣) الاحتجاج : ١١٠ / ٢ .

فيه حينما تحلّ محلّها مثل هكذا صفات ، فهي B تواجههم بعد جريمتهم النكراء لتوقفهم عند حقيقتهم وتُحلّل شخصياتهم التي حوت على تلك الصفات الرذيلة ، ثمّ عمدت B إلى مثل مُقْتَبَس من القرآن لتستثمره في تمثيلهم بالمرأة الحمقاء التي تغزل ثم تنقض غزلها ولا يزال ذلك دأبها ، والخطيبة B هنا جعلتهم رمزاً ومثلاً للحُمق ، وقد أضافوا إلى ذلك الحمق نفاقاً وخيانة ومكرًا ، وقد استندت الخطيبة B في استنتاج تلك الصفات والحكم على مُجتمع أهل الكوفة من خلال نظرتها الدقيقة ودراستها المستوعبة لشخصياتهم (١) .

وتعتمد السيدة زينب B إلى تقريع وتأنيب أهل الكوفة بكلمات لاذعة تهدف من خلالها إلى توعية الغافلين في ذلك المجتمع ، وتنوير عقول الجاهلين بحقيقة ما جرى على الآل من ظلم ، ممّا حدا ببعضهم إلى أن يتنبهوا من غفلتهم ، وأخذ الجاهل فيهم يستبصر ، فضجّ هؤلاء بالبكاء وبدا الندم واضحاً على ملامحهم ، وذلك حينما قالت B : ((أَلَا سَاءَ مَا قَدَّمْتُمْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ ، وَسَاءَ مَا تَرِوْنَ لِيَوْمِ بَعْثِكُمْ ، فَتَعْسًا تَعْسًا ! وَنَكْسًا نَكْسًا ! لَقَدْ خَابَ السَّعْيُ ، وَتَبَّتِ الْأَيْدِي ، وَخَسِرَتِ الصَّفْقَةُ ، وَبُؤْثُمْ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ، وَضُرِبَتْ عَلَيْكُمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ)) (٢) ، فهنا حين أوردت (تعساً ، نكساً ، تبّت الأيدي ، بؤثم) قد وصلت أقصى درجات التقريع لبيان حقيقة ما وصل إليه هذا المجتمع .

ومثل ذلك نجده أيضاً في خطبة السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين B بقولها : ((يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ ! يَا أَهْلَ الْمَكْرِ وَالْعَدْرِ وَالْحِيَلَاءِ ، إِنَّا أَهْلُ بَيْتِ ابْتِلَاءِ اللَّهِ بِكُمْ ، وَابْتِلَاكُمْ بِنَا)) (٣) ، فقد أثرت في خطبتها تشخيص تلك الصفات الذميمة التي اتّصف بها أهل الكوفة ، وهي بذلك صوّرت المجتمع عن طريق نتاجها الأدبي بلوحة فنيّة رسمت فيها أبعاد تلك الصفات التي تركّزت في أهل الكوفة ، وقد أثّرت بالمتلقي من خلال تشبيتها لتلك الصفات والبرهنة عليها من جهة ، ومن خلال انطلاقها من واقع حسّ الخطيبة B الانفعالي وموقفها إزاءهم ، فضلاً عن مادّة ثقافتها ومصادر فكرها المستمدّة من روح الدّين الإسلامي .

من خلال الأمثلة التي ذكرناها في نصوص خطب سيدات البيت العلوي يُمكن القول في توافر المضامين الاجتماعية على وفق مقاييس الصّدق التي صدرت عنهنّ ، والتي كان لها أثرٌ كبير في استنهاض الجمهور المتلقي وإيثاره لاستيعاب ما يُراد بالأمّة الإسلامية من تفكيك ، وما يُدار حولها من مؤامرات ، لتدميرها والقضاء على كلّ مقدّراتها .

(١) ظ : زينب والظالمون : ٧٧ - ٨٥ .

(٢) الاحتجاج : ١١١ / ٢ .

(٣) اللهوف في قتلى الطفوف : ٩٦ .

وقد حرصت الخطيبات من خلال هذه المضامين على تجلية الظواهر الاجتماعية الخاصة بكلّ جزئية من جزئيات المجتمع ، محاولةً منهنّ إلى النصح والإرشاد فضلاً عن الإصلاح ، ولم تأخذ هذه المضامين منحىً إحصائياً بقدر ما أخذت شمولاً واتساعاً لإشباع الحاجة وتطّلب الموقف ، فضلاً عن طبيعة المعالجة التي كانت كلّ خطيبة تهدف إليها وتعتمد إلى إشراك المؤثر الديني فيها كقاسم مشترك بينها وبين المتلقي .

الفصل الثاني

سبل أداء المعنى في الخطب

* المبحث الأول : اللفظ وأثره في السياق

* المبحث الثاني : التراكيب

* المبحث الثالث : الأساليب

المبحث الأول

اللفظ وأثره في السياق

إنّ للألفاظ وسائل كثيرةً ومنافذ واسعة في التعبير عن المعاني التي ينشدها الخطيب ، كونها الأدوات المُعبّرة عن الدلالات الكامنة في نفس المُتكلّم ، ولهذا ((ينبغي أن ينظر إلى الكلمة قبل دخولها في التأليف وقبل أن تصير الصورة التي بها يكون الكلم إخباراً وأمرأً ونهياً واستخباراً وتعجباً ، وتؤدي في الجملة معنىً من المعاني التي لا سبيل إلى إفادتها إلا بضمّ كلمة وبناء لفظة على لفظة)) (١) ، نلاحظ أنّ الجرجاني (ت ٤٧١ هـ أو ٤٧٤ هـ) يحثّ على تنسيق الكلمات بعضها مع بعض ، لأنّه بحُسن التنسيق يتّضح المعنى ، ذلك ((أنّ الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة ولا من حيث هي كلم مفردة وأنّ الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها أو ما أشبه ذلك ممّا لا تعلّق له بصريح اللفظ ، وممّا يشهد لذلك أنّك ترى الكلمة تروك وتونسك في موضع ثمّ تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر)) (٢) ، وقد أشار الجرجاني (ت ٤٧١ هـ أو ٤٧٤ هـ) إلى وجوب تلائم الألفاظ بعضها مع بعض ، وهذا ممّا يُضيف على التعبير دقّة أكثر لأنّ ((حُسن الرّصف أنّ تُوضّع الألفاظ في مواضعها ، وتمكن في أماكنها ، ولا يستعمل فيها التّقديم والتأخير ، والحذف والزيادة إلا حذفاً لا يُفسد الكلام ، ولا يُعمّي المعنى ، وتضم كلّ لفظة منها إلى شكلها)) (٣) ، إذن للألفاظ أهمية كبيرة من حيث كونها الأداة الأساس في التعبير ، ولكن هذه الألفاظ إذا لم تخضع لمعايير فنيّة، فإنّها بلا شك ستفقد قيمتها ، التي تتأتى من تشكيلتها الحسنة ، كما هو الحال في خطب سيدات البيت العلوي ، إذ نجد التنوع الواضح للألفاظ ، ممّا أدى إلى أن تُحقّق الألفاظ إفادة كبيرة لدلالات مختلفة ، ولا يخفى أنّ لطبيعة موضوع الخطبة أثراً في تنوع الألفاظ ، التي تأخذ دورها في أداء المعاني وترتيب المفردات .

وسيدات البيت العلوي كنّ حريصات على استعمال كلّ لفظة في مكانها من السياق ، حتّى تحسن ملائمة معناها لمعاني جاراتها ، لذا فإنّنا نجد في نصوص خطبهنّ المزية الظاهرة ، والفضيلة القاهرة ، لارتباط الألفاظ بعضها ببعض ، ممّا أدى إلى أن تكون لكلّ كلمة وقعها في النفوس ، وإنّا إذا ما ألقينا نظرة على هذه النصوص تجلّى لنا أنّ جملة كبيرة منها قد طغى

(١) دلائل الإعجاز : ٤٠ .

(٢) م ن : ٤٢ .

(٣) م ن : ٤٤ .

عليها الطابع الديني الممزوج بالخطاب الفني الذي أثرى بدوره الأدب العربي ، فغدت تلك الخطب تتسم بفكر تأسل بمضامين نبيلة ، وهذا الاستعمال للألفاظ الإسلامية زاد الخطب سموً ورقياً ، كون الخطيبات كن يتكلمن في زمن أصبح الفكر الإسلامي هو المهيمن والمُعْذِي للعقول ، وأيضاً كن ممن وضعن اللفظ في محله على وفق بنية التشكيل اللفظي ، وبما يتناسب مع موضوع الخطبة ، وحال مخاطبين .

ومن شواهد ذلك ما ورد في خطبة السيدة الزهراء B في المسجد : ((فَجَعَلَ اللَّهُ الْإِيمَانَ ؛ تَطْهِيراً لَكُمْ مِنَ الشَّرِّ ، وَالصَّلَاةَ ؛ تَنْزِيهاً لَكُمْ عَنِ الْكِبَرِ ، وَالزَّكَاةَ ؛ تَرْكِياً لِلنَّفْسِ ، وَنَمَاءً فِي الرِّزْقِ ، وَالصَّيَامَ ؛ تَنْبِيهاً لِلْإِحْلَاصِ ، وَالْحَجَّ ؛ تَشْيِيداً لِلدِّينِ ، وَالْعَدْلَ ؛ تَنْسِيقاً لِلْقُلُوبِ ، وَطَاعَتَنَا ؛ نِظَاماً لِلْمَلَةِ ، وَإِمَامَتَنَا ؛ أَمَاناً مِنَ الْفِرْقَةِ ، وَالْجِهَادَ ؛ عِزاً لِلْإِسْلَامِ ، [وَذُلّاً لِأَهْلِ الْكُفْرِ وَالتَّفَاقُ] ، وَالصَّبْرَ ؛ مَعُونَةً عَلَى اسْتِجَابِ الْأَجْرِ ، وَالْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ ؛ مَصْلَحةً لِلْعَامَّةِ ، وَبِرِّ الْوَالِدَيْنِ ؛ وَقَايةً مِنَ السَّخَطِ ، وَصِلَةً الْأَرْحَامِ ؛ مَنْسأةً فِي الْعُمْرِ وَمَنْمأةً لِلْعَدَدِ ، وَالْقِصَاصَ ؛ حَقّاً لِلدِّمَاءِ ، وَالْوَفَاءَ بِالنَّذْرِ ؛ تَعْرِيضاً لِلْمَغْفِرَةِ ، وَتَوْفِيَةً الْمَكَايِلِ وَالْمَوَازِينَ ؛ تَغْيِيراً لِلْبَخْسِ ، وَالتَّهْيِياً عَنْ شُرْبِ الْحَمْرِ ؛ تَنْزِيهاً عَنِ الرَّجْسِ ، وَاجْتِنَابَ الْقَذْفِ ؛ حِجَاباً عَنِ اللَّعْنَةِ ، وَتَرْكَ السَّرِقَةِ ؛ إِيْجَاباً لِلْعَقَّةِ ، وَحَرَمَ اللَّهِ الشَّرْكَ إِخْلَاصاً لَهُ بِالرَّبوبِيَّةِ)) (١) ، فنلاحظ هنا أن الألفاظ الإسلامية قد جاءت متوالية ومتناسقة في معانيها على الوجه الدقيق ، وما يؤكد ذلك أنها B وفقت في نقل الأحكام والتشريعات التي جاءت في القرآن الكريم بما يتناسب وفهم المتلقين .

ونجد لبعض المواقف أثراً في اختيار الألفاظ رقة أو خشونة ، كما في خطبة السيدة زينب B أمام يزيد ((فَوَ [الله] الَّذِي شَرَّفْنَا بِالْوَحْيِ وَالْكِتَابِ ، وَالثَّبُوةَ وَالْإِنْتِجَابَ ، لَا تُدْرِكُ أَمَدَنَا ، وَلَا تَبْلُغُ غَايَتَنَا ، وَلَا تَمُحُو ذِكْرَنَا ، [وَلَا يَرْحُضُ عَنْكَ عَارٌ مَا أَتَيْتَ إِلَيْنَا أَبَداً] ، وَهَلْ رَأَيْكَ إِلَّا قَنَدٌ ، وَأَيَّامُكَ إِلَّا عَدَدٌ ، وَجَمْعُكَ إِلَّا بَدَدٌ ، يَوْمَ يُنَادِي الْمُنَادِي أَلَا لَعْنُ الظَّالِمِ الْعَادِي)) (٢) ، لقد امتازت الألفاظ في هذا المقطع بالتنسيق والوضوح ، وإن الذي زادها تماسكاً وتوظيف الخطيبية كل لفظة في بيان معنى بحسب ما يقتضيه الحال ، ففي البدء أتت باللفظ السهل (الوحي ، الكتاب ، النبوة) بحسن صياغة ،

(١) بلاغات النساء : ١٦ ، دلائل الإمامة : ٣٢ - ٣٣ ، الاحتجاج : ١ / ٢٥٨ - ٢٥٩ .

(٢) الاحتجاج : ١٣٠ / ٢ .

وقوة نظم ، ثم استعملت (عارُ ما ، فند ، يرحض ، بدد ، الظالم ، العادي) وهي ألفاظ تميلُ إلى الخشونة .

وفي الخطبة نفسها نلمح ألفاظاً توحى بالعزّة والإباء في قولها : « مع آتي والله يا عدو الله وابن عدوه أستصغر قدرك وأستعظم تقريعك ، غير أن العيون عبرى ، والصدور حرى ، وما يجزي ذلك أو يغني عنا » (١) ، والخطبة هنا أوجدت كيفية واضحة بطريقة خاصة ، آلفت فيها بين الكلمات ونظمها بنسق كشف عن العزّ والإباء الذي كانت الخطيبة تتمتع وتتصف به على الرغم من الظروف التي تمرُّ بها .

وهناك سمة غلبت على ألفاظ الخطب ، حتّى تفاضلت فيها مراتب البلاغة ، وهي أنها كانت تتواءم على وفق أنظمة وأنساق فكرة كلّ خطيبة ، ثمّ إنّ سهولة الألفاظ ووضوحها فضلاً على جزالتها أدّت إلى أن يكون للخطاب وقعٌ في نفوس السامعين ، وكان الابتعاد عن الحوشي والغريب إنّما لعدم تواءمه وفكر السامعين ، والخطيبات لم يَكُنَّ يردنّ للسّامعين الابتعاد كثيراً والتفكير في المعاني أو التأويل في العبارات ، وبذلك نستطيع القول إنّ هذه الخطب قد غيّرت معيارية نمط القوة في الألفاظ بحلّة جديدة من حيث وضوحها ودقّتها وصياغة نظمها ، ومن ذلك قول السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين B : «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَفْتَرِيَ عَلَيْكَ الْكَذِبَ ، وَأَنْ أَقُولَ خِلَافَ مَا أَنْزَلْتَ عَلَيْهِ مِنْ أَخَذِ الْعُهُودِ لَوْصِيَّهِ عَلَيَّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ A ، الْمَسْلُوبِ حَقُّهُ ، الْمُقْتُولِ مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ ، كَمَا قُتِلَ وَلَدُهُ بِالْأُمْسِ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ ، وَبِهَا مَعْشَرٌ مُسْلِمَةٌ بِأَلْسِنَتِهِمْ» (٢) ، فهذا النصّ لم يحو من الألفاظ ما يحتاج إلى التأمّل والتفكّر ، بل الضدّ من ذلك ، فقد اتسم بالوضوح ، وعدم التنافر ، فضلاً عن الدقّة في المعنى ، والسامع كان مُدرِكاً لذلك منذ اللَّحظة التي وصل فيها جرس الألفاظ إلى أذنه .

وممّا يُلحظ أنّ بعض الألفاظ قد فرضت وجودها في جملة سياقات على وفق نكاتٍ بلاغيّة ، كما في صياغة الألفاظ بصورة المُخاطب حينما خاطبت العلويات (٣) أهل الكوفة بـ « يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ ! يَا أَهْلَ الْحَتْلِ وَالْعَدْرِ وَالْحَذَلِ وَالْمَكْرِ » (٤) ، إذ تمخّض الخطاب عن صيغة واحدة ، وهذا

(١) بلاغات النساء : ٢٢ . نثر الدر : ١٨ .

(٢) اللّهُوف في قتلى الطفوف : ٩٦ ، الاحتجاج : ١٠٥ / ٢ .

(٣) السيدة زينب B والسيدة فاطمة بنت الإمام الحسين B .

(٤) ظ : خطبة السيدة زينب B أمام أهل الكوفة في الاحتجاج : ١١٠ / ٢ ، وخطبة السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين B في قتلى الطفوف : ٩٦ ، وفي الاحتجاج : ١٠٦ / ٢ .

إمّا لكون السياق بطبيعته قد تطّلب ذلك ، أو قد يكون بسبب الاختلاط في نقل الخطب من قبل الرواة .

وهناك طريقة تعبيرية (للألفاظ المفردة) في خطب السيدة الزهراء B نجدها قد تمت على وفق ترتيب خاص وتوالٍ دقيق ، ممّا جعلها متعلّقة ببعضها ، ومن ذلك قولها وهي تُخاطب المهاجرين والأنصار في مسجد الرسول 9 : « أَلَا وَقَدْ أَرَى أَنْ قَدْ أَخْلَدْتُمْ إِلَى الْخَفْضِ وَأَبْعَدْتُمْ مَنْ هُوَ أَحَقُّ بِالْبَسْطِ وَالْقَبْضِ ، وَخَلَوْتُمْ بِالِدَّعَةِ وَنَجَوْتُمْ بِالضِّيقِ مِنَ السَّعَةِ ، فَمَجَجْتُمْ مَا وَعَيْتُمْ ، وَدَسَعْتُمْ الَّذِي تَسَوَّعْتُمْ فِيهِ » Π إِنْ تَكْفُرُوا أَنْزِلُكُمْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ O (١) أَلَا وَقَدْ قُلْتُ مَا قُلْتُ هَذَا عَلَى مَعْرِفَةٍ مِنِّي بِالْخَذَلَةِ الَّتِي خَامَرْتُكُمْ ، وَالْقُدْرَةِ الَّتِي اسْتَشَعَرَتْهَا قُلُوبُكُمْ ، وَلَكِنَّهَا فَيْضَةُ النَّفْسِ ، وَتَفَنُّةُ الْغَيْظِ ، وَخَوَرُ الْقَنَاءِ ، وَبَنَّةُ الصَّدْرِ ، وَتَقْدِمَةُ الْحُجَّةِ ، فَدَوَّكُمُوهَا فَاحْتَقِبُوهَا دَبْرَةَ الظَّهْرِ ، نَفْيَةَ الْخُفِّ ، بَاقِيَةَ الْعَارِ ، مَوْسُومَةَ بَعْضِ اللَّهِ وَشَنَارِ الْأَبَدِ » (٢) ، وفي هذا النصّ نلاحظ الترتيب الواضح والدقيق للألفاظ المنسّمة بالجزالة والسهولة ، على الرغم من ورود بعض الألفاظ الغريبة مثل (دسعتُمْ ، سَوَّعْتُمْ) وذلك لأنّ المقام دعا الخطيبة إلى أن تستجلي معنى النصّ ، وقد عمدت B إلى ذلك لثوق في روع المتلقّي المعاني المطلوبة ، لذلك عدلت من السهولة والوضوح إلى الغرابة بعض الشيء ثمّ عادت أدراجها لانتقاء الألفاظ الجزلة ، ولو دققنا في ألفاظ هذه الخطبة لوجدناها تُطابق معناها ، وفي ذلك يقول الجرجاني (ت ٤٧١ هـ أو ٤٧٤ هـ) : « أنّه لا يتصور أو تعرف للفظٍ موضعاً من غير أن تعرف معناه ولا أن تتوخى في الألفاظ من حيث هي ألفاظ ترتيباً ونظماً وإنّك تتوخى الترتيب في المعاني وتعمل الفكر هناك ، فإذا تمّ لك ذلك اتبعتها الألفاظ وقفوت بها آثارها وإنّك إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك لم تحتج إلى أن تستأنف فكراً في ترتيب الألفاظ ، بل تجدها تترتب لك بحكم أنّها خدم للمعاني وتابعة لها ولا حقة بها وأنّ العلم بمواقع المعاني في النفس علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق » (٣) ، وهذا ما يلاحظ فعلاً في خطبة الزهراء B في المسجد .

ولأجل أن يكون الحديث على الألفاظ بصورة أدقّ ؛ فإني آثرت الحديث عنها في نصوص الخطب كما يأتي :

(١) إبراهيم / ٨ .
(٢) الاحتجاج : ١ / ٢٧٣ - ٢٧٤ .
(٣) دلائل الإعجاز : ٤٧ .

أولاً : الموروث الديني :

حينما جاء الإسلام جاءت معه الثقافات بمختلف أنواعها واتجاهاتها ، واتسعت باتساع مجالات الحياة ، والأدب واحد من الثقافات التي تطورت واتسع ميدانها ، وذلك لتأثره بالثقافة الإسلامية المتمثلة بما يأتي :

أ - القرآن الكريم :

يُعد القرآن الكريم المصدر الأساس لانتقاء الألفاظ ذات الإيحاء الدلالي والمعنى الراقى ، وذلك لإعجازه الذي شكّل ظاهرة تنزع إليها النفوس ، ويتوق لها الحسّ البلاغي المُرهِف ، وهذا ما سعت السيدات إلى الاستفادة منه في خطبهنّ ، حتى يُشدّ المُتلقي ويلفت انتباهه ، حيث يكون في غاية التفاعل مع النصّ المُمتزج بكلام الباري عزّ وجلّ ، الذي يعتمد على الكلمة ، ويعنى باللفظة ، ولبيان ذلك فإنّي سأحدثُ عن تأثر الخطيبات بالقرآن الكريم وتأثيرهنّ من خلاله بالمتلقين ، إذ كان هذا التأثير بالآلفاظ أكثر عمقاً ، وأوقع دلالة ، ولذلك نلحظ بحَثرة اقتباساتهنّ للألفاظ القرآنية التي منحت الخطب بعض سمات النصّ القرآني المتمثلة بانتقاء المفردة الموحية (١) ، ومن ذلك قول السيدة الزّهراء B في خطبتها أمام المهاجرين والأنصار في مسجد أبيها 9 في قولها : ((فَأَنَارَ اللَّهُ بِأَبِي مُحَمَّدٍ 9 ظُلْمَهَا ، وَكَشَفَ عَنِ الْقُلُوبِ بُهْمَهَا ، وَجَلَّى عَنِ الْأَبْصَارِ غُمَمَهَا)) (٢) ، ففي قولها B (غممها) - وهي جمعُ غَمَّةٍ - (٣) استثمارٌ لللفظة (غَمَّة) الواردة في قوله تعالى : Π ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرٌ عَلَيْكُمْ غَمَةً O (٤) ، وهنا يظهر مستوى الانتقاء اللفظي لدى الخطيبة ، إذ تردّدت صيغة اللفظ المستوحى من القرآن الكريم بصورة عقويّة ، وهذا يدلّ على حرص الخطيبة B على انتقاء ألفاظها بدقّة لتؤدي دورها ضمن سياق الخطبة التي صدرت من واقع حسّ منطقيّ واع استندت إليه الخطيبة B ، وهذا ما نلحظه في هذا المقطع من خطبتها بالمسجد ((مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ الْمُسْرِعَةَ إِلَى قِيلِ الْبَاطِلِ ، الْمُغْضِيَةَ عَلَى الْفِعْلِ [الْقَبِيحِ] الْخَاسِرِ ، Π أَفَلَا يَنْدَبُونَ الْقُرْآنَ أَمْرَ عَلَى قُلُوبٍ أَقْهَاهَا O (٥) ؟ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَا أَسَاءْتُمْ مِنْ

(١) ظ : التصوير الفني في خطب الإمام علي A (رسالة ماجستير) : ٨٣ .

(٢) بلاغات النساء : ١٥ ، دلائل الإمامة : ٣٢ ، الاحتجاج : ٢٥٧ / ١ .

(٣) يقال : أمر غمّة بالضم : أي مُبْهِمٌ ، القاموس المُحيط : ١٤٧٦ / ١ .

(٤) يونس / ٧١ .

(٥) محمد / ٢٤ .

أَعْمَالِكُمْ)) (١) ، إذ إنها B اقتبست ألفاظها من قوله تعالى : Π كَلَّا بَلْ رَأَى عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا

يَكْسِبُونَ O (٢) ، وأيضاً أفادت من قوله تعالى : Π أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا O

(٣) ، وقد حققت بهذه الاقتباسات الإفادة من لفظ الآيات وأسلوبها ، وهي B في معرض الحديث عن الذين يبغضون حقوق الناس في المكيال والميزان ولا يفونهما ، ومعنى الآية كذلك ، وهذا يدل على أن الخطبة ذات براعة كبيرة ، إذ وفقت في تضمين خطبتها ألفاظاً مستمدة من النصوص القرآنية ، فهي تدافع عن قضية وتتبنى رؤية ، وتنتصر لموقف ، وهذا يتطلب منها اختياراً دقيقاً للألفاظ القرآنية المضمنة في خطبتها .

بينما نجدها B في خطبتها أمام نساء المهاجرين والأنصار تضمن خطبتها ألفاظاً قرآنية

لغرض المحاجة في قولها : ((يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ، Π أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا

يَشْعُرُونَ O (٤) ، ويهمهم Π أَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُنْعَ أَمَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدَى فَمَا لَكُمْ

كَيْفَ تَحْكُمُونَ O ؟! (٥))) (٦) ، فهنا اقتبست B قوله تعالى : Π أَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ

يُنْعَ أَمَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ O (٧) ، لتوظف ما جاء فيه من ألفاظ

لمحاجة المتلقين، وهذا يدل على سعة ثقافتها القرآنية ، إذ توفق في اقتباس الألفاظ وتستثمرها لصالح القضية التي تخطب من أجلها ، ويظهر من هذا الانتقاء للفظ القرآني قوة الخطبة وقدرتها على استجماع المفردات القرآنية الدالة على ما ترمي إليه B من وراء مخاطبتها لنساء المهاجرين والأنصار ، لما تحمله من دلالات لفظية استنكارية .

(١) الاحتجاج : ٢٧٨ / ١ .

(٢) المطففين / ١٤ .

(٣) محمد / ٢٤ .

(٤) البقرة / ١٢ .

(٥) يونس / ٣٥ .

(٦) بلاغات النساء : ٢٠ ، دلائل الإمامة : ٤٠ ، نشر الدر : ٩ ، الاحتجاج : ٢٩٠ / ١ .

(٧) يونس / ٣٥ .

أما السيدة زينب B فقد كان القرآن الكريم المصدر الأول والمنبع الأساس الذي تنهل من ألفاظه ، ففي خطبتها أمام يزيد نلمس فاعلية هذا المصدر ، إذ تبتدئها بنص قرآني وتنتهيها بإشارة إلى معانٍ مستقاة من القرآن الكريم (١) .

ومن قولها : ((فَلَيْسَ اتَّخَذْتَنَا مَغْنَمًا لَتَجِدَ بَنًا وَشَيْكًا مَغْرَمًا ، حِينَ لَا تَجِدُ إِلَّا مَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ ، وَمَا اللَّهُ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ ، فَإِلَى اللَّهِ الْمُشْتَكَى وَالْمَعُولُ)) (٢) نلاحظ أنها B اقتبست عدة ألفاظ

قرآنية ، من نصوص مختلفة منها قوله تعالى : Π إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا

قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا O (٣) ، وقوله تعالى Π ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ

اللَّهُ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ O (٤) ، وقوله { : Π ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ O

(٥) ، وقوله تعالى : Π ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ O (٦) ، ففي قولها : (ما

قدّمت يداك) صلة بـ(ما قدّمت يداك) الموجود في الآية المباركة ، وهذه الصلة إنما تأتت من محاكاة الخطيبة B لألفاظ القرآن ، وهذا يدل على أنّ الخطيبة تنطلق في اختيار ألفاظها من أصول دينية بحتة ، تهدف منها ترسيخ المبادئ والقيم الدينية .

وفي نهاية خطبتها التي تقول فيها : ((أسأل الله أن يرفع لهم الدرجات وأن يوجب لهم المزيد

من فضله فإنه وليّ قدير)) (٧) ، نلاحظ وفرة من الألفاظ القرآنية التي أبدعت فيها B بحيث عدّ

اقتباسها من ((أنجح ما ضمّته المرتجل ، وأرجح ما استعان به المحتفل ، لأنه الموعظة الحسنة ، والحجة البالغة والحكمة الباهرة)) (٨) ، إذ إنها استمدت مفرداتها من قوله تعالى :

Π دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا O (٩) ، فأصبحت ألفاظها سمة فنية

(١) ظ : خطبتها أمام يزيد : بلاغات النساء : ٢١ - ٢٣ ، نشر الدر : ١٧ - ١٩ .

(٢) الاحتجاج : ١٢٩ / ٢ - ١٣٠ .

(٣) النبأ / ٤٠ .

(٤) آل عمران / ١٨٢ .

(٥) الأنفال / ٥١ .

(٦) الحج / ١٠ .

(٧) بلاغات النساء : ٢٣ ، نشر الدر : ١٩ .

(٨) أحكام صفة الكلام لذوي الوزارتين : ١٦٩ .

(٩) النساء / ٩٦ .

بمثابة علامة مميزة في خطبتها B إلى جانب سماتٍ أخرى ارتبطت بهذا الانتقاء اللفظي من النص القرآني على مستوى الأداء الفني الذي تعدى العفوية في اختيار اللفظ الإسلامي .

وأما في خطبتها B في أهل الكوفة فإنها تستمد من القرآن الكريم مثلاً وتُجسّده في صورة من خلال اقتباساتها لأكثر ألفاظ ذلك النص بقولها : ((إِنَّمَا مَثَلُكُمْ كَمَثَلِ النَّبِيِّ النَّصَّاتِ غَزَلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةِ أَنْكَائَاتِ تَحْدُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ)) (١) ، فقد وفقت B هنا في استثمار قوله تعالى :

Π وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَقَصَّتْ غَزَلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةِ أَنْكَائَاتِ تَحْدُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ O (٢) ، وإلى

جانب الأخذ الواضح من قبل الخطيبة B من ألفاظ هذا النص القرآني ، نجدها قد أفادت من المثل القرآني لنشبه القوم الذين نقضوا العهد بالمرأة التي نقضت غزلها ، وهذا يدلُّ على قوة الخطيبة وثقافتها B وتمكّنها من محاكاة أسلوب القرآن الكريم بأسلوبٍ تلقائيٍّ خالٍ من الصنعة والتكلف ، ومما يذكر أنها عمدت إلى هذا النص القرآني للمثل الموجود فيه ، والذي يُمثل صورة حية تُمثل مشهداً من مشاهد الواقع الذي يفهمه المتلقي وقتذاك ، وهكذا تستمر الخطيبة B في بقية خطبتها من حيث استثمارها للألفاظ والنصوص فضلاً عن المعاني ، وبه تُبدع في فقرات خطبتها من حيث مزجها لكلام القرآن وألفاظه بكلامها بأسلوبٍ أدبيٍّ رفيع ، تمخض عنه تكون صورة مؤثرة نتيجة اختيار هذه الوفرة من الألفاظ الانفعالية التي صدرت من الخطيبة بطريقة فنية ، إذ أوصلت الخطيبة فكرتها إلى المتلقي الذي كان في قمة الاستعداد لفهم كل ما تعرضه B من أفكار .

ب - الحديث النبوي الشريف :

يُعدُّ الحديث النبوي ثاني أهم ركيزة في التراث الإسلامي بعد القرآن الكريم ، لما يتضمنه من مُعطيات ، يُمكن أن يستمد منها المبدع ما يحتاجه في إنشائه ولاسيما الخطيب الذي أشد ما يكون بحاجة إلى اقتباس شذرات من الحديث النبوي الشريف لخطبه ، ذلك ((لأنه منبع مهم من منابع الثقافة الإسلامية وأصل من أصول تراث الأمة الإسلامية في العمل والسلوك والأخلاق)) (٣) ، فضلاً على أنه يُعدُّ موسوعة فكرية وعقيدية يُمكن أن تُغذي عموم الأدب ولاسيما الخطب ، إذ إنها حفلت باقتباسه من قبل المنشئين ، وذلك لحاجة المنشئ في إيراد الأدلة النقلية أو البراهين العقلية ، هذا بشكل عام لدى الخطباء العرب ، وأما أهل البيت Δ فقد

(١) اللهوف في قتلى الطفوف : ٩٤ ، الاحتجاج : ١١٠ / ٢ .

(٢) النحل / ٩٢ .

(٣) شعر رثاء الإمام الحسين A في العراق ابتداءً من سنة ١١٠٠هـ وحتى ١٣٥٠هـ - (رسالة ماجستير) : ٥٢ .

جعلوا الحديث بعد القرآن في استشهادهم وتضمينهم في أثناء كلامهم وخطاباتهم ، وخطيبات البيت العلوي مَن عمدن إلى رد خطبهنّ بالسنة النبوية (قولاً وفعلًا وتقريراً) وذلك لما تحمله هذه الأحاديث من دِقّة في التعبير وجودة في السبّك ، فهو كلام فوق كلام المخلوقين وتحت كلام الخالق من حيث دِقّة بلاغته وقوّة فصاحته ، إذ ((لم يسمع الناس بكلام قط أعمّ نفعاً ، ولا أصدق لفظاً ، ولا أعدل وزناً ، ولا أجمل مذهباً ، ولا أكرم مطلباً ، ولا أحسن موقعاً ، ولا أسهل مخرجاً ، ولا أفصح عن معناه ، ولا أبين في فحواه من كلامه G)) (١) .

والخطيبات إنّما عمدن إلى تضمين خطبهنّ ببعض ألفاظ الحديث النبوي للإفادة من معاني تلك الألفاظ التي تحمل طابع الرّسالة الإسلامية من جهة ، ولأنّه يُعدّ المصدر الثاني للتشريع بعد القرآن الكريم ، فضلاً عن أنّه صادرٌ من أبلغ العرب قاطبة ، وكذلك الإيماء إلى العلاقة التي تربطهم به G .

وقد تجسّد الاقتباس من الحديث الشريف في خطبهنّ بطرق مختلفة ومتنوّعة ، تنمُّ عن ثقافة إسلاميّة ومقدرة بلاغيّة ، ففي خطبة السيدة الزهراء B نجد الاقتباس النصّي للحديث الشريف مع الإشارة إليه في قولها B : ((يَا مَعْشَرَ النَّبِيَّةِ وَأَعْضَادَ الْمِلَّةِ وَحَصَنَةَ الْإِسْلَامِ ، مَا هَذِهِ الْغَمِيزَةُ فِي حَقِّي وَالسُّنَّةُ عَنْ ظِلَامَتِي ؟ أَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ G أَبِي يَقُولُ : الْمَرْءُ يُخَفِّظُ فِي وَلَدِهِ)) (٢) ، فهنا ذكرت الخطيبة B أنّ هذا القول إنّما هو للرسول G ، والخطيب يلجأ إلى ذلك سعياً منه لإكساب النصوص الخطابية حافزاً معنوياً القصد منه تقوية الحجّة وإقامة الدليل من جهة وتوشيحها بخصائص التصوير النبوي في الإيجاز والاستيفاء (٣) من جهة أخرى .

وهذا النوع من التضمين يُعدّ أقلّ أنواع التضمين في خطب السيدات ، وذلك لحاجة المنشئ الماسّة إلى الدّعم لقرآني الذي سبق ذكره والحجّة الدامغة لما ورد على لسان النّبي الأكرم G ، فالخطيبة B في موقف يتطلّب إظهار الحجّة فيه ، ودعمها بالأدلة .

ونلاحظ أنّ السيدة زينب B تعتمد إلى انتقاء الألفاظ من الحديث الشريف ، لتُفيد منه مصدراً من مصادر الإثراء اللفظي ، ويتمثّل ذلك في قولها B ليزيد : ((أَمِنْ الْعَدْلِ يَا بَنَ الطَّلَقَاءِ تَخْدِيرُكَ حَرَائِرِكَ وَإِمَانِكَ ، وَسَوْفُكَ بَنَاتِ رَسُولِ اللَّهِ G)) (٤) ، فلفظة (الطلاق) مُقتبسة من حديث

(١) البيان والتبيين : ٢٢١/١ .

(٢) بلاغات النساء : ١٧ ، نثر الدرّ : ٧ ، الاحتجاج : ٢٦٩ / ١ .

(٣) ظ : التصوير الفني في خطب المسيرة الحسينية من مكة إلى المدينة (رسالة ماجستير) : ٣٣ وما بعدها .

(٤) بلاغات النساء : ٢١ ، نثر الدرّ : ١٨ ، الاحتجاج : ١٢٥ / ٢ .

الرسول ٩ يوم فتح مكة ، وقد أوردتها B لتذكر المُخاطب بحادثة تاريخية (١) يتجسد فيها الأصل الذي يعود إليه ، وهي بهذا التضمن غير التام للحديث الشريف أعطت بُعداً موضوعياً يحمل معنىً دلاليًا ، إذ أكدت فيه على أن ذويه كانوا أسارى لدى الرسول ٩ وقد أطلقهم ، وهي بهذه اللفظة المُقتبسة من قول الرسول ٩ أحدثت تأثيراً في نفس المُتلقّي من خلال إثارته وإحباط عزمته ، وتجدرُ الإشارة هنا إلى أن الخطيبية لم تلتزم بلفظ النص أو تركيبه ، بل اكتفت بالإشارة إلى الحدث وتضمينه المعنى من خلال اقتباس لفظة واحدة فقط .

بينما نجدها في خطبتها أمام أهل الكوفة تقتبس ألفاظاً من الحديث النبوي وتُسبغ عليها تغييرات في قولها : ((وَلَنْ تَرَحُضُوهَا أَبَدًا وَأَنْتَى تَرَحُضُونَ قَتْلَ سَلِيلِ خَاتَمِ النَّبُوَّةِ ، وَمَعْدِنِ الرَّسَالَةِ ، وَسَيِّدِ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَمَلَاذِ حَرِيمِكُمْ)) (٢) ، فقولها (سيد شباب أهل الجنة) إنما اقتبسته من قوله ٩ ((الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة)) (٣) ، وضمّنته خطبتها مع تغيير عمدت إليه الخطيبية لينسجم تضمينها مع سياق خطبتها ، وهذا إنما يدلُّ على التراء اللغوي الذي تملكه الخطيبية ، إذ غيّرت في نصّ الحديث ، وأثرت في المُتلقّي من خلال هذا الاقتباس .

وفي اقتباس إشاري (٤) منها B في أثناء خطابها هذا تقول : ((هَلْ فَيْكُمْ إِلَّا الصِّلْفُ وَالْعَجَبُ ، وَالشَّنْفُ وَالكَذِبُ ، وَمَلَقُ الْإِمَاءِ ، وَغَمَرُ الْأَعْدَاءِ ؟ أَوْ كَمَرَعَى عَلَى دِمْنَةٍ ، أَوْ كَفِضَّةٌ عَلَى مَلْحُودَةٍ)) (٥) ، فمن الواضح في قولها هذا أنها قد أشارت إلى قوله ٩ : ((" إِيَّاكُمْ وَخَضِرَاءِ الدِّمَنِ " قيل : يا رسول الله ومن خضراء الدمن ؟ قال ٩ : [المرأة الحسناء في منبت السوء])) (٦) ، فهنا أخذت B بعض لفظها من الحديث من دون أن تلتزم بتركيب نصّ الحديث ، وإنما اكتفت بالإشارة إلى المعنى ، والملاحظ أنها B كانت حريصة في انتقاء اللفظ المناسب لسياق خطبتها للإفادة من معناه من جهة ، ولإثارة المُتلقّين من جهة أخرى .

(١) يوم فتح مكة وقول الرسول ٩ لأبي سفيان وأتباعه : (ما ترون أني فاعل فيكم ، قالوا : خيراً ، أخ كريم وابن أخ كريم ، فقال ٩ : اذهبوا فأنتم الطلقاء) ظ : سيرة ابن هشام : ٣٤ / ٤ .

(٢) الاحتجاج : ١١١ / ٢ .

(٣) سنن الترمذي : ٤ / ٤٩٦ ، وظ : سنن ابن ماجه : ١ / ٩٩ .

(٤) الاقتباس الإشاري : وهو ما أشار إليه المنشي من الآيات ، من غير أن يلتزم بلفظها وتركيبها ، ظ : مُعْجَم آيَاتِ الْاِقْتِبَاسِ : ص ١٩ .

(٥) اللهوف في قتلى الطفوف : ٩٤ ، الاحتجاج : ١١١ / ٢ .

(٦) الكافي : ٥ / ٣٣٢ ، وظ : غريب الحديث : ١ / ٣٤٩ .

المبحث الثاني

التراكيب

إذا كان الخطيب يحرص على إيجاد ألفاظ رشيقة ومتناسقة في سياقها ، دقيقة في معانيها ، فإنه في المقابل يسعى إلى جعل تلك الألفاظ في وحدة مترابطة ، لتفيض بجمعها عن سمة فنية ضمن فكرة أو هدف واقع في نص أدبي ، ولهذا فإنني سأتناول في هذا المبحث دراسة التراكيب في الخطب ، ذلك أنه من الواضح أنها ناتجة عن اجتماع الألفاظ التي اختارها الخطيب وانتقاها لينشئ نصه الأدبي في سياق من التعبير له مزاياه وخصائصه وفقاً للنص الأدبي الذي يخضع له ، وبما يتناسب ومستوى المتلقي ، وبخلاف ذلك فإنه لا يكون للنص قيمة فنية ، فمثلاً الخطيب الذي يُعنى بالألفاظ ويُحسن انتقاءها ثم لا يُعنى برصفها رصفاً دقيقاً ، فإنه سوف لا يسمو بعمارة نصه ، ذلك لأن ((حُسن التأليف يزيد المعنى وضوحاً وشرحاً ، ومع سوء التأليف ورَدَاة الرِّصْفِ والتركيب شعبة من التَّعمية ، فإذا كان المغني سبياً ، ورصف الكلام ردياً ، لم يُوجد له قبولٌ ، ولم تظهر عليه طلاوة ، وإذا كان المعنى وسطاً ، ورصف الكلام جيداً كان أحسن موقعاً ، وأطيب مستمعاً ، فهو بمنزلة العقد إذا جعل كل خُرزة منه إلى ما يليق بها كان رائعاً في المَرأى وإن لم يكن مُرتفعاً جليلاً ، وإن اختلَّ نظْمُه فضُمَّت الحبة منه إلى ما لا يليق بها اقتحمته العين وإن كان فائقاً ثميناً)) (١) ، من هذا القول يتضح أن أهمية اللفظ ورفقه إنما تتأتى من تناسقه مع الألفاظ المجاورة له ، واتساقه في تعابير ذات روعة وبيان .

وبما أن الخطبة هي وحدة فنية تنتظم في فقراتها مجموعة من الموضوعات ، فإنه لا بد من أن يكون لها إطار خاص من الصياغة ، من حيث ارتباط كل لفظ بالآخر ، ثم ارتباط كل فقرة بالآخرى ، وهكذا ارتباط كل موضوع بما سبقه أو لحقه ، ثم تجانس الألفاظ في وحدة موضوعية ذات لبنة قوية عليها يقوم ويرتكز النص الأدبي .

والألفاظ لن تكون لها قيمتها ما لم توضع في تركيب قد تألفت أجزاؤه جيداً ، وفي ذلك يقول عبد القاهر الجرجاني (ت ٧١٤ أو ٤٧٤ هـ) : ((أن ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض ، وجعل بعضها بسبب من بعض . والكلم ثلاث اسم وفعل وحرف ، وللتعليق فيما بينها طرق معلومة ، وهو لا يعدو ثلاثة أقسام : تعلّق اسم باسم وتعلّق اسم بفعل وتعلّق حرف

(١) كتاب الصناعتين : ١٦٧ .

بهما ((^(١)) ، ذلك أن نظم الكلم له قواعد وأسس يتبعها المؤلف في صياغة الكلمات التي لأبد من أن تتوافق مع الموضوع لتؤدي المعنى ، فالتركيب ليس وضع الألفاظ أو المفردات الواحدة جنب الأخرى ؛ بل يجب أن يكون ترتيب المفردات ترتيباً يؤدي الغرض أو المعنى المنشود .

وما يهمننا بحثه هنا هو التراكيب في نصوص خطب السيّدات ، من حيث الخصائص والسمات والدلالة ، ذلك أن المفردات والألفاظ يكون لها خصائصها وسماتها داخل التركيب ، يقول الدكتور أحمد الشايب ((وتبدو التراكيب في صور شتى من الرقة والجزالة أو السهولة أو الصعوبة حسب المعاني التي تؤديها العبارة ، وإنّ العناصر التركيبية التي يرتبط بعضها ببعض في المعنى كأصل وتابع أو معنى وضدّه ، وقد ركبت بنظام دقيق وتأليف منسق بحيث لا يتعب القارئ في تبين هذه الأصالة بين الأجزاء فينصرف عن المعنى))^(٢) ، ولبيان ذلك في الخطب نورد أمثلة من شأنها أن تفصح لنا عن قوّة التراكيب واستوائها .

ونلمس في هذه الخطب جودة نظم التراكيب من حيث القوّة والتماسك ووحدة البناء ودقّة المعنى ، ومثال ذلك ما ورد في خطبة السيدة الزهراء B في المسجد ((أَنتُمْ عِبَادُ اللَّهِ نُصِبَ أَمْرُهُ وَنَهْيُهُ ، وَحَمَلَةَ دِينِهِ وَوَحْيِهِ ، وَأَمَنَاءُ اللَّهِ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، وَبَلَقَاتُهُ إِلَى الْأُمَمِ ، وَرَعَمْتُمْ حَقَّ لَكُمْ ، اللَّهُ فِيكُمْ عَهْدٌ قَدْ مَدَّهُ إِلَيْكُمْ ، وَبَقِيَّةٌ اسْتَخْلَفَهَا عَلَيْكُمْ : كِتَابُ اللَّهِ النَّاطِقُ ، وَالْقُرْآنُ الصَّادِقُ ، وَالتَّوَرُّ السَّاطِعُ ، وَالضِّيَاءُ اللامع ، بَيِّنَةٌ بَصَائِرُهُ ، مُنْكَشِفَةٌ سَرَائِرُهُ ، مُنْجِلِيَّةٌ ظَوَاهِرُهُ ، مُغْتَبِطٌ بِهِ أَشْيَاعُهُ ، قَائِدٌ إِلَى الرِّضْوَانِ اتِّبَاعُهُ ، مُؤَدِّ إِلَى النَّجَاةِ اسْتِمَاعُهُ ، بِهِ تُنَالُ حُجُجُ اللَّهِ الْمُتَوَرَّةُ ، وَعَزَائِمُهُ الْمَفْسُورَةُ ، وَمَحَارِمُهُ الْمُحَذَّرَةُ ، وَبَيِّنَاتُهُ الْجَالِيَةُ ، وَبَرَاهِينُهُ الْكَافِيَةُ ، وَفَضَائِلُهُ الْمُنْدُوبَةُ ، وَرُخَصُهُ الْمَوْهُوبَةُ ، وَشَرَائِعُهُ الْمَكْتُوبَةُ ، فَجَعَلَ اللَّهُ الْإِيمَانَ ؛ تَطْهِيراً لَكُمْ مِنَ الشَّرِّ ، وَالصَّلَاةَ ؛ تَنْزِيهاً لَكُمْ عَنِ الْكِبَرِ ، وَالزَّكَاةَ))^(٣) ، إذ إنّ التراكيب اتّسمت بالمتانة والدقّة ، وكان للتعبير جمالها في السياق ، ودلالاتها في أداء المعنى بدقّة ، والملاحظ على هذا النصّ الذي أدّى وظيفته الخاصة بالكشف والبيان عن الأوامر والنواهي ، وما تبعه القوم وما تركه ، أنّ الخطيب قد استثمرت فيه التراكيب الإسلامية ذات الطابع الرشيق ، كما في سائر خطبها إذ نجد مستويات مختلفة في التنظيم والتأليف بين العبارات التي صيغت بشكل فنيّ متصل في فقراته ومحبوك في أجزائه ، ومتميّز باتصال كلّ جزء بالذي قبله وبعده من حيث البناء

(١) دلالات الإعجاز : ٥ .

(٢) الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية : ١٩٠-١٩٤ .

(٣) بلاغات النساء : ١٦ ، دلالات الإمامة : ٣٢ ، الاحتجاج : ١ / ٢٥٧-٢٥٨ .

الخارجي (الهيكل) ، ومنظم بترابط واتصال الأدوات (المفردات) فنيًا من حيث المضمون ، وهذا يدل على أن الخطيبية تمتلك ثروة بلاغية ممتزجة بثقافة إسلامية .

وتبدو الجودة في النظم واضحة أيضاً في خطبتها B أمام نساء المهاجرين والأنصار ((وَيَحِبُّهُمْ أَنِّي زَعَرْتُهَا عَنْ رَوَاسِي الرِّسَالَةِ ، وَقَوَاعِدِ الثُّبُوتِ وَالِدَّلَالَةِ ، وَمَهَبِطِ الرُّوحِ الْأَمِينِ ، وَالطَّيْنِ بِأُمُورِ الدُّنْيَا وَالْدِّينِ ؟! Π أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ O (١) . وَمَا الَّذِي تَقِمُّوا مِنْ أَبِي الْحَسَنِ A ؟! تَقِمُّوا وَاللَّهِ مِنْهُ نَكِيرٌ سَيِّفِهِ ، [وَقَلَّةٌ مُبَالَاةٌ لِحَتْفِهِ] ، وَشِدَّةٌ وَطَاطَةٍ ، وَنَكَالٌ وَقَعْتِهِ ، وَتَنْمِرَةٌ فِي ذَاتِ اللَّهِ وَتَالَلَهُ لَوْ مَالُوا عَنْ الْمَحَجَّةِ اللَّايِحَةِ ، وَزَالُوا عَنْ قَبُولِ الْحُجَّةِ الْوَاضِحَةِ ، لَرَدَّاهُمْ إِلَيْهَا ، وَحَمَلَهُمْ عَلَيْهَا ، وَلَسَارَ بِهِمْ سِيرًا سُجْحًا ، لَا يَكْلُمُ خِشَاشُهُ ، وَلَا يَكِلُ سَائِرُهُ ، وَلَا يَمَلُّ رَاكِبُهُ ، وَلَا وَرَدَهُمْ مِنْهَا لَئِيمًا صَافِيًا رَوِيًّا ، تَطْفُحُ صِفَتَاهُ)) (٢) ، وإلى جانب الجودة نلمس العناية بالأساليب الإنشائية والخبرية داخل وحدة النص ، مما أكسبه متانة في التأليف ، وطلاوة في النسيج .

ولأجل أن تتجلى قضايا التركيب لنا بصورة أدق في نصوص خطب سيدات البيت العلوي ؛ يجدر بنا الوقوف على :

أولاً : التقديم والتأخير :

من فنون البلاغة هو التقديم والتأخير ، وأغلب الخطباء يعمدون إليه إذا ما كان هناك بواعث داعية إليه ، ومعناه في اللغة : ((التقديم من (قدم) أي وضعه أمام غيره ، و(التأخير) نقيض ذلك)) (٣) .

وهو : ((هو أحد أساليب البلاغة ، فإنهم أتوا به دلالة على تمكنهم من الفصاحة وملكهم في الكلام وانقياده لهم ، وله في القلوب أحسن موقع وأعذب مذاق)) (٤) .

وفيه قال الجرجاني (ت ٤٧١ أو ٤٧٤ هـ) : ((هو باب كثير الفوائد ، جم المحاسن ، واسع التصرف ، بعيد الغاية ، لا يزال يفتر لك عن بديعه ويُفضى بك إلى لطيفه ، و... تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قدم فيه شيء وحول اللفظ من مكان إلى مكان ، واعلم إن تقديم الشيء على وجهين - تقديم يُقال أنه على نية التأخير وذلك في كل شيء أقرته مع

(١) الزمر / ١٥ .

(٢) بلاغات النساء : ٢٠ ، دلائل الإمامة : ٤٠ ، نثر النثر : ٨ - ٩ .

(٣) مقدمة كل شيء أوله ومقدم كل شيء نقيض مؤخره ، لسان العرب : مادة (قدم) ١٢ / ٤٦٥ ، والتأخير من تأخر ضد القدم تقول مضى قداماً أي تأخر أو التأخر ضد التقدم ، لسان العرب : مادة (آخر) ٤ / ١١ .

(٤) البرهان في علوم القرآن : ٣ / ٢٣٣ .

التقديم على حكمه الذي كان عليه وفي جنسه الذي كان فيه كخبر المبتدأ إذا قدّمته على المبتدأ والمفعول إذا قدّمته على الفاعل ((^(١)).

وأشار أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ) إلى أسلوب التقديم والتأخير بقوله : ((ينبغي أن ترتب الألفاظ ترتيباً صحيحاً ، فتقدّم منها ما كان يحسن تقديمه ، ويؤخّر منها ما يحسن تأخيرُهُ ، ولا تُقدّم منها ما يكون التأخيرُ به أحسن ، ولا تؤخّر منها ما يكون التقديمُ به أليق)) (^(٢)).

وفي خطب السيّدات لاحظنا أنّ تقديم جزء من الكلام أو تأخيرهِ لم يرد بشكل عفوي في نظم فقرات الخطب ، وإنّما كان مقصوداً لغرض بلاغي .

ومن أمثلته ما ورد في خطبة السيدة زينب B في قولها : «وَيَلَكُمْ أَيَّ كَيْدٍ لِمُحَمَّدٍ ۝ فَرِثْتُمْ ؟ ! وَأَيَّ عَهْدٍ نَكُثْتُمْ ؟ ! وَأَيَّ كَرِيمَةٍ لَهُ أَبْرَزْتُمْ ؟ ! وَأَيَّ حُرْمَةٍ لَهُ هَتَكْتُمْ ؟ ! وَأَيَّ دَمٍ لَهُ سَفَكْتُمْ ؟ !» (^(٣)) ، فهنا قدّمت الخطيبة B المفعول به (أي) على الجملة الفعلية (فرثتُمْ ونكثتُمْ وأبرزتُمْ وهتكْتُمْ وسفكْتُمْ) لتصور عظم المأساة التي مرّت بها السبايا على يد أعداء أهل البيت Δ ، وكان لتقديم المفعول به (أي) دليل على التخصيص .

وفي خطبتها بالشام لجأت إلى تقديم بعض كلامها وتأخير بعضه الآخر في قولها : « أَنْ بَنَّا مِنَ اللَّهِ هَوَانًا وَعَلَيْكَ مِنْهُ كَرَامَةٌ وَامْتِنَانًا » (^(٤)) ، (فربنا) جار ومجرور ، ولا بُدّ للجار والمجرور من متعلّق ، وفي كلام الخطيبة B متعلّق بخبر (أنّ) ، فقدّمت B الجار والمجرور المتعلّق بالخبر ، لتدلل على أنّ ذلك محط الإنكار ، وتحليل المعنى : (ليس بنا على الله هواناً ، وأنت ليس لك عند الله كرامة) .

وتزخر خطب السيدة فاطمة الزهراء B بأسلوب التقديم والتأخير لدواع بلاغية ، ونذكر

على سبيل المثال قولها أثناء خطبتها في مسجد رسول الله ۝ : « ((Π أَفْكَرَ الْجَاهِلِيَّةِ يَغُونِ

وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِتَوْمٍ يُؤْتُونَ O (٥) ؟ ! ... أَفَعَلَى عَمْدٍ تَرَكْتُمْ كِتَابَ اللَّهِ وَتَبَذَلْتُمُوهُ)) » (^(٦)) ،

فأصل الكلام (أفتركتُم كتاب الله على عمدٍ) وقد قدّمت الخطيبة B وأخرت لغرض التوبيخ والتقريع ، فضلاً عن التعجب الاستنكاري .

(١) دلائل الإعجاز : ٨٢ .

(٢) كتاب الصناعتين : ١٥٧ .

(٣) اللهوف في قتلى الطفوف : ٩٥ ، الاحتجاج : ١١١ / ٢ - ١١٢ .

(٤) بلاغات النساء : ٢١ ، نثر الدر : ١٧ ، الاحتجاج : ١٢٤ / ٢ .

(٥) المائدة / ٥٠ .

(٦) دلائل الإمامة : ٣٤ - ٣٥ .

وفي مقطع من خطابها تُقدّم وتؤخّر لتؤكد حقيقة هي واضحة كالشمس في قولها : « مَا كَانَ أَبِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ كِتَابِ اللَّهِ صَادِقًا ، وَلَا لِأَحْكَامِهِ مُخَالَفًا ! » (١) ، نلاحظ أن التقديم والتأخير ورد بترتيب يناسب خفة حروف كلمات الخطبة ، وتقدير الكلام (ما كان أبي مخالفاً لكتاب الله ، صادقاً عن أمر الله) .

ثانياً : الفصل والوصل :

هُما من فنون البلاغة التي تُحدد محاسن الكلام ، وتفصح عن حظ المتكلم من المعرفة بذوق الكلام ، وذلك لدقة مسلكهما ، وعظيم خطرهما ، وعلى ذلك فهما البلاغة بحدّها .
والفصل في اللغة : ((بون ما بين الشيئين ، ... وقيل : هو أن يفصل بين الحق والباطل ، والفصل من الجسد : موضع المفصل ، وبين كل فصلتين وصل ، والفصل الحاجز بين الشيئين ، فصل بينهما يفصل فصلاً فانفصل وفصلت الشيء فانفصل : أي قطعته فانقطع)) (٢) .
وأما الوصل فهو خلاف الفصل ((وصلت الشيء وصلّاً وصلّة والوصلّ خلاف الفصل وصل الشيء بالشيء يصلّه وصلّاً وصلّة وصلته بالشيء يصلّه وصلّاً وصلّة وصلته ، واتصل الشيء بالشيء : لم ينقطع)) (٣) .

وفي الاصطلاح ذكره الجرجاني (ت ٤٧١ أو ٤٧٤ هـ) بقوله : ((اعلم أن العلم بما ينبغي أن يضع في الجمل من عطف بعضها على بعض أو ترك العطف فيها والمجيء بها منثورة تستأنف واحدة منها بعد أخرى من أسرار البلاغة وبما لا يأتي لتمام الصواب فيه إلا الأعراب الخُصّ وإلا أقوام طبعوا على البلاغة وأتوا فناً من المعرفة في ذوق الكلام هم به أفراد ، وقد بلغ من قوّة الأمر في ذلك أنهم جعلوه حدّاً للبلاغة ... ذاك لغموضه ودقّة مسلكه وأنه لا يكمل لإحراز الفضيلة فيه أحد إلا كمل لسائر معاني البلاغة)) (٤) .

وأشار القزويني (ت ٧٣٩ هـ) لهما بقوله : ((الوصل عطف بعض الجمل على بعض والفصل تركه وتمييز موضع أحدهما من موضع الآخر على ما تقتضيه البلاغة فن منها عظيم الخطر صعب المسلك دقيق المأخذ لا يعرفه على وجهه ولا يحيط علماً بكنهه إلا من أوتي في فهم كلام العرب طبعاً سليماً ورزق في إدراك أسرار ذوقاً صحيحاً ولهذا قصر بعض علماء

(١) دلائل الإمامة : ٣٦ ، الاحتجاج : ١ / ٢٧٦ - ٢٧٧ .

(٢) لسان العرب : مادة (فصل) ١١ / ٥٢١ .

(٣) م ن : مادة (وصل) ١١ / ٧٢٦ .

(٤) دلائل الإعجاز : ١٥٤ .

البلاغة على معرفة الفصل من الوصل وما قصرها عليه لأن الأمر كذلك إنما حاول بذلك التنبيه على مزيد غموضه وإنّ أحداً لا يكمل فيه إلا كمل في سائر فنونها ((^(١)).

و ((الفصل في البلاغة أو الكلام ترك عطف بعض الجمل على بعض ، والوصل عطف بعضها على بعض))^(٢) ، وجدير بالذكر أنّ الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) كان من أوائل الذين تكلموا عن (الفصل والوصل) في كتبه ، ونوجز ما قاله بنصّ نقتبسه من كلامه حدّ فيه البلاغة ((بأنّها معرفة الفصل من الوصل))^(٣) ، وهكذا نلاحظ كثرة الحديث عن الفصل والوصل في كتب البلاغيين ، وذلك لأهميتهما حتّى ذكر أنّ ((من أسرار البلاغة العلم بمواطن الوصل والفصل في الكلام ، ... والوصل يعني عند علماء المعاني عطف جملة على أخرى بـ(الواو) فقط من دون سائر حروف العطف الأخرى ، ويقصد علماء المعاني بـ(الفصل) ترك هذا العطف))^(٤).

ونظراً لما تُضيفه مواضع الفصل والوصل من جمال ودقّة في البلاغة فضلاً عن فهم وحكمة في إدراك الأديب ورصانة نتاجه ، فإنّنا نلاحظ وفرتها في خطب سيّدات البيت العلوي ، إذ جاءت الفواصل متّسقة ومُختلفة في مواضعها والدواعي الخارجة لها ، فضلاً عن الدقّة الواضحة في شبه كمال الاتصال بحسب ما يقتضيه المقام ويفهمه المتلقي .

وأمثلتها في نصوص الخطب كثيرة ، وعلى سبيل المثال من موارد الفصل ما جاء في قول السيدة الزهراء B في خطبتها أمام نساء المهاجرين والأنصار في قولها : «لأُرَدِّدَهُمْ مِنْهَا نَمِيراً صَافِياً رَوِيّاً ، تَطْفَحُ ضِفَّتَاهُ»^(٥) ، وهي B إنّما تركت العطف بالواو لأنّ العطف إنّما يكون للجمع بين الشيئين والربط بينهما ، وذلك لا يكون في المعنيين إذا كان بينهما غاية التباين ، ثمّ إنّ كلّ صفة كانت بمعنى الصّفة التي قبلها أو بمنزلة الجزء منها ، ولذلك اقتضى المقام ترك العطف كون الشيء لا يُعطف على نفسه ، والجزء لا يُعطف على الكل .

وكما أنّ مواضع الفصل قد سمت وجاءت مناسبة للخطب ، كذلك تناسقت مواضع الوصل فيها ، وهي من الوفرة ومنها على سبيل المثال ما ورد في خطبة السيدة الزهراء B في قولها : «وَشَنَائُهُمْ بَعْدَ أَنْ سَبَرْتُهُمْ ، فَجَبَحاً لِفُلُولِ الْحَدِّ ، [وَاللَّعِبِ بَعْدَ الْجِدِّ ، وَقَرَعِ الصَّفَاةِ] ، وَصَدْعِ الْقَنَاةِ ، وَخَتَلِ الْأَرَاءِ ، وَزَلَلِ الْأَهْوَاءِ ، وَبَنَسَ مَا قَدَمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ»^(٦) ، فهنا جمعت B وربطت بين الجمل

(١) الإيضاح في علوم البلاغة : ١ / ١٤٥ .

(٢) معجم المصطلحات البلاغية : ١١٨ / ٣ .

(٣) البيان والتبيين : ٦١ / ١ .

(٤) علم المعاني : ١٧٤ - ١٧٥ .

(٥) بلاغات النساء : ٢٠ ، دلائل الإمامة : ٤٠ ، نشر الدر : ٨ - ٩ ، الاحتجاج : ١ / ٢٨٩ .

(٦) المصدر السابق : ٢٨٦ / ١ - ٢٨٧ .

لصلة بينهما في الصورة والمعنى ولأن المعاني التي ذكرتها كلها قبيحة فقد جمعته بواو العطف ليكون أكثر قبحاً .

وتسترسل B في الوصل لغرض الإيضاح وبيان المراد ، فتأتي بالجمل متحدة في الإنشاء ، ومُتناسبة في المعنى ، وشاهد ذلك قولها : « نَكِيرَ سَيْفِهِ ، [وَقَلَّةَ مُبَالَاتِهِ لِحْفِهِ] ، وَشِدَّةَ وَطْأَتِهِ ، وَكَأَلَ وَقَعَتِهِ ، وَتَنَمَّرَهُ فِي ذَاتِ اللَّهِ . وَتَالَهُ لَوْ مَالُوا عَنِ الْمَحْجَةِ اللَّايِحَةِ ، وَزَالُوا عَنْ قَبُولِ الْحُجَّةِ الْوَاضِحَةِ ، لَرَدَّهُمْ إِلَيْهَا ، وَحَمَلَهُمْ عَلَيْهَا ، وَلَسَارَ بِهِمْ سَيْرًا سُجْحًا ، لَا يَكَلُمُ خِشَاشُهُ ، وَلَا يَكِلُ سَانِرُهُ ، وَلَا يَمَلُّ رَاكِبُهُ » (١) ، نلاحظ في هذه الخطبة أن الخطيبة B عطفت جملة على أخرى ، ووصلت بين كل جملتين اتحدتا وتناسبتا في المعنى ، فلم يكن هناك ما يقتضي الفصل بينهما .

وتستوقفنا جملة من المقاطع التي لم تفصل فيها السيدة زينب B في خطبتها أمام أهل الكوفة بقولها : « فَقَدْ بُلِيْتُمْ بِعَارِهَا ، وَمُنِيْتُمْ بِشَنَارِهَا وَلَنْ تَرْحَضُوهَا أَبَدًا وَأَنْتِي تَرْحَضُونَ قَتْلَ سَلِيلِ خَاتَمِ النُّبُوَّةِ ، وَمَعْدِنِ الرِّسَالَةِ ، وَسَيِّدِ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، ... وَسَاءَ مَا تَزِرُونَ لِيَوْمِ بَعْثِكُمْ » (٢) ، فالملاحظ على هذه الجمل أن الخطيبة أرادت إشراك كل جملة بسابقتها في الحكم ، ولذلك نجد كل جملة معطوفة على التي قبلها موصولة بها ، لعدم إمكان الفصل بينها ، وهنا كمال الاتصال ، كون إمكان جعل كل جملة تالية بدل التي قبلها .

وفي خطبتها أمام يزيد نلاحظ أن جملها تتشخ بالوصل وتزخر به ، بقصد الإشراك بين هذه الجمل بالحكم الإعرابي من جهة ، واختلاف هذه الجملة خبراً وإنشاءً من جهة أخرى ، ولذلك نجد الوصل B بين كل جملتين ، ولو فصلت لأوهم الفصل خلاف ما قصدت من معنى (٣) .

وتأتي السيدة أم كلثوم B بالوصل بين الجمل في خطبتها لتجمع وتربط بين أكثر من جملتين بـ(الواو) خاصة لصلة واضحة ومتسلسلة بين هذه الجمل في الصورة والمعنى ، فضلاً عن دفع اللبس في قولها « سَوَاءَ لَكُمْ ، مَا لَكُمْ خَذَلْتُمْ حُسَيْنًا وَقَتَلْتُمُوهُ ، وَأَنْتَهَبْتُمْ أَمْوَالَهُ وَوَرِثْتُمُوهُ ، وَسَبَيْتُمْ نِسَاءَهُ وَنَكَبْتُمُوهُ ؟ فَتَبَّ لَكُمْ وَسُحْقًا » (٤) ، نلاحظ هنا أن الخطيبة B ابتدأت بجملة إنشائية

(١) دلالات الإمامة : ٤٠ ، نشر الدر : ٨ .

(٢) اللهوف في قتلى الطفوف : ٩٤ - ٩٥ ، الاحتجاج : ١١١/٢ .

(٣) ظ : خطبتها B بالشام : إذ توصل بين أغلب جملها : (وهتف بأشياخك ، وتقريت بدمه إلى الكفرة من أسلافك ، ثم صرخت بسدائك ، ولعمري لقد ناديتهم لو شهدوك ! ووشيكاً تشهدهم ولم يشهدوك ، و... ومخاصمك رسول الله 9) ، الاحتجاج : ١٢٧/٢ .

(٤) اللهوف في قتلى الطفوف : ٩٩ .

من خلال استفهاماتها الاستنكارية ، وقد عطفها على جُمْلٍ خبريّةٍ (وقتلتموه وانتهبتم أمواله وورثتموه وسبيتم نساءه ونكبتموه) ، ثمّ استأنفت عطفها بجُمْلَةٍ إنشائيّةٍ دُعائيّةٍ على هذه الجُمْلِ ، وإذا كان لأبَدٍ من الوصل بينها كونها غير منقطعة عن بعضها انقطاعاً كاملاً فضلاً عن تناسبها وتناسقها مع بعضها ووجود رابط جامع بين هذه المتعاطفات .

وهكذا لو تأملنا في باقي الخطب فإننا سوف نجد أمثلة كثيرة من الفصل والوصل ، وفيما ذكرنا دلالة على البقيّة .

المبحث الثالث

أساليب بناء العبارة في الخطب

تُعدّ الخطابة من أرقى الفنون النثرية التي تركز في قوّة تأثيرها وجذب الأذهان لها على ما يستعمله الخطيب من أساليب تربط مفرداتها بعضها ببعض ، لتنسج منها عبارات ذات نسق متسلسل في وحدة عضوية فنية .

والى جانب هذا النسق المتسلسل في العبارات لابدّ للخطيب أيضاً من التنوع في استعمال الأساليب التي تُبنى منها الجمل .

ومن أجل الوقوف على أسرار بلاغة الخطيبات وفصاحتهن فإنّي سأتناول في هذا المبحث طرق أداء المعنى من خلال دراسة الأساليب التي اعتمدنها في بناء جملهنّ ، والتي ارتكزت على أسلوب الإنشاء ، ولكنها مع هذا لم تخلُ من أساليب إلقاء الخبر ، إذ كنّ يعمدن إلى أساليب متعدّدة لإلقاء الخبر للمُخاطبين من أجل الإفصاح والإظهار لهم ، وما كان يُميّز الإلقاء في خطبهنّ هو معرفتهنّ بما يتناسب ومقتضى الحال ، لذا تميز هذا الإلقاء بأنّه كان على قدر الحاجة ولم يكن عبثاً ، ولذلك اختلفت السبيل باختلاف أحوال المُخاطبين ، ففي خطبة السيدة الزهراء B أمام نساء المهاجرين والأنصار نلاحظ تعدّد طرق إلقائها للخبر ، ومن ذلك قولها B : « استبدلوا والله الذنابي بالقوادِم » (١) ، فهنا ألقت الخبر للمتلقين الذين كانوا منكريين ومعتقدين

بخلافه ، لذلك جاءت بمؤكد (القسم) ، فكان الخبر إنكارياً لإنكارهم ، ولم تكتف بهذا المؤكّد ؛ بل أكدت أيضاً بالإثبات لأنّها أرادت تأكيد الحكم ، فجاءت بالجُملة الفعلية (استبدلوا) لمجرد الإخبار ، فضلاً عن إفادة المُخاطب الحكم الذي تضمنه الكلام ، وقد أفادت الجُملة الإخبارية عموماً الاستمرارية والتجدّد إذا ما بقوا على حالهم في خذلانهم لأمير المؤمنين A ، وكانت طريقة إلقائها تنمّ عن عمق بلاغتها ، فقد كشفت بأنّ المُخاطب كان منكراً لحكم الخبر (وفي هذه الحال يجب أن يؤكد الخبر بمؤكد أو أكثر ، بحسب درجة إنكاره من جهة القوّة والضعف ، ويسمى هذا الضرب من الخبر - إنكارياً -) (٢) .

(١) بلاغات النساء : ٢٠، دلالات الإمامة : ٤٠ ، نشر الدر : ٩ ، الإحتجاج : ٢٩٠/١ .

(٢) علم المعاني : ٥٦ .

وفي مقطع آخر نلاحظ أنها ألفت الخبر وقد أتت بأكثر من مؤكد في قولها : «أما لَعْمَرِي لقد لَقِحتَ فَنَظْرَةً رِيْشًا تُنْجِجُ» (١) ، فنلاحظ وجود المؤكدات وهي : «حرف الاستفتاح - أما - الواردة قبل القسم ، القسم ، قد» المتعددة ذلك لأنَّ المُخاطب أنكر الخبر الذي أرادت إلقاءه ، وهي إنما أتت بأكثر من مؤكد لقوة إنكار المُتلقِي وشِدَّتِه ، فجاءت بقولها على مُقتضى ظاهر الحال ، والخطيبة هنا أنزلت المُخاطب العالم بفائدة الخبر ولازمه منزلة الجاهل بذلك لعدم التزامه وعمله على موجب ما يُعلم به ، لذلك ألفت الخبر كما يُلقى إلى الجاهل به توبيخاً للمُخاطب على عدم عمله بمقتضى علمه ، وهذا الدّاعي هو الذي جعل الخطيبة تأتي بكلام مخصوص ، كون الأمر الداعي ثابت في الواقع .

وأما السيدة زينب B فنلاحظ في خطبتها تعدد الطُرُق في إلقاء الخبر ، ففي خطبتها أمام أهل الكوفة تنزل المُتلقين منزلة خالي الدّهن المتردد بقولها : «فَلَا يَسْتَحِفُّنَكُمُ الْمُهْلُ ، فَإِنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَخْفِرُهُ الْبِدَارُ وَلَا يُخْشَى عَلَيْهِ قُوَّةَ النَّارِ ، كَلَّا إِنَّ رَبَّكَ لَنَا وَلَهُمْ لِبَالِرْصَادٍ» (٢) ، وقد اجتمعت المؤكدات في خطابها وذلك لشرف الحكم وتقويته (٣) ، مع العلم أنّ الحكم ليس فيه تردد ، ولا يُمكن إنكاره ، ولكنّ القوم تظاهروا بالإنكار ، وهي B استشعرت ذلك منهم ، فأفادت بإلقائها هنا بأنها عالمة بمكان نواياهم وسابق أعمالهم ، كمُخاطبة الإمام الحسين A حينما كان في المدينة ، لذا كان الخبر لازم الفائدة إلى جانب تضمّنه للحكم الذي تضمّنه خلال إيراد الخطيبة B أكثر من مؤكد (نون التوكيد ، إنّ ، التكرار) .

وفي خطبتها بالشام تُلقى الخبر في قولها : «ولتردّ على الله وشيكاَ موردهم ، ولتودنّ أنّك عميت وبكمت» (٤) ، وقد أفادت من الحكم الذي تضمنه الكلام ، وهي بذلك عمدت إلى أن تُبين وتوضح لسامعيها المصير الذي سينتهون إليه ، فجاء الخبر إنكاري لتكرار المؤكد (نون التوكيد) على الواحد ، وهنا أنزلت المتردد (المُخاطب) منزلة الخالي الدّهن ، ويبدو واضحاً أنها أخرجت الكلام خلاف مقتضى الظاهر (٥) ، لذلك كان المُتلقِي (يزيد) كالمسائل الخالي الدّهن أو المتردد المنكر لعدم وجود القرينة .

(١) بلاغات النساء : ٢٠ ، نشر الدّر : ٩ ، الإحتجاج : ٢٩٠/١ .

(٢) اللهوف في قتلى الطفوف : ٩٥ ، الإحتجاج : ١١٢/٢ .

(٣) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع : (قد يؤكد الخبر لشرف الحكم وتقويته ، مع أنه ليس فيه تردد ولا إنكار) : ٦٣ .

(٤) نشر الدّر : ١٨ .

(٥) ظ : علم المعاني : ٦٥ .

ويُطالعنا أسلوب إلقاء الخبر في خطبة السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين B بقولها : « فَلَا تَدْعُوَكُمْ أَنْفُسُكُمْ إِلَى الْجَدَلِ بِمَا أَصَبْتُمْ مِنْ دِمَائِنَا » (١) ، وبهذا الإلقاء نجدها تُنزل المتلقين منزلة المتردد ، وتأتي بأكثر من مؤكد ، والخبر على مقتضى ظاهر الحال ، وجاء تأكيدها بالنهاي ، والسامعين كانوا مُكرّرين للخبر لاعتقادهم بخلافه ، وهذا هو سبب تعدّد المؤكّدات ، واستثمرت الخطيبه ظاهرة الإلقاء للتحذير ، والجُملة الفعلية أفادت التجدّد والحدوث في زمن معين (٢) . وهكذا تستمرّ الخطيبات في إلقاء الخبر بأساليب وطُرُق متنوعة لأغراض بلاغية تتناسب وطبيعة الموضوع ، لكننا مع هذا نجد أنّ الإنشاء هو الغالب على نُصوص خطبهنّ ، حتّى أنّه عدّ ظاهرة أسلوبية في هذه النصوص ، وأعتقد أنّ سبب ذلك هو مُلاءمة هذه الأساليب لموضوعات الخطب التي تطلبت أن يكون الإنشاء الطلبي هو الغالب ، ولم يكن ذلك ليمنع من استعمال أساليب أخرى لتحقيق مناشئ جديدة بأساليب مختلفة لها أغراضها وأهدافها كالنقريع والتوبيخ والاستنكار والتهكم الخ .

ونظراً لكثرة توافر أسلوب الإنشاء الطلبي فإننا سنقف عند كلّ واحد منها في هذه النصوص لإبراز مكان البلاغة في نصوص هذه الخطب .

أولاً : الأمر والنهي :

يُعدّ أسلوب الأمر من أساليب الإنشاء الطلبي (٣) ، وهو ((طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام ، ويقصد بالاستعلاء أن ينظر الأمر لنفسه على أنّه أعلى منزلة ممّن يُخاطبه أو يوجه الأمر إليه ، سواء أكان أعلى منزلة منه في الواقع أم لا)) (٤) .

وللأمر أربع صيغ (٥) هي :

فعل الأمر ، والمضارع المجزوم بلام الأمر ، واسم فعل الأمر ، والمصدر النائب عن فعل الأمر ، وقد تخرج هذه الصيغ عن معناها الأصلي وهو (الإيجاب والإلزام) إلى معانٍ أخرى تُستفاد من سياق الكلام ، وقرائن الأحوال ، كالدُّعاء والالتماس والتهديد والتعجب والتأديب والتقريع .

(١) اللهوف في قتلى الطفوف : ٩٧ ، الاحتجاج : ١٠٦/٢ .

(٢) ظ : جواهر البلاغة : ٧١ ، (الجُملة الفعلية موضوعة لإفادة التجدّد والحدوث في زمن مُعين مع الاختصار) .

(٣) الطلب : (من غير تصور إجمالاً أو تفصيلاً لا يصحّ وأنّه يستدعي مطلوباً لا محالة ويستدعي فيما هو مطلوبه أن لا يكون حاصلًا وقت الطلب) والطلب نوعان : نوع لا يستدعي في مطلوبه إمكان الحصول - ونوع يستدعي فيه إمكان الحصول ؛ ينظر : مفتاح العلوم : ٥٢٣ .

(٤) علم المعاني : ٨١ .

(٥) ظ : جواهر البلاغة : ٧٨-٧٩ .

وهذه الصيغ نجدها بوفرة في خطب سيدات البيت العلوي ، والملاحظ أنها وردت بشكل متنوع ، إذ لم تعتمد الخطيبات على فعل الأمر أو لامه فحسب ، بل تُعدى أسلوبهن إلى استعمال اسم فعل الأمر ، وذلك لاقتضاء الحاجة وتطلب المقام .

ومن ذلك ما ورد في خطبة السيدة الزهراء B أمام نساء المهاجرين والأنصار في قولها : « أَلَا هَلُمَّ فَاسْتَمِعِ » (١) ، فقد استخدمت اسم الفعل (هَلُمَّ) الذي هو بمعنى (أقبل) ، ثم تبعته بفعل آخر ، وبين الفعلين جاءت بـ(الفاء) وهي رابطة لجواب الطلب ، فضلاً عن إفادتها في تقوية المعنى وتوكيده ، وملاءمتها لجو الخطبة التي جاءت في ظروفٍ عصبيةٍ تمرُّ بها السيدة الزهراء B .

وفي مقطع آخر تُوظف صيغ الأمر لأغراض بلاغية منها السخرية والتهكم ، كما في قولها : « ثُمَّ طَيَّبُوا عَنْ دُنْيَاكُمْ أَنْفُسًا ، وَاطْمَئَنُّوا لِلْفِتْنَةِ جَأشًا ، وَأَبْشِرُوا بِسَيْفِ صَارِمٍ » (٢) ، فـ(طيبوا ، اطمئنوا ، أبشروا) إنما هي صيغ أمر تُوحي بالسعادة والطمأنينة واللين والبشارة ، ولكن الخطيبة B منحتها معنىً مُغايراً ، ونقلتها من السعادة إلى الشقاء ، وهذا ما أضاف للخطبة سموّاً من حيث تأثرها بأسلوب القرآن الكريم ، فضلاً عن أنّه أسلوب أدّى إلى تطوّر دلالة اللفظة العربية ، من خلال تنقلها في أثناء الخطاب من الإخبار إلى الإنشاء ، ومن الغائب إلى المُخاطب ، فهي تُحدّث نساء المهاجرين والأنصار وانتقلت إلى القوم وكأنّهم يسمعونها ، ومما يلاحظ أيضاً أنّها تميل على الالتفات وحسن التصرف ، حتّى عدّ ذلك من أسلوب خطابها ، من حيث تعمدتها على نقل الخطاب إلى المتكلّم مباشرة ، ولاسيّما في خطبتها هذه .

ومن الخطيبات من وظفت صيغة الأمر المقرونة بتكرار الفاء للتأنيب والتهديد بقوة ، فمثلاً في خطبة السيدة زينب B في أهل الكوفة تُلاحظ التكرار المستمر للفاء مع كلّ فعل أمر في قولها : « فَاذْكُرُوا فَإِنَّكُمْ وَاللَّهِ أَحْرَبَاءُ بِالْبُكَاءِ ، فَاذْكُرُوا كَثِيرًا وَاضْحَكُوا قَلِيلًا » (٣) .

بينما في خطابها أمام يزيد في الشام نجدها توظف صيغة الأمر للتحذير ، بقولها « حِينَ صَفَا لَكَ مُلْكُنَا ، وَخَلَصَ لَكَ سُلْطَانُنَا ، فَمَهْلًا مَهْلًا لَا تَطِشْ جَهْلًا » (٤) ، فهنا جاءت بالأمر (مهلاً مهلاً) وقد كرّرت لغرض تأكيد الفعل ، والتّحذير له ومما فرح به ، وإلى جانب ذلك أفادت من هذه الصيغة الاستنكار على يزيد في عدم الإسراع ، فالسيدة زينب B أرادت أن تُبين للمُخاطب

(١) نثر الدرّ : ٩ ، الإحتجاج : ١ / ٢٨٩ .

(٢) بلاغات النساء : ٢٠ ، دلائل الإمامة : ٤١ ، نثر الدرّ : ٩ ، الإحتجاج : ١ / ٢٩١ .

(٣) الإحتجاج : ١١١ / ٢ .

(٤) م ن : ١٢٤ / ٢ .

أن الأمر ليس كما يعتقد أو يظن ، لذلك أوقفته بقوة وهي تقول له (مهلاً مهلاً ، أي على مهلك) ثم انطلقت بخطابها وهي تبين له حقيقة خسارته .

ومثل ذلك في خطبة السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين B ، فبعد أن عادت من كربلاء توجهت إلى أهل الكوفة مخاطبة إياهم على فعلتهم قائلة : « تَبَّأَ لَكُمْ ! فَانْظُرُوا اللَّعْنَةَ وَالْعَذَابَ »^(١) ، وهي في خطابها استثمرت صيغة الأمر في التهديد والوعيد لما ينتظر القوم من العذاب ، وقد قرنت (الفاء) بفعل الأمر لتؤكد هذا المعنى ، وفي نهاية الخطبة تقول : « فَانْظُرُوا وَقَعِ كَمَا أَقْعَى أَبُوكَ »^(٢) ، وهي لم تقصد بالأمر الإيجاب والإلزام ، بل خرجت به لغرض بلاغي وهو التوبيخ والتقريع .

ثانياً : أسلوب الاستفهام :

يُعد أسلوب الاستفهام من أكثر الأساليب الإنشائية تواجداً في فقرات نصوص الخطب ، وهو ((طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل بأداة خاصة))^(٣) ، وعلى الرغم من وفرته إلا أنه لم يأت بمعناه الحقيقي ، وإنما خرج لمعان مجازية ، وهذا بديهي إذ إن مضامين الخطب استدعت أن يكون هذا الأسلوب الطلبي ((من أوفر أساليب الكلام معاني وأوسعها تصرفاً وأكثرها في مواقف الانفعال وروداً ... وحيث يُراد التأثير وهيجان الشعور للاستحالة والإقناع ، فالاستفهام أقدر تلك الأساليب على الوفاء بحق تلك المواقف))^(٤) .

فالظرف الذي كان يمرّ به البيت العلوي من اغتصاب للحقوق بعد وفاة الرسول 9 ، فضلاً عن قتل الأئمة الواحد تلو الآخر ، والأمر الذي جعل تلك الخطب تترجم تلك المعاناة ، وما يجيش من عواطف ومشاعر حزينة بسبب عظم الرزايا والمصائب ، وكان الاستفهام هو الأسلوب الملائم لتلك التعبيرات ، إذ نلاحظ كثرة استعمال علاماته التقريرية المكلّلة بطابع التوبيخ والتقريع ، كما في خطبة السيدة زينب B أمام أهل الكوفة « هَلْ فِيكُمْ إِلَّا الصِّلْفُ وَالْعَجِبُ ، وَالشَّنْفُ ... أَتَبْكُونَ أَخِي ؟ ! ... أَتَدْرُونَ وَيْلَكُمْ أَيَّ كَبِدٍ لِمُحَمَّدٍ 9 فَرْتُمْ ؟ ! وَأَيَّ عَهْدٍ نَكُثْتُمْ ؟ ! وَأَيَّ كَرِيمَةٍ لَهُ أَبْرَزْتُمْ ؟ ! وَأَيَّ حُرْمَةٍ لَهُ هَتَكْتُمْ ؟ ! وَأَيَّ دَمٍ لَهُ سَفَكْتُمْ ؟ ! ... أَفَعَجِبْتُمْ أَنْ تُمَطِّرَ السَّمَاءُ دَمًا »^(٥)

(١) اللهوف في قتلى الطفوف : ٩٧ ، الاحتجاج : ١٠٧ / ٢ .

(٢) اللهوف في قتلى الطفوف : ٩٨ ، الاحتجاج : ١٠٨ / ٢ .

(٣) علم المعاني : ٩٦ ، وظ : جواهر البلاغة : ٨٥ .

(٤) أساليب الاستفهام في القرآن الكريم : ٢٩٢ .

(٥) اللهوف في قتلى الطفوف : ٩٤ - ٩٥ ، الاحتجاج : ١١٠ / ٢ - ١١٢ .

، هكذا نجد الخطيية تتابع استنفهاماتها الاستنكارية ، إذ لم تُرد منهم جواباً بل أنكرت عليهم فعلتهم التي خذلوا بها الإمام الحسين A مُستثمرة الموقف لتأجيج المشاعر وإثارة الحماس في نفوسهم بعد أن نبهتهم على جسامة ما اقترفوه بحق الإمام المفروض الطاعة ، فقد وجهت الخطاب لهم وهي تعيد ضمير المُخاطب عليهم وحدهم من دون أن تترك احتمال وجود مُشاركين لهم في الجريمة ، مع علمها B - وكذا علمهم - أن الفاجعة تَمَّت بأمر من يزيد ، وهذا ما أعطى الكلام لازماً دلاليّاً ، مفاده إظهار خطئهم على مقدار ما اقترفوه .

وأما في خطبتها أمام يزيد فقد جعلت الاستفهام طاعياً على خطبتها ، موظفة إيّاه لغرض التوبيخ والتقريع في قولها : ((أَمِنَ الْعَدْلُ يَا بَنَ الطَّلَقَاءِ)) (١) ، وبعد هذا تسترسل في طرح استنفهاماتها بتوبيخ واستنكار ، ثم تعقبه بتحقيق وزجر في قولها : ((وَهَلْ رَأَيْكَ إِلَّا قَتَدَ ، وَأَيَّامُكَ إِلَّا عَدَدَ ، وَجَمْعُكَ إِلَّا بَدَدَ)) (٢) ، موضحة باستنفهاماتها فداحة خسارته .

ومن الخطيبات من وظفت الاستفهام للكشف عن عظم المُصاب الذي لحق آل البيت Δ بسبب ما اقترفه القوم ، فجاء الاستفهام انكارياً مُشيراً إلى عداء هؤلاء ، مما أدى إلى أن يكون أسلوب الخطاب خافياً في فقراته التعجب ممّن قتل ابن بنت نبيهم Q ، ومثال ذلك قول السيدة أم كلثوم بنت أمير المؤمنين B في أهل الكوفة ((وَيَلَكُمْ ، أَتَذَرُونَ أَيَّ دَوَاهٍ دَهَنَكُمْ ؟ وَأَيَّ وَزَرٍ عَلَيَّ ظُهُورِكُمْ حَمَلْتُمْ ؟! وَأَيَّ دِمَاءٍ سَفَكْتُمُوهَا ؟ وَأَيَّ كَرِيمَةٍ أَصَبْتُمُوهَا ؟ وَأَيَّ صَبِيَّةٍ سَلَبْتُمُوهَا ؟ وَأَيَّ أَمْوَالٍ انْتَهَبْتُمُوهَا ؟)) (٣) وهذا العرض في أسلوب الاستفهام المتكرر قد ترك أثراً بليغاً في نفوس المستمعين لما تضمنه من معانٍ أخرى غير الاستفهام كالتوبيخ والإنكار ، ولذلك جاءت الخطيية بالاستفهامات مُتتالية من دون فاصل ، لإظهار فداحة جريمتهم .

وفي خطب السيدة الزهراء B تكثرت العبارات الاستفهامية ، ذلك أنها B وجهت خطابها إلى قوم خالفوا طريق الحق ، لذلك وظفت أسلوب الاستفهام الذي توالى في خطبها لأغراض مجازية كثيرة ، وذلك بحسب ما اقتضته الفقرات من توبيخ وإنكار وتعجب ونهي ونفي وأمر ولوم وتقدير وتهويل واستبعاد وتحقير ، فضلاً عن التهكم والوعيد والتنبيه على الخطأ أو الباطل أو ضلال الطريق ، وهذا إن دلّ على شيء فإنه يدلّ على أن الخطيية B جعلت لأسلوب الاستفهام مزية ارتقى بها كلامها إلى مستويات بلاغية عالية .

(١) بلاغات النساء : ٢١ ، نثر الدرّ : ١٨ .

(٢) الاحتجاج : ١٣٠/٢ .

(٣) اللهوف في قتلى الطفوف : ٩٩ .

وَمِنْ الْأَمْثَلَةِ عَلَى ذَلِكَ مَا وَرَدَ فِي خُطْبَتِهَا فِي مَسْجِدِ الرَّسُولِ ٩ « أَوْصِرْ مِنْكُمْ عَلَى مِثْلِ حَزِّ الْمَدَى ، وَزَعَمْتُمْ أَنْ لَا إِرْثَ لَنَا ؟ أَفَحَكَمَ الْجَاهِلِيَّةُ تَبْغُونَ ؟ وَمَنْ أَحْسَنَ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ؟ ... إِيَّهَااَ مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ ، أَأَبْتَزَّ إِرْثَ أَبِي ؟ ! يَا ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ أَفِي كِتَابِ اللَّهِ أَنْ تَرِثَ أَبَاكَ وَلَا أَرِثَ أَبِي ؟ ... أَفَعَلَى عَمْدٍ تَرَكْتُمْ كِتَابَ اللَّهِ بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ وَنَبَذْتُمُوهُ ؟ ! ... وَزَعَمْتُمْ أَنْ لَا حِظَّ لِي وَلَا إِرْثَ مِنْ أَبِي ؟ أَفَخَصَّكُمْ اللَّهُ بِآيَةٍ أَخْرَجَ أَبِي مِنْهَا ؟ أَمْ تَقُولُونَ أَهْلَ مَلَّتَيْنِ لَا يَتَوَارِثَانِ ؟ أَوْلَسْتُ أَنَا وَأَبِي مِنْ مِلَّةٍ وَاحِدَةٍ ؟ أَمْ أَنْتُمْ بِمَخْصُوصِ الْقُرْآنِ وَعَمُومِهِ أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِهِ ؟ ... أَفَتَجْمَعُونَ إِلَى الظَّلَامَةِ الشَّنْعَاءِ ، وَالْغَلْبَةِ الدَّهْيَاءِ ؟ ! ... قَدْ زَعَمْتَ أَنْ النُّبُوَّةَ لَا تَوَرِثُ وَإِنَّمَا يُوَرِّثُ مَا دُونَهَا ، فَمَا لِي أَمْنَعُ إِرْثَ أَبِي ؟ أَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ : إِلَّا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ ؟ فَدَلَّنِي عَلَيْهِ أَقْنَعْ بِهِ » (١) ، نَلْحِظُ هُنَا أَنَّ السَّيِّدَةَ الزَّهْرَاءَ B تَسْتَرْسِلُ فِي عَرْضِ اسْلُوبِ الاسْتِفْهَامِ عَلَى الْمُتَلَقِّينَ ، وَهِيَ تُزَاوِجُ وَتُخَالِطُ بَيْنَ مَا هُوَ طَلَبٌ وَمَا هُوَ خَبَرٌ ، لِاسْتِثْنَاءِ الْخَبَرِ الْمَعْرُوفِ بِإِلْزَامِ الْفَائِدَةِ (٢) ، وَمِثَالُهُ قَوْلُهَا B : « فَأَتَى حَرْثٌ بَعْدَ الْبَيَانِ ؟ وَأَسْرَرْتُمْ بَعْدَ الْإِعْلَانِ ؟ وَنَكَّصْتُمْ بَعْدَ الْإِقْدَامِ ؟ وَأَشْرَكْتُمْ بَعْدَ الْإِيمَانِ ؟ بُؤْسًا لِقَوْمٍ نَكَّثُوا إِيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ ، وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ ، وَهُمْ بَدَأُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ Π أَتَغَشَّوهُمْ فَالَلَهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ O (٣) » (٤) ، نُلَاحِظُ أَنَّ هَذَا التَّدَاخُلَ بَيْنَ الْإِنْشَاءِ الطَّلَبِيِّ الْمُتَمَثِّلِ بِ(الاسْتِفْهَامِ) وَبَيْنَ الْخَبَرِ قَدْ أَضْفَى عَلَى خُطَابِهَا وَشَاحًا أَدَبِيًّا دَلَّلَ عَلَى عُمُقِ إِدْرَاكِ الْخُطْبِيَّةِ B لِلذَّوْقِ الْأَدَبِيِّ الرَّفِيعِ .

مِنْ ذَلِكَ نَلْحِظُ غَزَاوَةَ الاسْتِفْهَامَاتِ الَّتِي جَاءَتْ فِي خُطْبَتِهَا B فِي الشَّامِ الَّتِي خَرَجَتْ لِأَغْرَاضٍ ، مِنْهَا : التَّهَكُّمُ وَالتَّنْبِيهُ عَلَى الْخَطَا وَالتَّأْنِيبُ (٥) ، وَفِي خُطْبَتِهَا B أَمَامَ نِسَاءِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ نُلَاحِظُ تَتَالِيَّ اسْتِفْهَامَاتِهَا الَّتِي خَرَجَتْ لِأَغْرَاضٍ مُجَازِيَّةٍ ، فَمِنْ التَّهْدِيدِ وَالتَّقْرِيعِ وَاللُّومِ وَالتَّقْرِيرِ إِلَى التَّحَسُّرِ ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهَا B « وَيَحْهَمُّ أُنِّي زَعَزَعُوهَا عَنْ رَوَاسِي

(١) بلاغات النساء : ١٧ - ١٩ ، دلائل الإمامة : ٣٤ - ٣٦ .

(٢) خبر لازم الفائدة : (هو الذي يُلْقَى لغرض إفادة المُخَاطَبِ أَنَّ الْمُتَكَلِّمَ عَالِمٌ بِالْحُكْمِ) ، ظ : علم المعاني : ٥٢ .

(٣) التوبة / ١٣ .

(٤) بلاغات النساء : ١٨ ، دلائل الإمامة : ٣٧ ، نثر الدر : ٨ .

(٥) ظ : خُطْبَتِهَا B فِي الْمَسْجِدِ فِي بِلَاغَاتِ النِّسَاءِ : ١٢ - ٢٠ ، الْإِحْتِجَاجُ : ٢ / ٢٥٣ - ٢٧٨ .

الرَّسَالَة ، وَقَوَاعِدِ الثُّبُوتِ والدَّلَالَةِ ، وَمَهَبِطِ الرُّوحِ الْأَمِينِ ، وَالطَّبِينِ بِأُمُورِ الدُّنْيَا وَالْأَمِينِ ؟! Π أَلَا ذَلِكَ هُوَ

الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ O (١) ، وَمَا الَّذِي نَقِمُوا مِنْ أَبِي الْحَسَنِ A ؟! « (٢) .

وعلى الرغم من كثرة الاستفهامات في نصوص الخطب ، إلا أنه لم يرد بصورة حقيقية ، بل خرج لأغراض بلاغية أفادت المعنى وناسبت السياق ، وما ذكرنا من أمثلة دليل على ما لم يُذكر ، وجدير بالذكر أن الخطيبات استثمرن أسلوب الاستفهام الوارد في نصوص قرآنية مختلفة استثماراً حقيقياً ، فمثلاً نلاحظ السيدة فاطمة الزهراء B قد سخرت الأسلوب الذي تضمنته الآيات التي اقتبستها في خطبها ، وهذا التوظيف جاء بما يتناسب وسياق الخطاب (٣) .

ثالثاً : النداء :

النداء لغة هو : ((النداء ، والنداء : الصوت مثل الدعاء والرُّغَاء ، وقد ناداه ونادى به وناداه مناداة ونداءً أي : صاح به)) (٤) .

وفي الاصطلاح ((النداء التصويت بالمنادى ليقبل ، أو هو طلب إقبال المدعو إلى الداعي ، وقد أدخله البلاغيون المتأخرون في أنواع الإنشاء الطلبي)) (٥) ، وبصورة أدق هو ((طلب المتكلم إقبال المخاطب عليه بحرف نائب مناب "أنادي" المنقول من الخبر إلى الإنشاء ، وأدواته ثمانية : الهمزة ، وأي ، ويا ، وأي ، وأيا ، وهيا ، ووا)) (٦) .

وكان لأسلوب النداء نصيب في نصوص الخطب ، ولاسيما ما ورد بالأداة (يا) ، وهي من أدوات التي تستعمل لنداء البعيد ، وتعزى كثرة استخدامها لقوة تأثيرها على السامع .

ومن نماذجها في الخطب ما ورد في خطبة السيدة الزهراء B في المسجد بقولها : ((أُنَبِّئُ إِرثَ أَبِي يَا ابْنَ أَبِي قَحَافَةِ ؟)) (٧) ، نلاحظ أنها عمدت إلى استعمال الحرف (يا) لتلفت أنظار السامعين وهي تخاطب أبا بكر بهذه اللفظة ، إذ أنزلته منزلة البعيد ، وهذه إشارة من الخطيبة B للخط من منزلة المخاطب ودرجته .

(١) الزمر / ١٥ .

(٢) بلاغات النساء : ٢٠ ، دلالات الإمامة : ٤٠ ، نثر الدر : ٨ ، الاحتجاج : ١ / ٢٨٧ - ٢٨٨ .

(٣) ظ : الآيات الواردة في خطبة السيدة الزهراء B في المسجد : { آل عمران / ٨٥ ، المائدة / ٥٠ ، هود / ٣٩ ، الزمر / ٣٩ - ٤٠ ، إبراهيم / ٨ ، الشعراء / ٢٢٧ ، محمد / ٢٤ } و ظ : الآيات الواردة في خطبتها B أمام نساء المهاجرين والأنصار : { يونس / ٣٥ ، هود / ٢٨ } .

(٤) لسان العرب : مادة (ندي) ١٥ / ٣١٣ .

(٥) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : ٣ / ٣٢٦ .

(٦) جواهر البلاغة : ١٠٥ .

(٧) دلالات الإمامة : ٣٤ .

وتوظفه B لغرض اللوم والعتب في قولها : « أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ ! أَأَغْلَبُ عَلَى إِرْثِيَةِ !؟ » (١) .

ومثلها فعلت السيدة زينب B حينما عمدت إلى استعمال الحرف (يا) وهي تُخاطب يزيد بقولها : « أَطْنَنْتَ يَا يَزِيدُ أَتُكِّحُ حِينَ أَخَذْتَ عَلَيْنَا أَقْطَارَ الْأَرْضِ » (٢) ، فقد أنزلته أدنى الدرجات أمام الحاضرين ، ثم انتقلت بأسلوب النداء المباشر لتقول له : « أَمِينَ الْعَدْلُ يَا بَنَ الطُّلَقَاءِ » (٣) ، وكان نداؤها له بهذه الطريقة دليل على عدم قصدها للسؤال والاستفهام ، بل كانت تقصد التوبيخ .

وأما السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين B فقد أرادت لفت ذهن السامع وشد انتباهه ، فعمدت إلى أسلوب النداء بقولها : « أَيُّهَا الْقَائِلُ الْكَثْكَثُ وَالْأَنْثَلُ » (٤) ، وهي إنما اختارت الحرف (أي) لأنه للقريب ، ولكنه ينزله منزلة البعيد للحط من قدره والاستهزاء به .

ونلاحظ في خطب العلويات [السيدة زينب B ، السيدة أم كلثوم B ، السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين X] أمام أهل الكوفة استعمال حرف النداء (يا) ، فجاءت خطبهن ضمن أسلوب واحد ، ومثاله خطبة السيدة أم كلثوم بنت أمير المؤمنين B : « يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ ، سَوَاءٌ لَكُمْ ، مَا لَكُمْ خَذَلْتُمْ حُسَيْنًا وَقَتَلْتُمُوهُ » (٥) ، وهكذا بقيّة الخطب ، إذ إنها جاءت على الشاكلة نفسها (٦) ، وكأنّ هذا المقطع مكرّر ، ولكن السيدات لم يقصدن التكرار بقدر ما قصدن توظيف هذا الأسلوب لتنبيه أهل الكوفة على غفلتهم ونكثهم الإمام المفروض الطاعة الحسين بن علي A ، وهم يعلمون بعاقبة هذا الأمر ، ولكن لشرودهم الذهني الذي عمدوا إليه هرباً من المسؤولية ، هو الذي جعل الخطيبات ينهجن ذلك النهج في بداية كلّ خطبة ، وهذا ما زاد الخطب روعة ، فبهذا الأسلوب استحضرت الأذهان الشاردة ، فتأثرت بالخطاب ، وهذا سبب استعمال الحرف (يا) الذي أنزل البعيد منزلة القريب لجعله حاضراً ومنشداً لما يُقال .

(١) الاحتجاج : ٢٦٧/١ .

(٢) بلاغات النساء : ٢١ ، نثر الدر : ١٧ ، الاحتجاج : ١٢٤/٢ .

(٣) بلاغات النساء : ٢١ ، نثر الدر : ١٨ .

(٤) اللهوف في قتلى الطفوف : ٩٨ ، الاحتجاج : ١٠٨/٢ .

(٥) م ن : ٩٩ .

(٦) ظ : خطبة السيدة زينب B بحضرة أهل الكوفة ، في اللهوف في قتلى الطفوف : ٩٤ ، الاحتجاج : ١١٠/٢ ، وظ : خطبة السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين X ، في اللهوف في قتلى الطفوف : ٩٦ ، الاحتجاج : ١٠٦/٢ .

رابعاً : القسم :

القسم لغة : ((اليمين ، والجمع أقسام ، وأقسمت : حلفت ، وأصله من القسامة ، والقسامة : الذين يحلفون على حقهم ويأخذون)) (١) .

وفي الاصطلاح : ((أن يحلف على شيء بما فيه فخراً أو مدحاً ، أو تعظيماً ، أو تغزلاً ، أو زهواً أو غير ذلك مما يكون فيه رشاقة في الكلام وتحسين له)) (٢) .

ونلاحظ أنه ورد في نصوص الخطب وقد زادها حسناً ، ومثاله في خطبة السيدة الزهراء B في خطبتها أمام نساء المهاجرين والأنصار : ((أَصْبَحْتُ وَاللَّهِ عَائِفَةً لِدُنْيَاكُنَّ ، قَالِيَةً لِرِجَالِكُنَّ ،

لَفْظَتُهُمْ بَعْدَ أَنْ عَجَمْتُهُمْ ، وَشَنَأْتُهُمْ بَعْدَ أَنْ سَبَرْتُهُمْ ، فَقَبَحًا لِقُلُولِ الْحَدِّ ... وَمَا الَّذِي نَقِمُوا مِنْ أَبِي الْحَسَنِ A

؟! نَقِمُوا وَاللَّهِ مِنْهُ نَكِيرٌ سَيْفِهِ ، [وَقَلَّةٌ مُبَالَاةٌ لِحَتْفِهِ] ، وَشِدَّةٌ وَطْأَتِهِ ، وَنَكَالٌ وَقَعْتِهِ ، وَتَنْمِرَةٌ فِي ذَاتِ اللَّهِ ،

وَتَالَلِهُ لَوْ مَالُوا عَنِ الْمَحَجَّةِ اللَّايِحَةِ ، وَزَالُوا عَنْ قَبُولِ الْحُجَّةِ الْوَاضِحَةِ ، لَرَدَّهُمْ إِلَيْهَا ، وَحَمَلَهُمْ عَلَيْهَا ، وَلَسَارَ

بِهِمْ سَيْرًا سُجْحًا ... اسْتَبَدَلُوا وَاللَّهِ الدُّنْيَا بِالْقَوَادِمِ)) (٣) ، ففي هذه الخطبة وفي أكثر من مقطع منها

عمدت الخطيبة إلى استعمال أسلوب القسم ، ومما يلاحظ اقتران لفظ الجلالة (الله) بالواو

العاطفة ، والقسم بهذه الصيغة (اقتران الواو بلفظ الجلالة) إنما يزيد ويؤكد اليمين رسوخاً في

الأذهان ، وتتفنن الخطيبة B بإيراد أسلوب القسم في هذه الخطبة بأكثر من صيغة ، فتارة يرد

صريحاً بقولها (لا جرم والله) ، وأخرى (أما لعمر الله) وفي قولها (وتالله لو مألوا عن المحجة

اللايحة) قسم صريح ، وهذا التعدد بصيغ القسم إنما يدل على براعتها الأدبية ومقدرتها

البلاغية، ذلك أن القسم من ((وسائل تأكيد القول إذا أريد العزم أو الإصرار على أمر من

(الأمور)) (٤) ، وهذا ما نلاحظه في خطبتي السيدة زينب B (٥) .

(١) لسان العرب : مادة (قسم) ١٢ / ٤٧٨ .

(٢) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز : ٣ / ٥٣ .

(٣) دلائل الإمامة : ٤٠ - ٤١ ، الاحتجاج : ١ / ٢٨٦ - ٢٩٠ .

(٤) أساليب القسم في اللغة العربية : ١٥ .

(٥) ظ : اللهوف : ٩٥ - ٩٤ (خطبتها B بالكوفة)، وظ : بلاغات النساء : ٢٢-٢٣ ، نشر الذر : ١٧ - ١٩ (خطبتها B في مجلس يزيد) .

ونجد أسلوب القسم قد ورد في الخطب على وفق صياغات متعددة ، ففي خطبة السيدة زينب B أمام يزيد يرد القسم بصيغة (لعمرى) في قولها : ((لَعْمَرِي لَقَدْ نَكَاتِ الْقُرْحَةَ ، وَاسْتَأْصَلَتِ الشَّافَةَ ... وَلَعْمَرِي لَقَدْ نَادَيْتَهُمْ لَوْ شَهِدُوكَ !)) (١) .

وسبق القسم فعل مؤكد بنون التوكيد الثقيلة في خطبة السيدة الزهراء B التي قالت فيها : « أما والله لتجدنَّ حملها ثقيلاً ، وعبثها ويلاً » (٢) ، وذلك لتؤكد الحلف (اليمين) في الأذهان.

خامساً : الدُّعاء :

كان لأسلوب الدُّعاء حضور واضح في خطب سيدات البيت العلوي ، ذلك أن الدُّعاء من الأساليب التي يوظفها الخطيب في نُصوصه ليعبر بها عن رضاه أو عدمه ، ولذلك يُعدّ من الأساليب التي لا يكاد الخطيب يبتعد عنها لما يحقّقه الدعاء من أغراض ، ومعظم هذه الأغراض تعبر عن الرضا أو السخط .

ومثال الأوّل ما ورد في خطبة السيدة زينب B في الشام : « والحمد لله الذي ختم بالسعادة والمغفرة لسادات شبان الجنان ، فأوجب لهم الجنة ، أسأل الله أن يرفع لهم الدرجات ، وأن يوجب لهم المزيد من فضله فإنه ولي قدير » (٣) .

ومثال الثاني قولها B : « اللَّهُمَّ خُذْ بِحَقِّنَا ، وَانْتَقِمْ مِنْ ظَالِمِنَا » (٤) ، وأيضاً دعت على أهل الكوفة وهي تُخاطبهم بقولها : « فَلَا رَقَاتِ الْعَبْرَةِ ، وَلَا هَذَاتِ الزُّفْرَةِ » (٥) ، فهي B هنا قد دعت عليهم ، ومن ذلك القلب المُلتهب بالمصائب والأحزان ، دعت أن تمرّ عليهم ظروف وأحوال تجعلُ بكَائِهِمْ مُتَوَاصِلًا ودُمُوعُهُمْ مُسْتَمِرَّةً في الجريان ، لا تَهْدَأُ وَلَا تَنْقُطُ ، وَلَا تَهْدَأُ رِئَتْهُمُ (أي بكاؤهم المصحوب بالتحبيب والعويل) بعد أن قاموا بتلك الأعمال الإجرامية (٦) .

(١) الاحتجاج : ١٢٦/٢ - ١٢٧ .

(٢) دلائل الإمامة : ٣٦ .

(٣) بلاغات النساء : ٢٣ ، نثر الدرّ : ١٩ .

(٤) نثر الدرّ : ١٩ ، الاحتجاج : ١٢٧/٢ .

(٥) الاحتجاج : ١١٠/٢ .

(٦) زينب الكبرى : ٢٢٥ .

ونجد عبارات الدعاء تتكرر في خطبة السيدة فاطمة الزهراء B أمام نساء المهاجرين والأنصار ، ومن أمثلتها قولها : « فَجَدَعًا وَعَقْرًا ، وَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ » (١) ، فهنا تدعو على القوم والسخط بادٍ عليها من سياق الدعاء ، والمعنى : ((جَدَعَهُمُ اللَّهُ جَدَعًا ، والجَدَعُ : قطع الأنف والأذن والشفة ، قَطَعَهُمُ اللَّهُ أَنَافَهُمْ قَطْعًا ، وعَقَرَهُمْ عَقْرًا أي جرحهم جُرْحًا وقتلهم قتلاً وأهلكهم إهلاكاً وأبعدهم الله من رحمته بُعْدًا)) (٢) ، وبجُملة إنشائية ودُعائية تقول لهم : «فَقُبْحًا لِفُلُولِ الْهَدْيِ» (٣) ، فُقْبْحًا مصدر لفعل محذوف نحو سُقِيًا ، وهو دعاء بالشر ، وهكذا تُكرِّر الخطيب الدعاء بأكثر من صيغة (٤) .

وتستثمر بعض الخطيبات الأدعية القرآنية ، فتقتبس لخطبها الآيات التي ترد فيها الأدعية على وفق ما يتناسب وسياق الكلام ، حتَّى يُمكن أن نعد هذا الأسلوب من سمات خُطب السيدات (٥) .

سادساً : القصر :

أسلوب القصر من الأساليب التي زخرت بها نصوص الخطب وبطرق متعددة ، فتارة بالنفي بالاستثناء ، وأخرى بتقديم ما حقه التأخير ، وهو أكثر ما ورد في الخطب ، وهذه التعددية أضفت على الخطب رصانة وقوة .

والقصر لغة : هو الحبس والإلزام ، والقصر : ((أَقْصَرَ عَنِ الشَّيْءِ إِذَا نَزَعَ عَنْهُ وَالْقَصْرُ كَقُكِّ نَفْسِكَ عَنْ أَمْرٍ وَكَفُكِّهَا عَنْ أَنْ تَطْمَحَ بِهَا غَرْبَ الطَّمَعِ)) (٦) .

وفي الاصطلاح : ((تخصيص شيء بشيء أو تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوص كتخصيص المبتدأ بالخبر بطريق النفي ، أو تخصيص الخبر بالمبتدأ بطريق الاستثناء)) (٧) ، وذكر القصر في كتاب الإيضاح ((القصر حقيقي وغير حقيقي وكل واحدٍ منهما ضربان قصر

(١) بلاغات النساء : ٢٠ ، دلانل الإمامة : ٤٠ .

(٢) حياة الزهراء بعد أبيها الرسول : ٣٠١ .

(٣) دلانل الإمامة : ٤٠ ، نثر الدر : ٨ .

(٤) بلاغات النساء : ٢٠ ، دلانل الإمامة : ٤٠ - ٤١ (فَرُغْمًا وَتَعْسًا) دعاء عليهم وهما مصدران لفعل محذوف ، أي : فرغهم الله رَغْمًا ، وتعسهم الله تَعْسًا - أي هلاكاً ، وقولها : (ويجهم أفمن يهدي للحق ...) أيضاً دعاء (فويج) دعاء تقال لكل من وقع في بلية يُرْحَمُ ويدعى له بالتخلص منها، لسان العرب : مادة (ويج) ٦٣٨ / ٢ .

(٥) ظ : اللهوف في قتلى الطفوف : ٩٧ ، الإحتجاج : ١٠٧ / ٢ ، خطبة السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين B في أهل الكوفة ، إذ اقتبست قوله تعالى : Π أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ O للدعاء على القوم .

(٦) لسان العرب : مادة (قصر) ٩٥/٥ .

(٧) علم المعاني : ١٥٩ ، وظ : معجم المصطلحات البلاغية : ١٣٧ .

الموصوف على الصِّفة وقصر الصِّفة على الموصوف والمراد الصِّفة المعنوية لا النعت والأول من الحقيقي ((١)).

ولأسلوب القصر طرفان وله طرُقُه المختلفة التي يؤدي بها ، ومنها في نصوص الخطب ما ورد بالأداة (إنما) ، وبها يكون القصر مزية على العطف ، لأنه يفهم منه الإثبات ثم النفي أو العكس ، ويُعزى كثرة القصر (بإنما) في خطب السيدات لغرض رد الإنكار ، سواء أكان حقيقة أم ادعاء ، ومثاله ما ورد في خطبة السيدة فاطمة الزهراء B في المسجد بقولها : « قد زعمت

أن النبوة لا تورث وإنما يورث ما دُعا ، فمالي أمتع إرث أبي ؟ أنزل الله في كتابه : إلا فاطمة بنت محمد ؟ »

(٢) ، فهنا أرادت الخطيبة B أن تُخرج (النبوة) من الميراث لتثبت ما عداها ، فجاءت بالمقصود عليه (يُورث ما دونها) وهو مؤخر في الجملة وجوباً ، وكان قصرها بـ(إنما) حصراً ، لمجيئها بأمر الإرث الذي لا يمكن للمُخاطب أن يجهله ولا يُنكره ، بل وظفته للتنبيه ، وأيضاً لتؤكد ما هو ثابت في نفوسهم بما يستبطن هذا من تقريع خفي ، وهذا قصر حقيقي ، كون المقصود عليه (يُورث ما دونها) اختصّ بحسب الحقيقة والواقع ، إذ إنهم فعلاً يرثون من الرسول ﷺ كل شيء ما خلا النبوة .

ونجد أشهر طرُق القصر وروداً في الخطب هو (النفي والاستثناء) ، والنفي - كما هو واضح - يتحقق بأدوات عدة هي (لم ، لا ، لن ، فضلاً عن (ما) ، وهذا الأسلوب يُفاد منه لأغراض بلاغية لذلك عمدت الخطيبات إلى استعماله في نصوصهن بكثرة ، ومثال على ذلك القصر بالاستثناء المسبوق بنفي في قول السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين B : « وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ

إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ » (٣) ، نلاحظ أنها B قصرت بالأداة (إلا)

المسبوق بأداة النفي (لا) وهذا قصر حقيقي ، إذ إن المقصود عليه اختصّ بحسب الحقيقة والواقع ، ولم يُشعدها إلى غيرهما أصلاً ، واستعملت الخطيبة قصر صفة على موصوف من خلال حبسها للصفة على موصوفها واختصاصها به ، وهذا واضح ، إذ لا يتصف بالألوهية غير الله ، وجملة القصر هذه تعادل القول : (الألوهية لله ، وليس إله غيره) وهذا يدلُّ على أن جملة القصر في مقام جملتين .

ومن الخطيبات من استعملت أسلوب القصر بالاستثناء المسبوق بالاستفهام الذي خرج إلى النفي ، ومثاله ما جاء في خطبة السيدة زينب B بالكوفة في قولها : « هَلْ فِيكُمْ إِلَّا الصِّلَفُ

(١) الإيضاح في علوم البلاغة : ١ / ١١٨ .

(٢) يلاغات النساء : ١٩ ، دلالات الإمامة : ٣٦ .

(٣) اللهوف في قتلى الطفوف : ٩٦ ، الاحتجاج : ٢ / ١٠٥ .

والعجبُ» (١)، فهنا خرجت الخطيبة من معنى الاستفهام إلى النفي، فيكون معنى الجملة (ما فيكم إلا الصلف) وهذا قصر إضافي من حيث أن المقصور عليه (الصلف) اختصَّ بحسب الإضافة والنسبة إلى شيء آخر معين من أهل الكوفة، لا لجميع ما عداه، فقد قصدت قصر (الصلافة) على أهل الكوفة بالنسبة لغيرهم، ولكن الواقع يشهد غير ذلك، وأرى أن هذا القصر يمكن أن ينزل منزلة القصر الحقيقي في هذا المورد، من حيث أن المقصور عليه (الصلف) اختصَّ بأهل الكوفة بحسب الحقيقة والواقع، ولم يُعدَّاه إلى غيرهم في خصوص موقفهم إزاء الإمام الحسين وأهل بيته Δ ، ولتقسيم هذا القصر من حيث اعتبار طرفيه ففيه تأمل، وذلك لمعناه الدقيق، إذ يمكن أن يكون قصر صفة على موصوف إذا جعلنا (الصلافة) محبوسة عليهم ومُختصة بهم بحيث لا يُوصف بها غيرهم، وقد يتصفون بغيرها من الصفات، كما ذكرت الخطيبة B صفات أخرى (العجب، الشنف، الكذب)، وهذا إيغال في التشنيع عليهم وإغالتهم، ويمكن أن يكون قصر موصوف على صفة، من حيث حبس الموصوف على الصفة واختصاصهم بها من دون غيرها، ومشاركة غيرهم لهم فيها كيزيد وأتباعه.

بينما في خطبتها B أمام يزيد فإنها B توظف أسلوب القصر لأغراض بلاغية، وعلى سبيل المثال نأخذ قولها: «مَا فَرَيْتَ إِلَّا جِلْدَكَ، وَمَا جَزَزْتَ إِلَّا لَحْمَكَ» (٢)، فهنا أرادت B تمكين الكلام وتركيزه في ذهن المتلقين، فعمدت إلى القصر المسبوق بـ(ما) النافية، وجعلت المقصور عليه بعد أداة الاستثناء (جلدك، لحمك)، وقد أنزلت أمر (الفري، الجزر) منزلة الصِّدْق والواقعية، إذ وضحت أن يزيد لم يفر أو يجرز الإمام الحسين A أو بقيّة الشهداء 7 بقدر ما أفرى جلده وجرز لحمه، وهذا قصر صفة على موصوف، فقد حبست الصفة (فريت، حززت) على الموصوف (جلدك، لحمك) وخصّتهما به، ولم تجعل الصفتين وصف لغيره (يزيد)، وهذا قصر حقيقي.

وكان للقصر بطريقة التقديم لما حقه التأخير نصيب وافر من الخطب، ومثاله قول السيدة زينب B في خطبتها بالشام إذ قالت: «وَأَحْيَيْتُ أُمَّكَ لَمْ تَحْمِلْكَ وَأَبَاكَ لَمْ يَلِدْكَ» (٣)، إذ قدّمت المقصور عليه (إياك) وهو ما حقه التأخير، وهي بهذا القصر أرادت (التخصيص) ومعنى الجملة (أخصُّ إياك لم تلد)، وهذا الأسلوب من الخطيبة B يدلُّ على الدّوق السَّليم والفكر الصائب الذي تميزت به B وهي تخطب.

(١) الاحتجاج: ١١٠/٢.

(٢) بلاغات النساء: ٢٢، نشر الدر: ١٨.

(٣) الاحتجاج: ١٢٧/٢.

ولم تخلُ الخطب من أسلوب القصر بطريق (العطف بلا) كما في خطبة السيدة الزهراء B حينما قالت : « فَلَا يَنْكَفِي حَتَّى يَطَّأ صِمَاحَهَا بِأَخْمَصِهِ » ^(١) ، وهنا أفردت الخطيبة B معطوفها ، وما بعده لم يكن داخلاً في عُموم ما قبلها .

وقصر بليغ بالأداة (إنما) يُطالعنا في خطبة السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين B في قولها : « فَكَظُمَ وَافَعٌ كَمَا أَفَعَى أَبُوكَ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ » ^(٢) ، فالمقصود عليه (لكل امرئ) مؤخراً وجوباً في الجملة ، وللقصر هنا مزية على العطف ؛ لأنه أفاد الإثبات للمعنى الذي أتت به الخطيبة بخصوص المُخاطب ، وأسلوب القصر هنا حدد المعاني تحديداً كاملاً ، وحينما عمدت إلى الأداة (إنما) لتثبت شيئاً من شأنه ألا يجهله المُخاطب أو يُنكره ، ولذلك عمدت إلى تنبيهه فقط ، وهذا ما أضفى على خطابها قوة في التأثير ، وما يُلفت انتباهنا في هذا القصر هو أن الخطيبة B قد أرادت به (التعريض) ، إذ لم تكن قصدت إعلام (المُخاطب) بظاهر المعنى ، بل إنها عرّضت بالمُخاطب الجاهل لأصله التابع لأصل أبيه .

ثامناً : الإيجاز والإطناب والمساواة :

ممّا لا شكّ فيه أنّ البليغ إذا ما أراد التعبير لا يعدو طرُقاً ثلاث ، فإمّا أن يُوجز أو يُسهب أو يُوازن ليساوي بين اللفظ والمعنى على وفق ما يقتضيه الحال أو الواقعة التي يتكلم بصدها ، فضلاً عما يقتضيه حال المُخاطب ، وهذه الطرُق (الإيجاز والإطناب والمساواة) هي من علم المعاني ، ويمكن الحديث عنها مُجمعة إلا أنّ البدء بالمساواة أفضل من حيث جعلها الأصل للإيجاز والإطناب .

أ - المساواة :

هي : ((تأدية أصل المُراد بلفظٍ مساوٍ له أو ناقص عنه وافٍ أو زائدٍ عليه لفائدة ، والمُراد بالمساواة أن يكون اللفظ بمقدار أصل المراد ، لا ناقصاً عنه بحذفٍ أو غيره ، ولا زائداً عليه بنحو تكرير أو تتميم أو اعتراض ، وقولنا وافٍ احترازٌ عن الإخلال وهو أن يكون اللفظ قاصراً على أداء المعنى)) ^(٣) .

^(١) بلاغات النساء : ١٣ ، دلائل الإمامة : ٣٤ .

^(٢) اللهوف في قتلى الطفوف : ٩٨ ، الإحتجاج : ٢ / ١٠٨ .

^(٣) الإيضاح في علوم البلاغة : ١٧٠ / ١ .

وأشار أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ) إلى المساواة بقوله : ((المساواة هي أن تكون المعاني بقدر الألفاظ ، والألفاظ بقدر المعاني ، لا يزيد بعضها على بعض ، وهو المذهب المتوسط بين الإيجاز والإطناب ، و... كَأَنَّ أَلْفَاظَهُ قَوَالِبٌ لِمَعَانِيهِ ؛ أَي لَا يَزِيدُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ)) (١) .

وثُعدَّ المساواة من أرقى المستويات التي لا يرتقيها إلا الأفضال من البلغاء ، لصعوبة المرتقى ، وجلال المقصد ، وقليل من الخطباء من سمت خطبته بهذا اللون البلاغي ، ومن هذه الخطب خطبة السيدة الزهراء B أمام نساء المهاجرين والأنصار ، إذ أتت الألفاظ على قدر المعاني بقولها: « وَلَمْ يَكُنْ يَتَحَلَّى مِنَ الْغِنَى بِطَائِلٍ ، وَلَا يَحْطَى مِنَ الدُّنْيَا بِبَائِلٍ ، غَيْرَ رِيِّ النَّاهِلِ ، وَشِبَعَةِ الْكَافِلِ » (٢) ، لو تأملنا هذا المقطع للاحظنا أنَّ الألفاظ فيه بقدر المعاني ، بحيث لو حاولنا أن نزيد لفظاً لكانت الزيادة غير مفيدة ، ولو أسقطنا لفظاً لكان ذلك إخلالاً بالمعنى ، وفي مقطع آخر تقول : « وَيَعْرِفُ التَّالُونَ غَيْباً مَا أَسَّسَ الْأَوَّلُونَ » (٣) ، فالألفاظ هنا مُساوية للمعاني ، ومع هذا فالخطيبة B جاءت باللفظ مُساوياً للمعنى مع الاختصار ، إذ تحررت بتعبيرها في تأدية معنى أوجز ما كان من ألفاظ قليلة الأحرف ، كثيرة المعاني .

وفي خطبة السيدة زينب B نجد الألفاظ قد جاءت مُساوية للمعاني تمام المساواة ، في قولها أمام أهل الكوفة : « فَلَقَدْ خَابَ السَّعْيُ ، وَتَبَّتِ الْأَيْدِي ، وَخَسِرَتِ الصَّفْقَةُ ، وَبُؤِثُمْ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ » (٤) ، فالمساواة في هذا المقطع من الخطبة واضحة ، وكلُّ زيادةٍ أو نقص في ألفاظ الحديث إخلال بالمعنى .

ولكي تتبين حقيقة - المساواة التي تُعدّ طريقاً وسطاً في التعبير بين الإيجاز والإطناب - نقف عند هذا المقطع من خطبة السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين B المتمثل في قولها : « قَتَلْتُمْ جَدَّنَا بِالْأَمْسِ ، وَسَيُوفُكُمْ تَقَطُّرٌ مِنْ دِمَائِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ ، لِحَقْدٍ مُتَقَدِّمٍ ، قَرَّتْ بِذَلِكَ عُيُونُكُمْ ، وَفَرِحَتْ بِهِ قُلُوبُكُمْ اجْتِرَاءً مِنْكُمْ عَلَى اللَّهِ » (٥) ، فهنا مساواة ارتقت بها الخطيبة من حيث تلوينها بشيء من الإيجاز ، وشيء من الإطناب في وقت واحد ، وذلك إذا اكتفينا بالضمير (نا) في كلمة (دمائنا) ، فالمسألة مسألة إطناب (أهل البيت) ، وأمّا إذا تأملنا فيما نُصِبَ بعد كلمة دماننا وهي كلمة

(١) كتاب الصناعتين : ١٨٥ .

(٢) الاحتجاج : ٢٨٩ / ١ .

(٣) بلاغات النساء : ٢٠ ، دلائل الإمامة : ٤١ ، نثر الذر : ٩ .

(٤) اللهوف في قتلى الطفوف : ٩٥ ، الاحتجاج : ١١١ / ٢ .

(٥) اللهوف في قتلى الطفوف : ٩٧ ، الاحتجاج : ١٠٦ / ٢ .

(أهل) لوجدنا أنَّ هناك فعلاً محذوفاً ، وفي ذلك إيجاز حذف ، والتقدير : أعني أو أخصُّ أو أقصد (أهل البيت) .

ب - الإيجاز والإطناب :

كلُّ بليغ - بحسب مقتضيات الأحوال - يسلك في أداء معانيه بعد المساواة إمّا طريق الإيجاز أو طريق الإطناب ، ويدور كلُّ منهما على معنى معين ، ففي الإطناب يتم التعبير على قدر المعنى ، وفي الإيجاز اختزال التعبير على قدر كثير من المعاني .

وقد أشار السكاكي (ت ٦٢٦ هـ) إلى هذا المعنى بقوله : ((الإيجاز هو أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف الأوساط ، والإطناب هو أدائه بأكثر من عباراتهم)) (١) ، وهذا التعريف لم يختلف عن سابقه ، بل إنَّ أغلب القدماء ذهبوا في تعريفاتهم للإيجاز والإطناب المذهب نفسه (٢) .

وأكد العسكري (ت ٣٩٥ هـ) على أهميتهما بقوله : ((إنَّ الإيجاز والإطناب يُحتاج إليهما في جميع الكلام وكلَّ نوع منه ؛ ولكلِّ واحدٍ منهما موضع ، فالحاجة إلى الإيجاز في موضعه كالحاجة إلى الإطناب في مكانه ؛ فمن أزال التدبير في ذلك عن جهته ، واستعمل الإطناب في موضع الإيجاز ، واستعمل الإيجاز في موضع الإطناب أخطأ)) (٣) .

وفي صدد دراستي لخطب سيدات البيت العلوي وجدتهما من الفنون البلاغية التي سمت بوضوح في ألفاظ الخطب ، ومن أمثلة (الإطناب) فيها ما ورد في خطبة السيدة فاطمة الزهراء B في قولها : « كِتَابُ اللَّهِ النَّاطِقُ ، وَالْقُرْآنُ الصَّادِقُ ، وَالثُّورُ السَّاطِعُ ، وَالضِّيَاءُ اللَّامِعُ » (٤) ، فهنا

زادت الخطيبة B اللفظ على المعنى لغرض الإيضاح من جهة ، ولحاجة المُتلقِي إلى ذلك من جهة أخرى ، ومثل هذه الزيادة في الألفاظ لا تُعدّ تطويلاً ؛ بل فائدة في تأكيد المقصد للمُخاطب .

ومرّة أخرى عمدت B إلى الإطناب لغرض تقوية المعنى إلى جانب تثبيته في ذهن

السّامع في قولها : « Π وَكُنْمُرْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ O ، مُدَقَّةَ الشَّارِبِ ، وَنُهْرَةَ الطَّامِعِ ، وَقَبْسَةَ

(١) مفتاح العلوم : ٤٩٣ .

(٢) ظ : المثل السائر : ٢ / ٢٦٥ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ .

(٣) كتاب الصنائع : ١٩٦ .

(٤) الاحتجاج : ٢٥٨ / ١ .

العجلان ، وَمَوْطَى الْأَقْدَامِ » (١) ، فالإطناب هنا أفاد تقوية المعنى وتأكيده ، وهكذا تسترسل

الخطيبة B في هذه الخطبة بهذا اللون البلاغي لدواع وأغراض بلاغية ، لا للتطويل .

ويرد الإطناب في خطبة السيدة زينب B في قولها : «اللَّهُمَّ خُذْ بِحَقِّنَا ، وَانْتَقِمْ مِنْ ظَالِمِنَا ،

وَأَحْلِلْ غَضَبَكَ عَلَيَّ مَنْ سَفَكَ دِمَائَنَا وَنَقَضَ ذِمَّارَنَا ، وَقَتَلَ حُمَاتِنَا ، وَهَتَكَ عَنَّا سُدُولَنَا » (٢) ، إذ تأتي به

مُعترضة لغرض قصده ورمت إليه غير دفع الإيهام ، بل للتأكيد .

ولأجل تثبيت المعنى وتوضيح المراد والتوكيد ، عمدت إلى الإطناب في قولها أمام أهل

الكوفة : «لَقَدْ جِئْتُمْ بِهَا شَوْهَاءَ [صَلْعَاءَ ، عَنَقَاءَ ، سَوْدَاءَ ، فَقْمَاءَ] خَرْقَاءَ طِلَاحِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ » (٣) .

وَمِنْ الإطناب في خطبة السيدة أم كلثوم بنت أمير المؤمنين B في أهل الكوفة في قولها :

«مَا لَكُمْ خَذَلْتُمْ حُسَيْنًا وَقَتَلْتُمُوهُ ، وَأَنْتَهَبْتُمْ أَمْوَالَهُ وَوَرِثَتُمُوهُ ، وَسَيَّيْتُمْ نِسَاءَهُ وَنَكَبْتُمُوهُ ؟ فَتَبَّأَ لَكُمْ وَسُخْقًا ،

وَيَلْكُمُ ، أَتَدْرُونَ أَيَّ دَوَاهٍ دَهَكْتُمْ ؟ وَأَيَّ وَزْرِ عَلَى ظُهُورِكُمْ حَمَلْتُمْ ؟! وَأَيَّ دِمَاءٍ سَفَكْتُمُوها ؟ وَأَيَّ كَرِيمَةٍ

أَصَبْتُمُوها ؟ وَأَيَّ صَبِيَّةٍ سَلَبْتُمُوها ؟ وَأَيَّ أَمْوَالٍ أَنْتَهَبْتُمُوها ؟ » (٤) ، فهنا إطناب واضح ، وهو يدل على

البلاغة الواسعة التي تكمن في نفس الخطيبة .

وقد أطنبت السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين B في خطبتها أمام أهل الكوفة حينما قالت :

«فَكَذَبْتُمُونَا ، وَكَفَرْتُمُونَا ، وَرَأَيْتُمْ قِتَالَنَا حَلَالًا ، وَأَمْوَالَنَا نَهَبًا » (٥) ، ففي (كذبتمونا وكفرتمونا وروية

القتل حلالاً والأموال نهباً) إطناب ، ولكننا مع هذا الإطناب نلاحظ إشارات مشحونة بالإيحاء

الإنكاري .

وفي ضوء ما تقدّم من أمثلة حول الإطناب نجد أنّ وظيفته متعلّقة في تأدية المعنى بأكثر

من لفظ للوصول إلى الغاية المنشودة إزاء المتلقي ، وأمثلته في نصوص الخطب كثيرة ، إلا

أننا نكتفي بهذا القدر ، لننتقل إلى اللون الآخر وهو (الإيجاز) ، وحقيقة القول أنّ أمثلته كثيرة ،

نذكر منها ما ورد في خطبة السيدة الزهراء Δ وهو إيجاز الحذف في مورد تخفيف (أن) إذ

يحذف اسمها ، ومن ذلك قولها : «وَزَعَمْتُمْ أَنْ لَا حِطَّةَ لِي وَلَا إِثْرَ مِنْ أَبِي !» (٦) .

(١) المصدر السابق : ٢٦١/١ .

(٢) م ن : ١٢٧/٢ .

(٣) اللهوف في قتلى الطفوف : ٩٥ ، الإحتجاج : ١١٢ / ٢ .

(٤) م ن : ٩٩ .

(٥) الإحتجاج : ١٠٦/٢ .

(٦) بلاغات النساء : ١٧ ، دلائل الإمامة : ٣٥ .

ومن الإيجاز في خطبتها أمام نساء المهاجرين والأنصار قولها : « فَنُظَرَةٌ رِيْثًا تُنْجِحُ » (١) ،
فهنا إيجاز قصر ، إذ إنَّ الخطبة ضمنت معانٍ كثيرة في ألفاظ قليلة من غير حذف ، فالمعنى
هنا كثير واللفظ يسير .

وفي مورد من هذه الخُطبة تجمع الخطبة بين قسمي الإيجاز (الحذف والقصر) بقولها :
« أَلَا فَاسْمَعْنَ ، وَمَنْ عَاشَ أَرَاهُ الدَّهْرُ الْعَجَبَ » (٢) ، ففي الأوّل إيجاز حذف ، فقد أتت بالفعل وفاعله
ضمير محذوف ، ولم تزد عليه شيئاً للاختصار وتسهيل الحفظ ، وفي المقطع الثاني إيجاز
قصر ، فالمعنى كثير والخطبة اختصرته لتقريب الفهم حتّى غدا قولها (وما عشت أراك الدهر
عجباً) مثلاً .

ومثل هذا الإيجاز ما ورد في خطبة السيدة زينب B في الشام ، إذ أشارت بإيجاز شديد
إلى حادثة تاريخية بقولها : « أَمِنْ الْعَدْلِ يَا بْنَ الطُّلَقَاءِ » (٣) ، ففي قولها (يا ابن الطلقاء) إشارة
إلى حادثة تاريخية تتصل بيوم فتح مكة وإطلاق الرسول الأعظم ﷺ الأسارى ومنهم أبو سفيان
وهند أجداد يزيد ، وهذه الحادثة أوجزتها بكلمتين ، وهذا إيجاز قصر .

وفي إيجاز جميل تهدف منه الخطبة إلى تحصيل معنى كثير بلفظ يسير نجده في خطبة
السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين B بقولها : « ابْتَلَانَا اللَّهُ بِكُمْ ، وَابْتَلَاكُمْ بِنَا » (٤) ، وهذا إيجاز
قصر للاختصار ، فالخطبة B لم تحذف ؛ بل ضمنت معانٍ كثيرة في ألفاظ قليلة ، وفي مورد
آخر تعدد B إلى حذف الفعل وفاعله وتبقي المصدر من دون أن يكون هناك خلل بالفهم ، وهذا
ما يتجسد في قولها : « تَعَسَّأَ لِرُؤُوسِهِمْ ، مَا دَفَعَتْ عَنْهُ ضِيْمًا » (٥) ، وتقدير الكلام (تَعَسَّأَ تَعَسَّأَ
لِرُؤُوسِهِمْ) .

وهكذا نجد أن أكثر ما ورد في نصوص خطب العلويات هو إيجاز حذف أكثر منه إيجاز
قصر ، وهو مع الإطناب في هذه الخطب دلّ على مكانة وافرة من أسرار البلاغة الكامنة في
فكر أولئك الخطيبات وعقولهنّ .

ممّا سبق نلاحظ أنّ الخطيبات كنّ يلجأن إلى أسلوب الإنشاء أكثر من الخبر لاسيما
الطلبية ، ممّا أدّى إلى أن يُشكّل الإنشاء ظاهرة أسلوبية واضحة فيها ، واعتقد أنّ ذلك يرجع

(١) بلاغات النساء : ٢٠ ، نشر الدرّ : ٩ ، الإحتجاج : ٢٩٠/١ .

(٢) دلائل الإمامة : ٤٠ ، نشر الدرّ : ٩ .

(٣) بلاغات النساء : ٢١ ، نشر الدرّ : ١٨ ، الإحتجاج : ١٢٥/٢ .

(٤) اللهوف في قتلى الطفوف : ٩٦ .

(٥) الإحتجاج : ١٠٥/٢ .

إلى أسباب بلاغية ، إذ إنَّ أسلوب الإنشاء وخصوصاً الطلبية منه يمتاز بلطائف بلاغية ، على عكس الإنشاء غير الطلبية ؛ فإنَّ أكثر صيغهُ في الأصل أخبارٌ نُقلت إلى الإنشاء ، وأيضاً لأن الخطيبات "عليهن السلام" كانت بحاجة إلى أن تسمع صوتهن لمن حضر ، وتريد أن توصل أفكارها إليهن لذا فقد لجئت إلى أسلوب الإنشاء أكثر من أسلوب الخبر.

ونستطيع القول أيضاً إنَّ الخطيبات اعتمدن هذا الأسلوب بسبب الظروف الموضوعية التي من أجلها جلجلن خطيبات ، فهي مواقف تطلبت مثل هذا الأسلوب والكلام الذي لا يحتمل صدقاً أو كذباً لذاته ، ولكونه أوقع في النفس ، وأشدُّ تأثيراً في المُتلقّي ، بخلاف الخبر الذي يحتمل الصدق والكذب لذاته ، ولذا شكل وجوده ظاهرة أقلَّ في الخطب ، وفي تواجدده خرج لمقاصد وأغراض منها إفادة المخاطب الحكم حينما تستشعر الخطيبة أنَّ المُتلقّي جاهلٌ به ، أو لإفادته بعلمها به ، - كما أشرنا إلى ذلك في بداية المبحث - ، فضلاً عن أغراض أخرى خرج بها الخبر تُستفاد بالقرائن من سياق الكلام كالتوبيخ والتحذير والتذكير في خطبهن .

الفصل الثالث

البناء الفني للخطب

- * المبحث الأول : بناء الخطبة .
- * المبحث الثاني : بناء الصورة البيانية .
- * المبحث الثالث : البنية الإيقاعية للخطب .

المبحث الأول

بناء الخطبة

تَتَكَوَّنُ الخطبة من أجزاء ثلاثة ، هي المقدمة والموضوع والخاتمة ، ولكل جزء من هذه الأجزاء أهميته وأثره في بناء هيكلية الخطبة وإنجاح هدفها ، ويُعد أرسطو ((أول من قسم الخطبة إلى مراحل)) (١) ، ولأجل بيان إسهام هذه الأجزاء وأثرها في إنجاح الخطبة ، وإظهار براعة الخطيب ، فإنني سأتناول دراستها في هذا المبحث .

أولاً : المقدمة :

تبتدأ الخطبة غالباً بمقدمة يَفْتَتِحُ بها الخطيب كلامه ، وهي ((من الخطبة كالمطلع من القصيدة ، وكالإيقاع في الموسيقى ، كلٌّ منها يُمهِّدُ لما بعده ، ويُعدّ السامعين إلى الإصغاء)) (٢) .

وهي أول ما يقرع السَّمْعَ ، فإذا كانت بمستوى يرتقي إليه السامع فإنه سيتهيأ ويثأهب لما بعدها ، وانتقل من اللامبالاة إلى الإصغاء ، ومن شأن المقدمة جذب المتلقين ، لأنَّ ((الغرض منها تنبيه السامعين إلى موضوع الخطبة وترغيبهم في الاستماع وإعداد أذهانهم للاقتناع)) (٣) .

وبما أنَّ مقدّمات الخطب ((كلها بدايات كأنها تفتح السبيل إلى ما يتلو)) (٤) ، فإنها ضرورية ، ولا يمكن للخطيب الاستغناء عنها.

وإذا ما تركها الخطيب ودخل إلى الموضوع مباشرة فإنه إما نتيجة عامل نفسي أو عوامل أخرى يستوجبها المقام (٥) والخطيب الناجح هو الذي يلجأ إلى اختيار أو ارتجال مقدّمة لخطبته ، يضع جُلَّ اهتمامه وعنايته ، كما هو الحال في خطب سيدات البيت العلوي (عليهن السلام) ، إذ نجد مقدّمات خطبهنَّ عنواناً موفّقاً للمضامين التي اندرجت بين فقرات خطبهنَّ .

(١) الخطابة لأرسطو طاليس : ٢٣٤ .

(٢) فن الخطابة : ١٢٠ .

(٣) الخطابة في صدر الإسلام : ٢٢/١ .

(٤) الخطابة : ٢٣٥ .

(٥) ظ : علم الخطابة : ٢٥ - ٢٦ .

ومثال ذلك مقدّمة خطبة السيّد الزهراء B في مسجد رسول الله 9 : ((الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا أَنْعَمَ ، وَلَهُ الشُّكْرُ عَلَى مَا أَلْهَمَ ، وَالنَّشَاءُ بِمَا قَدَّمَ ، مِنْ عُمْومٍ نِعَمٍ ابْتَدَأَهَا ، وَسُبُوحٍ آلَاءٍ أَسَدَّهَا ، وَتَمَامٍ مِّنْ أَوَّلَاهَا ، جَمَّ عَنِ الإِحْصَاءِ عَدَدُهَا)) (١) .

نلاحظ أنّ هذه المقدّمة قد جرت على وفق سياقات خطب رسول الله 9 ، فأسلوب البدء بحمد الله والثناء عليه قد اختطّه النبي 9 وسار عليه أمير المؤمنين A ، والخطيبة B أفادت من أسلوبها من جهة ، واختطّت منحىً فنيّاً خاصّاً بخطبتها من جهة أخرى ، إذ تسلسلت موضوعياً من الحمد فالشكر إلى الثناء على معطيات الباري ، ثمّ ذكرت صفاته تعالى ، ثمّ النبوة ، وهكذا تدرّجت في مقدّمتها حتى دخلت في موضوع الخطبة .

وبهذه المقدّمة الطويلة نقلت الجمهور إلى التفكير بصورة مشتركة ، فهي B لم توجز بالافتتاحية لئسبب في الموضوع ، بل جعلتها مناسبة له من حيث الطول والفكرة ، لذلك فهي من أروع المقدّمات ، بما أضفت عليه الخطيبة من حسن اختيار الألفاظ ودقّة متناسقة للتعبير ، حتى أنهتها بالتدليل على الموضوع الرئيس من الخطبة .

ونجدها في خطبة أخرى تخرج من البناء الفني المألوف لمقدّمة الخطبة ، ومردّد ذلك يعود إلى المناسبة التي ألقت فيها الخطبة ، فقد كانت استطراداً لحديث ، وجواباً لسؤال ، أجابت عليه : ((أَصْبَحْتُ وَاللَّهِ عَائِفَةً لِلدُّنْيَا كُنَّ ، قَالِيَةً لِرَجَالِكُنَّ ، شَتَائُهُمْ بَعْدَ أَنْ عَرَفْتُهُمْ ، وَلَفْظَتُهُمْ بَعْدَ أَنْ سَرَّيْتُهُمْ ، وَرَمَيْتُهُمْ بَعْدَ أَنْ عَجَمْتُهُمْ ، فَقُبْحًا لِفُلُولِ الْحَدِّ)) (٢) .

وهذه المقدّمة وإن كانت جواباً لسؤال إلا أنّها استطاعت أن تخرج به من نمطيّة الجواب إلى نص أدبي يتوافر على كلّ سمات الخطبة المؤثّرة القويّة وشروطها ، فجعلت ومن خلال أسلوب الحكيم (٣) المعروف في البلاغة العربية انتقالاً ناجحاً جداً من جواب معتادٍ على مثل سؤالهنّ إلى انطلاق واع بخطبة ناجحة ، حيث بدأتها بجوابٍ حادٍّ ، كونها B كانت ناقمة على ما أصاب رجال الأمة من تراجع عن الأهداف الكبرى التي أرسى قواعدها أبوها الرسول محمّد 9 ، ولما صدر عن خصومها ، فأرادت أن تُظهر مدى معاناته بسبب ظلامتها أولاً ، وانقلابهم على الأعقاب ثانياً ، ولكن السبب الثاني كان هو الأقوى أثراً في نفسها ، فأخذت بتقريعهم ،

(١) بلاغات النساء : ١٥ ، دلالات الإمامة : ٣١ .

(٢) دلالات الإمامة : ٤٠ - ٤١ ، الإحتجاج : ٢٨٦ - ٢٨٧ .

(٣) أسلوب الحكيم : هو تلقى المخاطب بغير ما يترقبه ، ظ : جواهر البلاغة : ٣٨٨ .

وتدرّجت بعد ذلك لكشف الحقائق ، حتى إذا ما بلغت غايتها صمتت ، ولذلك تجاوزت المقدّمة وجاءت بالقسم لتؤكد فداحة الأمر الذي آل القوم إليه .

ومن خطب العلويات خطبة السيّد زينب B أمام أهل الكوفة إذ بدأتها بعد أن ((حمدت الله وأثنت عليه بما هو أهله ، وصلت على نبيّه)) (١) ، بعبارة : ((أَمَا بَعْدُ يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ ! يَا أَهْلَ الْخَنْزَلِ وَالْعَدْرِ وَالْخَذَلِ وَالْمَكْرِ ، أَلَا فَلَا رَقَاتِ الْعَبْرَةِ ، وَلَا هَدَاتِ الزُّفْرَةِ ، إِنَّمَا مَثَلُكُمْ كَمَثَلِ الْيَاقُوتِ نَقَصَتْ غَزَلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةِ أَثْكَاثًا تَتَخَذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ ، هَلْ فِيكُمْ إِلَّا الصَّلَفُ)) (٢) وهي بذلك تحولت من المقدمة إلى الموضوع .

وهنا تُميّز افتتاحية الخطبة B بحماس بليغ ، وهيمنة بيانية حتى قيل : ((كأنّها تنطق وتفرغ على لسان أمير المؤمنين A)) (٣) ، وقد كان A سيد البلغاء والقائد الفصيح للدولة الإسلامية بعد رسول الله 9 ، وإفراغها B عن لسانه يعني أنّها على مستوى راق من البلاغة والفصاحة وأهليّة القيادة .

ونجدها أمام يزيد تقف موقفاً آخر وهي في بلاط حكمه ، إذ افتتحت خطبتها بما يُناسب المقام ، فهي أمام ظالم جائر لا يجرو أحد غيرها على تكليمه ، فقالت : ((الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة على جدّي سيّد المرسلين ، صدّق الله سبحانه كذلك يقول : II ثُمَّ كَانَ عَاقِبَتَ الَّذِينَ أَصَاءُوا السُّوَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ O (٤) ، أَطْنَنْتَ يَا يَزِيدُ أَتُكْ حِينَ أَخَذْتَ عَلَيْنَا أَقْطَارَ الْأَرْضِ ، وَصَيَّقْتَ عَلَيْنَا آفَاقَ السَّمَاءِ ، فَأَصْبَحْنَا لَكَ فِي إِسَارٍ ، نُسَاقُ إِلَيْكَ سَوْقًا فِي قَطَارٍ ، وَأَنْتَ عَلَيْنَا ذُو اقْتِدَارٍ أَنْ بَنَّا مِنَ اللَّهِ هَوَانًا وَعَلَيْكَ مِنْهُ كَرَامَةٌ وَامْتِنَانًا)) (٥) .

وهنا بدأت الخطبة بحمد الله ، ثم ذكرت الحاضرين بنسبها وصلتها برسول الله 9 ، وفي ذلك مغزى ، إذ إنّهم كانوا مخدوعين بأنّ الأسارى من الروم ، وهي بهذه المقدّمة أعلمتهم بأنّهم من ذراري رسول الله 9 ، وبعدها بدأت تستنكر على يزيد وأتباعه فداحة ما ارتكبه ،

(١) كما يوجز ذلك الرواة ، يُراجع الاحتجاج : ٢ / ١٠٩-١١٠ ، (قال حذيم الأسدي ... ، ثم قالت - بعد حمد الله تعالى والصلاة على رسوله 9) .

(٢) اللهوف في قتلى الطفوف : ٩٤ ، الاحتجاج : ١١٠/٢ .

(٣) م ن : ١٠٩/٢ .

(٤) الروم / ١٠ .

(٥) الاحتجاج : ١٢٣/٢ - ١٢٤ .

فنادته باسمه مزدريّة كل ألقابه ، ساحقة نرف غروره ، لتدخل بعد ذلك في الغرض الرئيس لخطبتها .

وتكاملت مع هاتين الخطبتين خطب أخرى لنساء البيت العلوي ، بل تعدى ذلك حتى إلى صبايا ذلك البيت كالسيدة فاطمة بنت الإمام الحسين X التي لم تكن تبلغ من العمر سوى أحد عشر عاماً ، لكنها وقفت خطيبة مفوّهة أمام أهل الكوفة لتقول : ((الْحَمْدُ لِلَّهِ عَدَدَ الرَّمْلِ وَالْحَصَى ، وَزِينَةَ الْعَرْشِ إِلَى الثَّرَى ، أَحْمَدُهُ وَأُؤْمِنُ بِهِ وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ٩)) (١) ، وهذه المقدّمة جاءت متكاملة مع مفاصل الخطبة ، حتى تتابعت كلماتها نافذة مؤثرة في نفوس السامعين .

ثانياً : العرض (موضوع الخطبة) :

يعدّ موضوع الخطبة أهمّ ما فيها ، لذا لا يمكن الاستغناء عنه ، فالخطيب قد يترك المقدّمة ويستغني عن الخاتمة ، لكنه لا يمكن أن يترك العرض لأنّه جوهر الخطبة والداعي إليها ، وعلى هذا فهو ((في حقيقته الخطبة نفسها)) (٢) ، وعليه يجب ((أن يكون من الوضوح بحيث لا يفوت على السامعين مزيّة الفهم ولذة التتبّع ، ولا يسئهم بالتعقيد والغموض ، وأن يكون مؤدياً إلى النتيجة المطلوبة)) (٣) ، وهذا ما نلاحظه في خطبة السيدة الزهراء B ، إذ بدأت بعرض موضوع خطبتها بدقّة ، مختارة لذلك الألفاظ المناسبة ، ذاكرة للأدلة والبراهين المقويّة لحجّتها ممّا أدّى إلى قوة الخطبة ورسالتها بكلّ ما حوته من أدلة منطقية مبنية على مقدّمة ثابتة يقينية ناشئة عن اقتناع و يقين عقلي ، وبعض أدلة موضوعها كانت خطابية مبنية ومسنّدة إلى العُرف الشائع لدى المتلقّين ، وهكذا تتسلسل الخطيبة بموضوعها المتفرّع إلى فروع عدّة ، بوحدة موضوعيّة في الفقرات ، ووضوح في الأفكار وتدرّج في المعاني ، جعلت من الخطبة بنية حيّة نابضة وتامة في التكوين ، ومن ذلك قولها B : ((إِيهَا بَنِي قَيْلَةٍ ، أَأَهْضَمُ ثَرَاثَ أَبِي ؟ وَأَنْتُمْ بِمَرَأَى مِنِّي وَمَسْمَعٍ ؟ وَمُتَتَدَى وَمَجْمَعٍ ؟ تَلْبَسُكُمْ الدَّعْوَةُ ، وَتَشْمَلُكُمْ الْخَبِيرَةُ ، وَأَنْتُمْ ذُرُورُ الْعَدَدِّ وَالْعُدَّةِ ، وَالْأَدَاةِ وَالْقُوَّةِ وَعِنْدَكُمْ السَّلَاحُ وَالْجُنَّةُ ، تُؤَافِكُكُمْ الدَّعْوَةُ فَلَا

(١) اللهوف في قتلى الطفوف : ٩٦ ، الإحتجاج : ١٠٤/٢ - ١٠٥ .

(٢) الخطب والمواعظ : ٤٢ .

(٣) الخطابة في عصر صدر الإسلام : ٢٦/١ .

تُجِيبُونَ ، وَتَأْتِيَكُمُ الصَّرَاحَةُ فَلَا تُغِيثُونَ ، وَأَنْتُمْ مَوْصُوفُونَ بِالْكِفَاحِ ، مَعْرُوفُونَ بِالْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ ، وَالتَّحِبَّةِ الَّتِي
اِنتَحَبْتِ ، وَالْحَيَرَةُ الَّتِي اخْتِيرَتْ لَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ .

فَقَاتَلْتُمُ الْعَرَبَ ، وَتَحَمَّلْتُمُ الْكَدَّ وَالتَّعَبَ ، وَنَاطَحْتُمُ الْأُمَمَ ، وَكَافَحْتُمُ الْبُهَمَ ، لَا نَبْرَحُ أَوْ تَبْرَحُونَ ،
نَأْمُرُكُمْ فَتَأْتِمُرُونَ ، حَتَّى إِذَا دَارَتْ بِنَا رَحَى الْإِسْلَامِ ، وَدَرَّ حَلْبُ الْأَيَّامِ ، وَخَضَعَتْ ثَغْرَةُ الشَّرِكِ ، وَسَكَتَتْ
فُورَةُ الْإِفْكِ ، وَخَمَدَتْ نِيرَانُ الْكُفْرِ ، وَهَدَأَتْ دَعْوَةُ الْهَرَجِ [وَالْمَرْجِ] ، وَاسْتَوْسَقَ نِظَامُ الدِّينِ ، فَأَتَى حِرْثُكُمْ
بَعْدَ الْبَيَانِ ؟ وَأَسْرَرْتُمْ بَعْدَ الْإِعْلَانِ ؟ وَنَكَصْتُمْ بَعْدَ الْإِقْدَامِ ؟ وَأَشْرَكْتُمْ بَعْدَ الْإِيمَانِ ؟ بُؤْسًا لِقَوْمٍ نَكَثُوا إِيْمَانَهُمْ
مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ ، وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ ، وَهُمْ بَدَأُواكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ٢ أَتَخَشُّونَهُمْ فَاللَّهِ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْا إِنْ
كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ O (١) ، أَلَا وَقَدْ أَرَى أَنْ قَدْ أَخْلَدْتُمْ إِلَى الْخَفْضِ وَأَبْعَدْتُمْ مَنْ هُوَ أَحَقُّ بِالْبَسْطِ وَالْقَبْضِ ، وَخَلَوْتُمْ
بِالدَّعَةِ وَتَجَوَّيْتُمْ بِالضِّيقِ مِنَ السَّعَةِ ، فَمَجَّجْتُمْ مَا وَعَيْتُمْ ، وَدَسَعْتُمْ الَّذِي تَسَوَّغْتُمْ ف— ٢ إِنْ تَكْفُرُوا أَنتُمْ

وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ O (٢) ، أَلَا وَقَدْ قُلْتُ مَا قُلْتُ هَذَا عَلَى مَعْرِفَةِ مَنِّي بِالْخَذَلَةِ
الَّتِي خَامَرْتُكُمْ ، وَالْغَدْرَةِ الَّتِي اسْتَشْعَرْتُهَا قُلُوبُكُمْ ، وَلَكِنَّهَا فَيْضَةُ النَّفْسِ ، وَنَفْثَةُ الْغَيْظِ ، وَخَوَرُ الْقَنَاءِ ، وَبَثَّةُ
الصَّدْرِ ، وَتَقْدِيمَةُ الْحُجَّةِ ، فَدُونَكُمْوهَا (((٣) ، فِي هَذَا الْمَقْطَعِ مِنْ مَوْضُوعِ الْخُطْبَةِ نَلْحِظُ أَنَّهَا سَلِمَتْ
كُلَّ جُزْءٍ إِلَى مَا بَعْدَهُ حَتَّى تَرَابَطَتْ الْخُطْبَةُ فِي عِقْدٍ مُنْتَظَمٍ لَا يُحِلُّ ، مُشْكِلَةً فِي مَوْضُوعِهَا صُورَةً
فَنِيَّةً رَاقِيَةً بِبَلَاغَتِهَا ، وَلَوْ دَقَّقْنَا فِي عَرْضِ هَذِهِ الْخُطْبَةِ لَوَجَدْنَا كُلَّ فِقْرَةٍ تُعْطِي إِثْرًا وَإِغْنَاءً
وَاضِحِينَ ، وَذَلِكَ لِبَلَاغَةِ الْخُطْبِيَّةِ الْقَوِيَّةِ ، وَبِرَاعَتِهَا الْبَيَانِيَّةِ ، فَبَعْدَ أَنْ سَلِمَتْ كُلُّ فِقْرَةٍ لِلَّتِي
تَلَتْهَا ، تَرَابَطَتْ الْفُقَرَاتُ وَكَانَتْهَا جُزْءٌ لِمَوْضُوعٍ وَاحِدٍ مُنْتَظَمٍ بِبَلَاغَتِهِ كَسَطَرِ النَّخِيلِ .

وَقَرِيبٌ مِنْ ذَلِكَ يُلَاحِظُ أَيْضًا فِي خُطْبَتِهَا B أَمَامَ نِسَاءِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ((وَيَحْهَمُّ أَنَّ

زَعَزَعُوهَا عَنْ رَوَاسِي الرِّسَالَةِ ، وَقَوَّاعِدِ الثُّبُوتِ وَالِدَّلَالَةِ ، وَمَهَبِطِ الرُّوحِ الْأَمِينِ ، وَالطِّينِ بِأُمُورِ الدُّنْيَا وَالْدِّينِ ؟!

(١) التوبة / ١٣ .

(٢) إبراهيم / ٨ .

(٣) بلاغات النساء : ١٨ ، الاحتجاج : ١ / ٢٧١ - ٢٧٤ .

Π أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ O (١) . وَمَا الَّذِي نَقِمُوا مِنْ أَبِي الْحَسَنِ A ؟! نَقِمُوا وَاللَّهِ مِنْهُ نَكِيرٌ سَيِّفِهِ ،

[وَقَلَّةٌ مُبَالَاغَةٍ لِحَتْفِهِ] ، وَشِدَّةٌ وَطَأْتِهِ ، وَنَكَالٌ وَقَعْتِهِ ، وَتَمَثُّرُهُ فِي ذَاتِ اللَّهِ ((٢)) ، فَعَرَضَ الْخُطْبَةَ جَاءَ

مَوْزَعًا عَلَى فِقَرَاتٍ عِدَّةٍ ، تَضُمُّ اللَّوْمَ وَالتَّقْرِيعَ وَكُشْفَ الْحَقَائِقِ ، لَكِنَّهَا B طَوَّعَتْهَا جَمِيعًا فِي وَحْدَةٍ مَوْضُوعِيَّةٍ مُتَسَلِّسَةٍ ، وَهَذَا يُفْصَحُ عَنْ سِمَةٍ رَاقِيَةٍ يَتِمَثَّلُ بِهَا أَدَبُ السَّيِّدَةِ الزَّهْرَاءِ B ، فَهِيَ لَمْ تَعَنْ بِالْعِبَارَاتِ ذَاتِ الطَّابِعِ الْمَتْرَسَلِ لِتَعْرِضَهَا كَمَوْضُوعَاتٍ مُتَنَافِرَةٍ فِي الْخُطْبَةِ ، بَلْ وَظَفَتْ هَذِهِ الْعِبَارَاتُ لِتَكُونَنَّ وَحْدَةً مَوْضُوعِيَّةً نُمُوذَجِيَّةً ، وَلِهَذَا اتَّسَمَتْ خُطْبَتُهَا بِعَرَضِهَا الْمَتَسَلِّسِ الْمُنْتَظَمِ .

وَأَمَّا فِي خُطْبِ السَّيِّدَاتِ أَمَامَ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، فَتُلَحِظُ الدُّخُولُ الْمُبَاشِرُ إِلَى الْمَوْضُوعِ بَعْدَ عِبَارَةٍ ((أَمَّا بَعْدَ)) الَّتِي يُوْتَى بِهَا لِفَصْلِ الْخُطَابِ ، وَجَدِيرٌ بِالذِّكْرِ أَنَّ مَوْضُوعَاتِ هَذِهِ الْخُطَبِ وَاحِدَةٌ ، إِذْ أَنَّ جَمِيعَهَا مَنْصَبٌ عَلَى اللَّوْمِ وَالتَّقْرِيعِ وَالتَّوْبِيخِ ، وَلَكِنْ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ وَحْدَةِ الْمَوْضُوعِ إِلَّا أَنَّنَا نَلْحِظُ لِكُلِّ خُطْبِيَّةٍ خُصُوصِيَّتَهَا فِي خُطْبَتِهَا الَّتِي تَخْتَلِفُ بِهَا عَنْ غَيْرِهَا ، فَفِي خُطْبَةِ السَّيِّدَةِ زَيْنَبِ B يَبْدَأُ الْعَرَضُ بِالتَّقْرِيعِ حِينَمَا تَقُولُ : ((يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ ! يَا أَهْلَ الْخَنْدَلِ وَالْعَدْرِ وَالْخَنْدَلِ وَالْمَكْرِ ، أَلَا فَلَا رَقَاتِ الْعَبْرَةِ ، وَلَا هَدَاةِ الزُّفْرَةِ ، إِنَّمَا مَثَلُكُمْ كَمَثَلِ الْيَاقُوتِ نَقِصَتْ غَزَلُهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَائًا تَنْخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ ، هَلْ فِيكُمْ إِلَّا الصَّلَفُ)) (٣) ، ثُمَّ التَّدْرَجُ بِاللَّوْمِ وَالتَّائِيْبِ مِنْ جُزْءٍ إِلَى آخَرٍ ، حَتَّى تَصِلَ نَهَايَةَ مَوْضُوعِهَا أَقْصَى الدَّرَجَاتِ ، فَتَصَبُّ غَضَبُهَا عَلَيْهِمْ ، كَيْ تَنْبَهَهُمْ عَلَى جِسَامَةِ مَا اقْتَرَفُوهُ ، وَهَكَذَا تَصِلُ غَايَتُهَا فِي جَعْلِهِمْ يَنْدَمُونَ عَلَى فَعْلَتِهِمْ .

وَمِثْلُ خُطْبَتِهَا خُطَابُ السَّيِّدَةِ فَاطِمَةَ بِنْتِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ X ، فَمَوْضُوعُهَا لَمْ يَخْتَلِفْ عَنْ عَمَّتِهَا زَيْنَبِ B إِلَّا أَنَّ أَسْلُوبَ الْعَرَضِ مُخْتَلِفٌ ، إِذْ قَالَتْ : ((يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ ! يَا أَهْلَ ... تَبَّأَ لَكُمْ ! فَانْظُرُوا اللَّعْنَةَ وَالْعَذَابَ ، فَكَأَنَّهُمَا قَدْ حَلَّتْ بِكُمْ ، وَتَوَاتَرَتْ مِنَ السَّمَاءِ نَقِمَاتٌ فَيُسْحِتُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ وَيُذِيقُ بَعْضُكُمْ بِأَسْبَغٍ ، ثُمَّ تُخَلَّدُونَ فِي الْعَذَابِ الْأَلِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، بِمَا ظَلَمْتُمُونَا ، أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ، وَيَلُّ لَكُمْ ! أَتَدْرُونَ آيَةَ يَدِ طَاعِنَتِنَا مِنْكُمْ)) (٤) ، وَهِيَ هُنَا وَظَفَتْ الْعَرَضَ لِتَوْجِيهِهِ كَلِمَاتِ التَّوْبِيخِ وَالتَّقْرِيعِ لِتَصِلَ غَايَتُهَا فِي حَثِّهِمْ عَلَى الْإِخْذِ بِالثَّأْرِ ، بَعْدَ أَنْ حَذَرْتَهُمْ مِنَ الْوَعِيدِ ، مُسْتَثْمَرَةً فِي

(١) الزمر / ١٥ .

(٢) دلائل الإمامة : ٤٠ ، نثر الدر : ٨ .

(٣) اللهوف في قتلى الطفوف : ٩٤ .

(٤) الاحتجاج : ١٠٦/٢ - ١٠٧ .

لحظات خطابها ملامح الندم التي بدت على وجوههم ، وأرادت بعرضها أن تحول بكاءهم إلى وسيلة من وسائل الانتصار للإمام الحسين A والثلة الخيرة من شهداء كربلاء .

وفي خطب أخرى تلوح لنا براعة التوظيف وتدرج المعاني والهندسة اللغوية المذهلة للألفاظ والتي أسهمت ببراعة واسترسال في القول عما اختلج في صدر الخطيبة ، وشاهد ذلك خطاب السيدة زينب B في مجلس يزيد ، إذ إنها B راعت في عرض خطبتها مستوى وثقافة الحاضرين ، فهي وسط مناخ مملوء بالطغيان والغطرسة ، لذلك تطلّب منها الموقف صلابة في الخطاب ، وجراة في العرض ، وقد أعلنت في خطابها عن انتصار مبدأ آل الرسول 9 على ظلم يزيد ، فبدأت بـ : ((أَطْنَنْتَ يَا زَيْدُ أَتَكَ حِينَ أَخَذْتَ عَلَيْنَا أَقْطَارَ الْأَرْضِ ... لَعَمْرِي لَقَدْ نَكَاتَ الْقُرْحَةَ ، وَاسْتَأْصَلَتِ الشَّافَةَ ، يَارَاقِيكَ دَمَ سَيِّدِ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَابْنَ يَعْسُوبِ الْعَرَبِ)) (١) ، وهكذا تتسلسل من مقطع إلى آخر ، برباطة جأش ، واطمئنان نفس ، بلسان واثق في الوقت الذي لم يكن أحدٌ يجرو على أن يقف ذلك الموقف الحرج المحفوف بسيوف الظلم والطغيان ، ويتكلم بالحقيقة أحد سواهم ، وقد فضحت بخطابها موبقات هذا الظالم ، مُحَقِّقَةً بموضوع خطبتها نجاحاً كبيراً ، حينما ختمت بآخر فقرة معلنة فيها انتصارها عليه ، حامدة الله بكلّ بسالة المقاتلين ، فكوّنت بذلك لوحة فنية متميزة .

ثالثاً : الخاتمة :

بعد أن ينتهي الخطيب من موضوع خطبته ؛ ينتقل إلى الجزء الأخير منها وهي الخاتمة ، ولا بدّ من أن تكون الخاتمة منسجمة مع ما سبقها من مقدّمة وموضوع ، ولا بدّ من أن ينصبّ اهتمام الخطيب في حُسْن التخلّص إليها ، وجعلها مؤكّدة كلّ ما عناه ذلك ((أنها آخر ما يبقى في آذان السامعين وأذهانهم من الخطبة ، وبعدها يجني الخطيب الثمرة المرتجاة ... وفي الخاتمة يتجلّى نجاح الخطيب في لعبه بعواطف الجمهور واستمالتهم)) (٢) ، ولذا فإنّها تُعدّ ((الطرف المقابل للمقدّمة فكما أنّ المقدّمة تُنبّه ذهن السامع للموضوع فالخاتمة تُنهي أفكار السامع بخلاصة الموضوع كي تظلّ تلك الخلاصة ذات أثر في ذهنه يرّنّ صداها في أذنه وتترأى معانيها في مخيلته وتتردد عباراتها على لسانه)) (٣) ، وعلى هذا فهي ليست محطة

(١) نشر الدر : ١٨ ، الاحتجاج : ٢ / ١٢٤ - ١٢٧ .

(٢) ظ : فن الخطابة : ١٤٣ .

(٣) علم الخطابة : ٣٠ .

للمشرح أو النقاش أو ذكر الأدلة وسوق البراهين ، بل هي خلاصة تتنوع بتنوع الموضوعات ، وتختلف باختلاف المقام معتمدة في ذلك على براعة الخطيب .

وهكذا تبدو لنا خواتيم خطب سيدات البيت العلوي متنوعة ما بين خطبة خُتِمَتْ بنصٍّ قرآنيٍّ ، كما في خطبة السيدة الزهراء B في المسجد ، فقد اختتمتها بـ : ((لَتَجِدَنَّ اللَّهَ مَحْمَلَهُ ثَقِيلًا ، وَغَيْهَ وَبِيلًا ، إِذَا كُشِفَ لَكُمْ الْغِطَاءُ ، وَبَانَ مَا وَرَأَتْهُ [مِنَ الْبَاسَاءِ] وَالضَّرَاءُ ، وَبَدَا لَكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَحْسِبُونَ ، وَΠ ΧΣΙΡ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ O (١))) (٢) ، وحقيقة أن هذه الخاتمة تعدّ من

أفضل الخواتيم تأثيراً في نفوس المتلقين بلحاظ ((زمانها ومكانها وحدثها)) وقد أَلَمَّت الخطيبة فيها بأطراف الموضوع ، فجاءت موجزة للغاية ، وفي الوقت نفسه جامعة للأفكار والعناصر البارزة في الخطبة ، وكأنّها أرادت أن تُنهي خطبتها بالوتيرة من الحماس والنقمة وتحفيز الضمائر ، فاقترنت من القرآن آية كان بها حُسْنُ الختام ، بعد أن شدّت الأذهان ، وامتلكت الأسماع ، واستثمرت التنقلات أثناء خطابها ، لتُنهيها بخاتمة تتلائم وفقراته ، ولهذا كان ختام الخطبة موفقاً ، ففيه أججت المشاعر ، وأثارت العواطف .

وأما في خطبتها أمام نساء المهاجرين والأنصار فتختتم B بإشارة إلى نصٍّ قرآنيٍّ ، بقولها : ((يَا حَسْرَةً لَكُمْ ! وَأَنَّى بِكُمْ ، وَقَدْ غُمِيتْ عَلَيْكُمْ ، أَلْزِمُكُمْوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ)) (٣) .

وهذا النوع من الخواتيم جديد وغير مألوف في وقته ، فقد ورد على وفق طابع مترسّل خلافاً لما طرحته في خطبتها من فقرات متسلسلة ، ومع ذلك فإنّها جاءت متسقة ومتناسبة مع المضمون ، وهذا ((يُفصح عن سمة ...)) وهي : أنّ المعصومين Δ لا يعنون بالأداة الفنية بما هي مجرد أداة ، بل يُوظفونها من أجل الموضوع ، ممّا يجعل لنتائجهم طبيعته الخاصة المُتفردة بالنحو الذي لحظناه)) (٤) في خطبتها .

وأما في بعض الخطب فقد أخذت الخطيبة من النصّ القرآني شاهداً وحجّة وخاتمة لموضوع خطبتها ، كما هو الحال في خطبة السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين X : ((أَحْسَدْتُمُونَا وَيَا لَكُمْ عَلَى مَا فَضَّلَنَا اللَّهُ :

فَمَا ذُنُبُنَا إِنْ جَاشَ دَهْرٌ بُحُورُنَا وَبَحْرُكَ سَاجٍ لَا يُوَارِي الدَّعَامِصَا

(١) غافر / ٧٨ .

(٢) الاحتجاج : ٢٧٨/١ .

(٣) بلاغات النساء : ٢٠ ، دلائل الإمامة : ٤١ ، نشر الدر : ٩ .

(٤) تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي : ٢٦٢ .

Π ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم O (١) Π ومن لم يجعل الله له نورا فما له

من نور O (٢) ((٣) ، فهنا جعلت الخطيبة B هذه الخاتمة متناسبة مع المضامين التي

عرضتها في خطبتها من لوم وتأنيب على قتل آل الرسول 9 ، وهم من فضلهم الله على غيرهم ، وبهذه الخاتمة تركت المتلقين وسط أجواء مشحونة بالألم بعد أن أخذ منهم الدّم مأخذة .

وكان الشعر نوعاً من أنواع الخواتيم في هذه الخطب ، ومثال ذلك ما ورد في خطبة السيدة زينب B أمام أهل الكوفة ، إذ ختمت خطبتها بأبيات من الشعر وظفتها كشاهد على قياس حالها مع المخاطبين ، وكانت خاتمتها بالشعر بمثابة خلاصة لموضوع الخطبة ، إلى جانب تأثيرها في المتلقين ، فقد أثارت حماسهم ، وشحذت همهم ، حينما قالت:

مَاذَا تَقُولُونَ إِذْ قَالَ النَّبِيُّ لَكُمْ مَاذَا صَنَعْتُمْ وَأَنْتُمْ آخِرُ الْأُمَمِ
بِأَهْلِ بَيْتِي وَأَوْلَادِي وَتَكْرِمَتِي مِنْهُمْ أَسَارَى وَمِنْهُمْ ضَرَجُوا بِدَمِ
مَا كَانَ ذَاكَ جَزَائِي إِذْ نَصَحْتُ لَكُمْ أَنْ تَخْلِفُونِي بِسُوءٍ فِي ذَوِي رَحِمِي
إِنِّي لِأَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ يَحِلَّ بِكُمْ مِثْلَ الْعَذَابِ الَّذِي أَوْدَى عَلَى إِرَمِ (٤)

وبهذه الأبيات وفقت الخطيبة في الوصول إلى الغاية المنشودة .

وأما الدعاء فلم يكن غائباً في اختتام بعض الخطب ، فالسيدة زينب B في خطبتها أمام يزيد ؛ تجعل ختام خطبتها الدعاء ، وهذه من الخواتيم التي اعتيدت في الخطب الإسلامية ، وكانت في خاتمتها قد أضفت سموّاً للخطبة كون الدعاء جاء دقيقاً ومتناسقاً مع فقرات الخطبة ، حينما قالت في : ((الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي حَكَمَ لِأَوْلِيَائِهِ بِالسَّعَادَةِ ، وَخَتَمَ لِأَصْفِيَائِهِ بِبُلُوغِ الْإِرَادَةِ ، وَنَقَلَ لَهُمْ إِلَى الرَّحْمَةِ وَالرَّافَةِ ... وَيُجْزَلَ لَهُمُ الثَّوَابُ وَالذُّخْرُ ، وَنَسْأَلُهُ حُسْنَ الْخِلَافَةِ ، وَجَمِيلَ الْإِنَابَةِ ، إِنَّهُ رَحِيمٌ وَدُودٌ)) (٥) ، فالحمد أعلى درجات الثقة ، وتبعته الخطيبة بالدعاء للشهداء الذين هم منار للعزة والفخر ، فأرته بهذه الخاتمة انتصاره فشلاً ، وأعلنت أمام الحاضرين انتصار الإمام الحسين A ومن معه على يزيد وأتباعه ، وبذلك الكبرياء وبتلك القوة والعزة فضلاً عن الشموخ والإباء ، أنهت السيدة زينب B خطبتها وسط مناخ محفوف بالصلف والطغيان الأموي .

(١) الحديد / ٢١ .

(٢) النور / ٤٠ .

(٣) اللهوف في قتلى الطفوف : ٩٨ ، الاحتجاج : ١٠٨ / ٢ .

(٤) المصدر السابق : ١١٣ / ٢ .

(٥) الاحتجاج : ١٣٠ / ٢ .

المبحث الثاني

بناء الصورة البيانية

أثر الصورة في رُقي القيمة الدلالية للخطبة :

للصورة مكانة مهمّة في الدّراسات الأدبية والنقدية والبلاغية ، لما تُحقِّقه من إثراء في العمل الأدبي ، وعلى هذا الأساس سنتناول في هذا المبحث مكونات الصورة في نصوص الخطب .

ولا نريد أن نبحت في الصورة وتعريفاتها ، كونها درست دراسات عديدة ^(١) من قبل نقاد وباحثين ، إذ غاصوا فيها بعمق كبير ، ولكن سنتوقف وبشكل موجز عند أثر الصورة في تقويم الدلالة قبل أن ننتقل إلى مكونات الصورة في خطب سيدات البيت العلوي ، كونها تأخذ مساحة مهمة من الشكل ، وربّما اندرجت مكونات الشكل تحت إحياء الصورة ، فالعلاقة بين الواقع والأديب علاقة تنطبق عليها كلّ مؤثرات النص ، ولا تنفصل عنها ، ولما ((كان النص صورة لهذه العلاقة القائمة بين نفس المبدع ومؤثراته)) ^(٢) . فإنّ تداعيات المعنى لأي نص لا يمكن أن تأتي بانسجام ، ما لم تأخذ في مكونات النص الأساس موادّ تكوينها ، ولهذا فقد دأب النقاد على الغوص بحثاً عن أسرار الصورة الفنية ، ولعلهم اتفقوا في تعريفاتهم لها أو اختلفوا منذ أن نظروا لها ، ومنذ أن ألمح الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) إليها بشكل خفيّ في قوله : ((المعاني مطروحة في الطريق ... وإنما الشأن في إقامة الوزن ، وتخيّر اللفظ وسهولة المخرج ... فإنما الشعر صناعة وضرب من النّسج وجنس من التصوير)) ^(٣) ، اتضح أنّ العبرة في صياغة الكلمات ورسم مؤدّاها الذي قد يتحول بدلالته إلى صورة ثناغم شعور المتلقّي أو تشاكسه ، أو تُثير فيه الجدل والاستنباط .

^(١) ظ : نقد الشعر : ١٤ ؛ أسرار البلاغة : ٤ ؛ دلائل الإعجاز : ١٧٥-١٧٦ ؛ منهاج البلغاء وسراج الأدباء : ٣٨-٣٩ ؛ الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب : ١٤ ؛ الصورة الفنية معياراً نقدياً : ١٢٤ ؛ الصورة في الشعر العربي حتى أواخر القرن الثاني الهجري ، دراسة في أصولها وتطورها : ١٥-١٦ ؛ وظ : تمهيد في النقد الحديث : ١٩١ ؛ الصورة الفنية في المثل القرآني : ٣٥-٣٦ .

^(٢) أثر البواعث في تكوين الدلالة البيانية : ١٠ .

^(٣) الحيوان : ١٣١/٣-١٣٢ .

ولذا فلا غرابة في أن يتقصّد المنشئ اقتناص صور لتعطي دلالاتٍ تشي بما يُريد ، لأنّ الفكرة التي تفضّز إلى ذهن المتلقّي ، تعتمد دائماً ((صياغة اللّغة أو بناء صورة أسلوبية من مادّة لغوية)) (١) .

وعلى وفق ذلك فإنّ الصورة ما هي إلا نتاج الفكر العامر بالخيال ، وأمّا مادّتها فهي اللّغة التي يمتلكها المبدع الأدبي ، وأمّا مقوماتها فهي تعتمد على موهبة الراسم أو المصوّر للحادثة أو الموقف ، فضلاً عن الفكرة الأساس لهذه الصورة .

وفي صدد دراسة خطب نساء البيت العلوي ، فسنعرض القدرة وحالاتها للخطيبات بإنتاج صورة فنيّة ، ومن خلالها أوصلت الأدبية غايتها إلى الجمهور ، ويتّضح أيضاً مدى إمكانية جعل الصورة عاملاً مؤثراً في تقويم دلالة المعنى لدى المتلقّي ، ويأتي ذلك من خلال دراسة مكونات الصورة في نصوص هذه الخطب من خلال النقاط الآتية :

أولاً : الاستعارة :

لما كانت الصورة القائمة على الاستعارة هي أكثر صور البيان حضوراً في خطب العلويات ، كان من المهم البدء بها والتوقف عندها بما تستحقّه لتكون الدّراسة دقيقة في تأشير مواطن الجمال والرّقي الأدبي الذي زخرت به تلك الخطب ، والاستعارة في اللّغة : ((العارة ما تداوله بينهم وقد أعاره الشيء وأعاره منه وعاوره إيّاه والمُعاورة والتّعاور شبه المُداولة والتّداول في الشيء يكون بين اثنين)) (٢) ، وعلى هذا المعنى بقي علماء البلاغة يدورون حتى جاء عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ أو ٤٧٤ هـ) ، وكشف عن معناها البلاغي الدقيق ، إذ عرفها قائلاً : ((الاستعارة أن تريد تشبيه الشيء بالشيء فتدع أن تُفصحَ بالتّشبيه وتُظهره ، وتجيء إلى اسم المشبّه به فتُغيره المشبّه وتجرّيه عليه)) (٣) ، وهو بذلك قصد الاستعارة التصريحية ، وأمّا المكنيّة فقد أشار إليها بقوله : ((وضرب آخر من الاستعارة وهو ما كان نحو قوله : (إذ أصبحت بيد الشمال زمامها) هذا الضرب وإن كان الناس يضمّونه إلى الأوّل حيث يذكرون الاستعارة ، فليسا سواء ، وذلك أنّك في الأوّل تجعل للشيء الشيء ليس به ، وفي الثاني : تجعل للشيء الشيء له ، تفسير هذا أنّك إذا قلت : رأيت أسداً ، فقد ادّعت في

(١) بنية اللّغة الشعرية : ٢٣ .

(٢) لسان العرب : مادة (عور) ٦١٢/٤ .

(٣) دلائل الإعجاز : ٥٣ .

إنسان أنه أسد ، وجعلته إياه ، ولا يكون الإنسان أسداً)) (١) ، وفي تعريفها يُنتفع ممّا قاله السكاكي (ت ٦٢٦ هـ) عن الاستعارة ((هي أن تذكر أحد طرفي التشبيه ، وتريد به الآخر ، مدّعياً دخول المشبه في جنس المشبه به ، دالاً على ذلك بإثباتك للمشبّه ما يخصّ المشبه به ، كما تقول في الحمام أسدٌ ، وأنت تريد به الشّجاع مدّعياً أنّه من جنس الأسود ، فتثبت للشّجاع ما يخصّ به وهو اسم جنسه مع سد طريق التشبيه بإفراده في الذكر)) (٢) ، نلاحظ من خلال هذا التعريف أنّ السكاكي (ت ٦٢٦ هـ) قد أعطى للاستعارة مفهومها الدقيق ، لاسيّما بعد أن قسمها على : ((استعارة محسوس لمحسوس بوجه حسّي ، واستعارة معقول لمعقول بوجه عقليّ ، واستعارة محسوس لمعقول بوجه عقليّ ، واستعارة معقول لمحسوس بوجه عقليّ ، مع التمثيل لكل قسم من هذه الأقسام)) (٣) .

ومن أمثلة الصور القائمة على الإستعارة ما ورد في خطبة السيدة الزهراء B : «وَيَعَدُّ

أَنْ مُنِيَ بِهِمُ الرِّجَالُ وَذُؤْبَانُ الْعَرَبِ ، وَمَرَدَّةُ أَهْلِ الْكِتَابِ II كَلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ O (٤)

، أَوْ نَجَمَ قَرْنُ الشَّيْطَانِ ، أَوْ فَغَرَتْ فَاعِرَةٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، قَدَفَ أَخَاهُ فِي لَهَوَاتِهَا ، فَلَا يَنْكَفِي حَتَّى يَطَأَ صِمَاحَهَا بِأَخْمَصِهِ » (٥) ، فهنا حشد من الاستعارات ، فمثلاً أفادت من مفردة (الذؤبان) وهو جمع الذئب ، وأرادت بها أهل الفتك والغدر ، وهذه استعارة مكنية وردت بصورة حسية بصرية ، واستعارت B لفظة (نجم) بقولها : ((نَجَمَ قَرْنُ الضَّالَّة)) لمن يخرج من الناس مُبتغياً الفتنة والشر ، والنجم بمعنى طلع أو ظهر ، وهذه أيضاً استعارة مكنية حسية ، ثم إنّ الخطيبة أرادت أن تُركّز الصّورة الموحية على شدة وطأة أهل الشّرك فأتت بلفظة (فغرت) وهو للحية أو السبع ، وهذه صورة حسية حركية ، ومما يلاحظ أنّ هذه الاستعارة المكنية يعول عليها بنقل المعنى المجرد غير الحسّي للوحشية والاعتداء من قبل المشركين ، عبر استعارة لفظة (فاغرة) وهو لازم من لوازم المشبه به المحذوف (الوحش) استعارته للمشركين (المُشبّه) الذي أريد به تصوير وحشيته بدقّة وحس مدرك في الأذهان عبر صورة حسية حركية بصرية أشبعت حركة وحشية

(١) المصدر السابق : ٥٣ .

(٢) مفتاح العلوم : ٥٩٩ .

(٣) م ن : ١٨٣ - ١٨٤ .

(٤) المائدة / ٦٤ .

(٥) بلاغات النساء : ١٣ ، دلائل الإمامة : ٣٤ ، الإحتجاج : ٢٦٢/١ .

وفي قولها : ((قَذَفَ أَخَاهُ فِي لَهَوَاتِهَا)) استعارت لفظة (لهواتها) وهي جمع لهاة التي هي مركز الفم ، لمعنى غاية الحرب وشِدَّتْهَا ، وأرادت بذلك أن تُوضح أنَّه قَذَفَ أَخَاهُ فِي مَرْكَزِ الحرب أو الفتنة حيث لا مفر ولا مخلص ، وهذه استعارة مكنية حسية بصرية ، فالوقوف على الشيء أو وسطه فيه إشارة إلى عظيم التضحية وتوطين النفس على الاستشهاد .

ومن استعارات السيدة الزهراء B في خطبتها أمام نساء المهاجرين والأنصار قولها : « لا جَرَمَ لَقَدْ قَلَدْتُهُمْ رِبْقَتَهَا ... وَيَحْتُمُ أَتَى زَعَزَعُوهَا عَنْ رَوَاسِي الرِّسَالَةِ » (١) ، فقد استعارت لفظة (الربقة) للعهد والميثاق فضلاً عن الأمانة وتحمل المسؤولية ، في إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب A وهذه صورة حسية حركية ، توحى بمعنى الإلزام الذي رُسِمَ عِبْرَ الاستعارة المكنية ، وقد حذف المشبه به (الشاة) وأخذ لازم من لوازمها واستعير للعهد ، فالربقة بمعنى العروة في حبل ، تُوضَعُ فِي رِقْبَةِ الشَّاةِ لِنَلَا تَفَرٍّ ، وهذه صورة مُدركة في الذهن ومستحضرة لمعنى الإلزام والتقييد ، وفي نفس المقطع تستعير لفظة (رواسي) استعارة مكنية ، والرواسي هي الثوابت من الجبال أو القواعد من البيت ، والخطبية استعارتها لأهل البيت Δ فكوّنت صورة حسية بصرية ، فالجبال تُدرك بالروية .

وباستعارة موفقة تتبّع هذه ، توضح السيدة الزهراء B أن القوم أراحوا صاحب الحق الشرعي في الخلافة عن التصدي لها وأرادوا منه بيعة من هو دونه في علم وفضل وورع وسابقة في دين ، فكانوا بذلك كمن استبدل قوادم الطير بذنبيه ، واستعاض عن الكاهل بغيره ، ويكمن بيان هذه الصورة البيانية في قولها : « استبدلوا وَاللهِ الدُّنَابِي بِالْقَوَادِمِ ، وَالعَجَزَ الْكَاهِلِ » (٢) .

فالذنابي عبارة عن (ذنب) الطائر ، والقوادم : مقادم الريش ، والعجز مؤخر الشيء ، والكاهل : مقدّم أعلى الظهر ممّا يلي العنق ، وهذه الصورة حسية بصرية يستدلّ عليها بالرويا.

وفي خطبة السيدة زينب B بأهل الكوفة تستعير الفعل (ترحض) بقولها : « وَمُنِيْتُمْ بِشَنَارِهَا وَلَنْ تَرَحُّصُوهَا أَبَدًا وَأَتَى تَرَحُّصُونَ قَتْلَ سَلِيلِ خَاتِمِ النُّبُوَّةِ ، وَمَعْدِنِ الرِّسَالَةِ » (٣) ، لتظهر رغبة أهل الكوفة في التخلص من الذنب ، وقد استنكرت عليهم أن يكون هذا الذنب سهل (الرحض) فهذا الفعل يتناسب مع الذنب الذي هو الدرن ، والذي لا يمكن أن يذهب بالاغتسال ، فأرادت الخطيبة

(١) دلائل الإمامة : ٤٠ ، نثر الدر : ٨ .

(٢) بلاغات النساء : ٢٠ ، دلائل الإمامة : ٤٠ .

(٣) اللهوف في قتلى الطفوف : ٩٤ .

أن تُقَرَّب المعنى الدُّهني للعار والتلبُّس بالخطيئة إلى واقع الإدراك الحسي عبر استعارة (الرحض) للغسل ، فصار القتل وصمة وأطخة لا يمكنهم التخلص منها ، ومن مضاعفات جريمتهم هذه لأنها تعلقت بأعناقهم ، فتكوّنت بذهنهم صورة واضحة لمعنى العار حين صورته الاستعارة المكنية بالوصمة والأطخة ، وبذلك وضعتهم السيدة زينب B بتعبيرها هذا بين ما يتمنون (من سهولة التخلص) ويفكرون به (الرحض) واستحالة تحقيقه (ألى ترحضون؟!) كيف وبأي وجه تُبرِّرون قتل سليل النبوة؟! بهذا الاستفهام الاستنكاري المُتلبّس بهذه الاستعارة الدقيقة ، تعدّى الإنكار إلى الاستحالة ، فلم يُعدْ هناك مجال للاعتذار في ارتكاب مثل هذه الجريمة ، فالرحض الذي فعلوه لا يُغسل ، كون الإمام الحسين A امتداداً للرَّسالة ، وذلك ليس بمجهولٍ عليهم ، وما ارتكبه من عظيم الأمر .

وتقف B أمام يزيد في الشام لترسم من الصور الإستعارية ما تحمل من معنى دقيق يجعلها في مصافّ الصّور البلاغية التي يُحتذى بها ، ومن ذلك قولها : «وَأَنَّى يُرْتَجَى الْخَيْرُ مِمَّنْ لَفَظَ فَوْهُ أَكْبَادَ الشُّهَدَاءِ ، وَكَبَّتْ لَحْمُهُ بِدِمَاءِ السُّعْدَاءِ ، وَنَصَبَ الْحَرْبَ لِسَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ » (١) ، ففي هذه الصّورة تستعير الخطيئة B لفظة (فوه) للتذكير بما فعلته جدته التي أخرجت كبد حمزة بن عبد المطلب (عليه السلام) في معركة أحد ولاكت قطعة منه بسبب الحقد المُتأجج في صدرها ، والسيدة زينب B إنّما أوردت في خطبتها هذه الصورة البيانية لتُقدّم من خلالها يزيد وهو حاملٌ لإرث جدته في الحقد على الإسلام وآل الرسول 9 .

وتتبع هذه الصورة أخرى تشير فيها إلى حقه الدفين بقولها : «وَضَبُّ يُجَرَّجَرُ فِي الصَّدْرِ لِقَتْلَى يَوْمِ بَدْرٍ » (٢) ، نلاحظ أنّ السيدة زينب B في هذا التصوير البياني تستعير لفظة (يُجَرَّجَر) للضب وهو الغيظ الكامن أو الحقد الخفي ، لتعبّر عن الحقد المُتأجج في صدر يزيد وتُظهره للحاضرين ، فحقّده هذا بلغ به أن يُطالب بثارات المقتولين في غزوة بدر ، وهم أقطاب المشركين الذين خرجوا لمحاربة الرسول 9 ، ومع هذا يُريد الثأر وَيَشْعُرُ بِأَنّ في قتله للإمام الحسين A ومن معه من آل البيت والصحابة Δ غايته التي تمثى ، فحين رأى الرأس الشريف «التمع السرور بوجهه» (٣) ، وبهذا التعبير كوّنت صورة فنية ، إذ إنّ السرور لا يلمع ، ولكنها

(١) الاحتجاج : ١٢٥ / ٢ .

(٢) م ن : ١٢٦ / ٢ .

(٣) م ن : ١٢٦ / ٢ .

B استعارت لفظة (التمع) لثبّين شدة الفرح الذي بان على وجه يزيد حتّى تدفق الدّم بوجهه من شدة الفرح ، وأخذ يضرب على ثنايا الإمام الحسين A وما ذلك إلا لحقده ، وهذه استعارة مكنية عبرت بها السيدة زينب B عن كوامن يزيد ، وهي بذلك أرادت فضحه أمام الملأ ، الأمر الذي حدا بها أن تُشكّل صورة بيانية هي غاية في القوة بقولها : « مع أنّي والله يا عدو الله وابن عدوه أستصغر قدرك وأستعظم تقريعك غير أن العيون عبرى والصدور حرّى » (١) إذ تُعبّر عن الهدف الذي من أجله خاطبت يزيد ووقفت أمامه ذلك الموقف التاريخي ، فهي بهذا المقطع أوضحت بأن هدفها ليس احتمال التأثير فيه ، إنّما في غيره من الجالسين المغرّرين بهم ، وفي خطابها ردّة فعل لما شاهده من ، وبذلك جاءت هذه الصور الاستعارية لتسدّ عليه طريقه في الخديعة والتضليل .

وتعود مرّة أخرى لتستعير لفظة جديدة ترسم بها صورة بيانية تُعبّر من خلالها عن حقه الدفين والموروث عن جدّته ، بقولها : « وَتَحَلَّبُ أَفْوَاهُهُمْ مِنْ لُحُومِنَا » (٢) ، فلفظة (تَحَلَّب) تُطلق على ولد الناقة الذي يمتصّ بقمه من محالب أمّه ، والخطيبة B عبرت بها هنا عن شدة حقد آل أبي سفيان وعدائهم ، فهم على بكرة أبيهم يمتصّون بأفواههم من لحوم ودماء آل رسول الله ﷺ ووحشية بشراسة تُنمّ عن دافع الحقد ، والسيدة زينب B كما هو واضح من خطابها أنّها أوردت هذه الاستعارة القويّة المعنى ، لتؤكد مرّة أخرى ما فعلته جدّة يزيد نتيجة الضّغينة ، وما فعله هو أمام أنظارهم ، وقد كان للفعل (تَحَلَّب) بصياغته الصرفية هذه كثير من الإيحاء الذي أضاف نجاحاً إلى استعارتها .

وفي عبارة دقيقة ترسم الخطيبة B صورة بيانية عبر الاستعارة حينما تقول : « قَدْ عَشَشَ فِيهَا الشَّيْطَانُ وَفَرَّخَ » (٣) ، فالشيطان ليس هو الذي يعشعش ، بل الطائر ، ولكنها استعارت له لفظة (عشعش وفرّخ) ، وهذه استعارة تصريحية .

ثانياً : الكناية :

(١) بلاغات النساء : ٢٢ ، نثر الدر : ١٨ .

(٢) الاحتجاج : ١٢٩/٢ .

(٣) م ن : ١٢٨/٢ - ١٢٩ .

لقد زحرت خطب سيدات البيت العلوي بكثير من الصور لقائمة على الكنايات المعبرة ، مما أضفى على خطبهن كثيراً من البهاء ، ذلك لأن الكناية باباً من أبواب علم البيان ، ومعناها في اللغة ((الكناية أن تتكلم بشيء وتريد غيره وكنتى عن الأمر بغيره يكنى كناية يعني إذا تكلم بغيره مما يستدل عليه)) (١) .

وفي الاصطلاح وضّحها الجرجاني (ت ٤٧١ هـ أو ٤٧٤ هـ) بقوله : ((أن يُريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود ، فيومئ به إليه ويجعله دليلاً عليه)) (٢) ، وعلى هذا التعريف سار من جاء بعده ، وللكناية أثر كبير في إظهار مواطن جمال الكلام ، وروعتها تكمن ((في تنبيه الملكات واستشارة الأذواق من خلال اللمحة والتعريض والرمز والإيماء والمبالغة ، ووضع المعنويات في صور المحسوسات)) (٣) .

والكناية كثيرة في خطب السيدات ، ومنها ما ورد في قول السيدة الزهراء B في المسجد : ((حَتَّى يَطَّأَ صِمَاخَهَا بِأَخْمَصِهِ)) (٤) ، فقد عبّرت بهذا التصوير عن القوة والسيطرة حين (كنت) بلفظة (صماخ) عن الرأس ، وأجادت حين جعلت (الأخمص) المتقعر من أسفل القدم - هو الذي يطأ الصماخ - مع ما بينهما من إبداع جناسي وصوتي وصوري تشكيلي ، وهذه صورة حسية حركية صورت الخطيبة بها عن السيطرة والاقتدار في شخص الإمام علي A مستعينة في ذلك بأسلوب البيان ، فكانت الكناية بالاستعارة إذ استعارت صفة الرأس للحرب أو الفتنة ثم شخّصتها عبر استعارة مكنية ثم رشّحت الصورة بلازم من لوازم السيطرة على الرأس عبر الفعل (يطأ) الذي حشد هذه الاستعارة مع الكناية عن تمام السيطرة والاقتدار ، فجاءت صورة حسية حركية ، وظفت فيها أساليب البيان في الاستعارة والكناية ، واستنفرت طاقة هذين الأسلوبين في نقل المعنى المجرد للسيطرة من حالة التعاطي الذهني إلى مرحلة المشاهدة الحسية الحركية التي تؤكد المعنى في النفس وتقرّبه إلى التصديق بالمعينة والحركة.

وفي خطبتها B أمام نساء المهاجرين والأنصار ، تشدنا كنايات معبرة وجميلة ، فلكني تُثير الندم في نفوس القوم ، ولتُظهر لهم ما أضاعوه بأنفسهم ، ترسم لهم صورة فنية ،

(١) لسان العرب : مادة (كنى) ٢٣٣/١٥ .

(٢) دلائل الإعجاز : ٥٢ .

(٣) مفتاح العلوم : ٦٣٧ .

(٤) بلاغات النساء : ١٣ ، دلائل الإمامة : ٣٤ .

بقولها : «لأوردَهُمْ مِنْهَا نَمِيراً صافياً رويّاً ، تطفحُ ضِفَّتاهُ» (١) ، فهنا أرادت التعبير عن تركهم لخلافة أمير المؤمنين A وعدم اتباعهم لوصية رسول الله 9 في إمامته ، ولو أنهم اتبعوه لطاب لهم العيش ، وهنا يكمن جمال الكناية فعن رغد الحياة (كُنْتُ) بالمنهل الروي الفضفاض ، وعن السعادة والارتواء بـ (تطفح ضفّتاها) وهذه صور حسية حركية أوحى بمعان متعددة كالارتواء والوفرة ورغد العيش عبر الكناية التي مثلت المعنى حسياً ، فلفظة (تطفح) مثلاً كُنْتُ بها الخطيبة حركياً عن حالة الامتلاء والوفرة في المقام الذي أريد به الحياة الرغيدة العيش .

وفي قولها : «استبدلوا وَاللهِ الذَّنَابِي بالقَوَادِمِ ، و العَجَزَ بالكاهِلِ» (٢) ، نجد الكناية واضحة ، فعبّر هاتين اللفظتين (الذنابي ، القوادم) توضح وبشكل دقيق معنى الخسارة التي مُني بها القوم ، إذ كانوا بذلك كمن استبدل الذنابي بالقوادم ، فالْحِسَّ البصري واضح في هذه الصورة ، إذ إنها عبّرت عن تمام الفرق بين الحالتين ، عِلْيَةَ القوم وقوادم الريش ، ويُمكن إدراك ذلك بالروية ولهذا جاء التعبير الصوري حسياً عن معنى الخسارة الكبيرة التي لحقت هؤلاء .

وفي كناية بديعة تنقل B المعنى المجرد للإرغام إلى واقع المُشاهدة الحسية من خلال صورة حسية حركية ، تُكثي فيها عن معنى الإِجبار والإِذلال في حركة القهر عندما يرغم الأنف بالتراب ، في قولها : « فرغماً لمعاطس قوم يحسبون أَنَّهُمْ يحسنون صنعاَ إِلا أَنَّهُمْ هم المفسدون » (٣) ، فقد كُنْتُ عن الأنف بالمعطس ، كون التعبير برغم الأنف أضحي مُبتدلاً ، لذلك عدلت إلى المعطس ، وهذه كناية واضحة منها B عن الإِذلال بواقع حسي حركي لا يُمكن إنكاره .

وفي وصفها لأبي الحسن A تُعبّر بكناية مؤثرة عن تقواه وشجاعته الفائقة بقولها : « وَتَنَمَّرُهُ فِي ذَاتِ اللهِ » (٤) ، وهذه صورة خيالية لأن القوة إنما تُدرك بالخيال إلا أنها أضفت عليها ظلالاً حسية بجعلها مُتصلة بتحقر النور في لفظة (تنمره) ، وهي مع هذا تأسى على ما وصل إليه القوم ، وما سيؤول إليه مصيرهم ، فتقول B : «يَدْعُ فَيْكُمُ زَهِيداً ، وَجَمْعُكُمْ حَصِيداً» (٥) ، وهذه كناية عن فداحة خسارتهم المستقبلية .

(١) نشر الدر : ٨ - ٩ ، الإحتجاج : ٢٨٩/١ .
(٢) بلاغات النساء : ٢٠ ، دلائل الإمامة : ٤٠ .
(٣) نشر الدر : ٩ ، الإحتجاج : ٢٩٠ / ١ .
(٤) بلاغات النساء : ٢٠ ، نشر الدر : ٨ .
(٥) دلائل الإمامة : ٤١ ، الإحتجاج : ٢٩١ / ١ .

وتستمر السيدة الزهراء B في كنياتها المُعبّرة ، والدقيقة في تصويرها كاشفة عن أثر الثقافة الجديدة التي تمتعت بها المرأة المسلمة ، من خلال الصور التي تكوّنها في نتاجها الأدبي ، وهي تُفصح عن حنكة في البلاغة ، وتألّق في الوعي .

وأما الصور التي رسمتها العلويات في الكوفة والشام من خلال الكناية ، فقد كانت دقيقة ومُعبّرة عن مرارة الظروف وقساوتها ، فضلاً عن الحزن والألم نتيجة فاجعة كربلاء ، ومن الأمثلة على ذلك مخاطبة السيدة زينب B ليزيد بقوة وقد رسمت صورة حسيّة حركيّة تمثّلت من خلال الكناية عن الغرور والتكبر والاستعلاء بلفظة (شمخت) في قولها : « فَشَمَخَتْ بِأَنْفِكَ ، وَنَظَرَتْ فِي عِطْفِكَ » (١) ، وهي بذلك نقلت المعنى المجرد للاستعلاء إلى واقع الحس والمشاهدة عن طريق حركة الشموخ بالأنف المُدركة حساً عن معنى التكبر ، وفي قولها : (نظرت في عطفك) ، كناية عن الإعجاب بالنفس والغرور المتأتي من الأنانية ، وحبّ الذات ، وهذه كناية عن صفة كالتّي تبعثها ، وهاتان الكنيتان كانتا غاية في التعبير عن شخصيّة يزيد ، وتسترسل في صورها لتُعبّر عن موقف يزيد الذي واصل العداء بين بني هاشم وبني أميّة ، فتقول : «لَعَمْرِي لَقَدْ نَكَاتَ الْقُرْحَةُ ، وَاسْتَأْصَلَتِ الشَّافَةُ » (٢) ، وهنا ترسم B صورة حسيّة حركيّة من خلال الكناية عن تقشير ونبش العداوة قبل أن تُعفى أو تُنسى ، وأما قولها : (استأصلت الشافّة) ففيه كناية عن صفة أرادت السيدة زينب B بها التعبير عن اجتثاث الشجرة النبويّة الوارفة بقتل الإمام الحسين A .

وتواصل B خطبتها ، لتكشف فيها عن مدى الألم والحُزن الذي بثّه يزيد في قلوب المُسلمين عامّة ، وقلوب آل الرسول 9 خاصّة ، فتقول : « بَعْدَ أَنْ تَرَكْتَ عُيُونَ الْمُسْلِمِينَ بِهِ عَبْرَى ، وَصُدُّوهُمْ عِنْدَ ذِكْرِهِ حَرَى » (٣) ، فأنت في هذا المقام بصورتين : الأولى تُعبّر عن ملء عيون المسلمين بالدموع واغراقها ، والثانية تُعبّر عن شدّة الحزن والأسى في صدورهم ، بسبب ما ارتكبه يزيد ، وهنا وظفت B هذه الصورة لتتنقل المعنى المُجرّد للغیظ والحزن من خلال نسبة لفظة (حرى) وهو معنى حسی لمسی لأنّ الحرّ شيء يُحسّ باللمس ، ونُسبته إلى الصدور ، فأنت الصورة دقيقة ومُعبّرة ، وعلى أثرها رسمت السيدة زينب B صورة عبّرت بها عن كثرة

(١) بلاغات النساء : ٢١ ، نثر الدر : ١٧ .

(٢) بلاغات النساء : ٢٢ .

(٣) الاحتجاج : ١٢٨/٢ .

دماء آل البيت Δ التي أريقت من قبل يزيد وأتباعه ، إذ تقول : « تَنْطَفِ أَكْفُهُمْ مِنْ دِمَائِنَا » (١) ، ففي (تنطف أكفهم من دماننا) صورة بيانية دقيقة المعنى ، إذ عبّرت الخطيبة B عن تلك الأيدي والأكف التي لم توجّه سيوفها ورماحها إلى صدور أعداء الدين ، بل مالوا بها على ذرية رسول الله 9 ، وخير الخلق من بعده ، حتّى تلطّخت أكفهم وسيوفهم من هذه الدماء الزاكية ، وهذه الكناية واضحة بالإدراك الحسي عن التلبّس بالجريمة ، وهي صورة حسية حركية .

وأما في خطبتها B أمام أهل الكوفة ، فتطّلع علينا بصورة بيانية من خلال الكناية ، عمدت إليها حين قالت B : « أَلَيْ تَرَحُّضُونَ قَتْلَ سَلِيلِ خَاتَمِ النُّبُوَّةِ ، وَمَعْدِنِ الرِّسَالَةِ » (٢) ، ففي (خاتم النبوة ومعدين الرسالة) ، كنايتان عن النبي 9 ، والملاحظ على النصّ أنّ الخطيبة أتت بهما لتبرز مقامه المتفوّق على سائر الأنبياء Δ ، وهي لم تعتمد إليهما بشكّل عقويّ ، بل قصدتهما لتحمل كلمة (سليل) التي أضيفت إليهما للدلالة التي تراها لذلك السليل ، فلم تعد سلالة نسبية جسدية فحسب ، بل تحوّلت إلى سلالة عقيدية إيمانية ، وفيها انتماء إلى أرقى ما في النبوة ، منذ أن وجدت النبوات .

ثالثاً : التشبيه :

التشبيه أقلّ الصور البيانية حضوراً في خطب السيدات ، لذا فقد تأخّر الحديث عنه بعد الاستعارة والكناية ، والتشبيه لغة : ((التمثيل ، والشبه والشبيه : المثل ، وأشبه الشيء ماثلته ، وشبهته به تشبيهاً : مثّله ، وتشابه الشينان واشتبها : أشبه كلّ واحدٍ منهما صاحبه)) (٣) .

وفي الاصطلاح هو ((العقد على أنّ أحد الشينين يسدّ مسدّاً الآخر في حسٍّ أو عقلٍ)) (٤) ، وفضل التشبيه كما بيّن الجرجاني (ت ٤٧١ أو ٤٧٤ هـ) ((يعمل عمل السحر في تأليف المتباينين حتّى يختصر ما بين المشرق والمغرب ، ويجمع ما بين المشئم والمعرق ، وهو يُريك في المعاني الممثلة بالأوهام شبيهاً في الأشخاص الماثلة والأشباح القائمة ، ويُنطق لك الأخرس ويُعطيك البيان من الأعجم ويُريك الحياة في الجماد ، ويُريك التمام عين الأضداد ، فيأتيك بالحياة والموت مجموعين ، والماء والنار مجتمعين)) (٥) .

(١) م ن : ١٢٩ / ٢ .

(٢) اللهوف في قتلى الطفوف : ٩٤ .

(٣) لسان العرب : مادة (شبه) ٥٠٣ / ١٣ .

(٤) النكت في إعجاز القرآن : ٧٤ .

(٥) أسرار البلاغة : ١١٨ - ١١٩ .

وأما المحدثون فإنهم ذهبوا إلى أنه من أساليب علم البيان ، وفيه يقول علي الجندي إن التشبيه ((يقوم على ما يمكن أن نلمحه أو نُدرِّكه النفوس من علاقة أو تشابه أو اشتراك بعض الأشياء في وصف خاص يربط بينها)) (١) .

من هذا نخلص أن التشبيه لون من ألوان البيان التي لها أثر كبير في التأثير على النفوس ، وهو عنصر مهم يأتي به الخطيب كي يسحر المتلقي بالصورة التي يرسمها له ..

وفي خطبة السيدة زينب B أمام الملاء من أهل الكوفة تقتبس صورة بيانية رسمها التشبيه القرآني بدقة ، فنقول B : « أَلَا فَلَا رَقَاتِ الْعَبْرَةِ ، وَلَا هَذَاتِ الزُّفْرَةِ ، إِنَّمَا مَثَلُكُمْ كَمَثَلِ الْيَاقَتِ نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا » (٢) ، ونوع التشبيه هنا تمثيلي ، إذ مثل لنا حال هؤلاء القوم ، فهي كالتي نقضت غزلها فأضاعت جهدها وشئتت تعبها ، فأهل الكوفة أضاعوا موقفهم القوي سُدًى حين تحولوا من الحق إلى الباطل ، فالخطيبة B أفادت من مُعطيات القوة التعبيرية ، وجمال الصورة الفنية المكتنزة في النص القرآني ، بُغية تسخيرها في إظهار وبيان الهدف المقصود ، فهي B أرادت بهذا الاقتباس ما فيه من الصورة الرائعة المتكاملة الأركان وهي ترسم بوضوح دقة المعنى المجرد للضياع بحالة إدراكية حسية ، فضياع الغزل يمكن إدراكه ، لذا فالصورة حسية حركية ، فأبانت حالهم المتحول من القوة والتماسك إلى التشتت والضياع ، ومما زاد هذه الصورة وقعا في النفوس أنها اتكأت على إفاضات النص القرآني .

ولم تكتفِ الخطيبة بهذه الصورة بل تبعثها برسم صورة جديدة ، بقولها : « أَوْ كَمَرَعَى عَلَى دِمْنَةٍ » (٣) ، وهذه صورة حسية بصرية ، ونوع التشبيه مُجمل والأداة مذكورة ، وتشبيهها B لأهل الكوفة واضح ، فالمشبه به (مرعى على دمنة) فمع كل نضارة المرعى إلا أن كونه على دمنة اكتنز بالإدهاش وهو يُنتج هذه الصورة التي تكاملت بلحاظ اجتماع هاتين المفردتين (المرعى ، الدمنة) وبذلك رسمت الخطيبة المعنى المجرد لعدم الفائدة من هذا المرعى ، وهذه صورة بصرية ألقت بروية المرعى ، ولكنهم غدروا فجاءت الخطيبة بمفردة (الدمنة) لتكون مكملة لصورة المشبه به ، إذ إنها لم ترد المعنى ، وإنما أرادت المرعى الضائع وهو على دمنة ، فاكتملت الصورة الحسية بالارتكاز على الإدراك الحقيقي لمعنى الضياع الذي ألوا إليه

(١) فن التشبيه : ٥٠/١ .

(٢) اللهوف في قتلى الطفوف : ٩٤ ، الاحتجاج : ١١٠/٢ .

(٣) اللهوف في قتلى الطفوف : ٩٤ .

هؤلاء ، وتنتهي الصورة بإثارة مشاعر الندم والحسرة لدى المتلقين ، وهذه صورة دقيقة استحضرت المعنى بكل عمقه .

وتسترسل السيدة زينب B في رسم الصور الحسية البصرية في رؤية الفضة على ملحودة لبيان معنى "عدم الفائدة" وهو وجه الشبه ، بقولها : « أَوْ كَفِضَّةً عَلَى مَلْحُودَةٍ » ^(١) ، وكأنها بذلك تركز على معنى الضياع والخسران وانتفاء الفائدة بتشبيهاتها ، لتشبع المعنى بدقة وتزيده رسوخاً في أذهان هؤلاء المتلقين ، فنلاحظ أن المشبه وهم (أهل الكوفة) يُقرن بصورة بصرية تتجلى في رؤية الفضة التي لها قيمة ، لكنها تُدهشهم بتركيب المشبه به تركيباً محكماً من خلال لفظتين (الفضة والملحودة) ، فالخطيبة نشدت بذلك تكثيف المعنى عبر المدركات الحسية ، فما قيمة الفضة التي تحمل من المعاني ما تحمل إذا وُضعت بلحد ؟!

من ذلك نلاحظ أن التشبيهات التي أدرجتها السيدة زينب B ؛ من نقض الغزل إلى مرعى على دمنة ثم فضة على ملحودة ، أنها صور تشبيهية حسية ، تشير إلى بُعد عميق الدلالة لكنه معطل ، لذا فإن الصور حُمِلت لوماً وتقريباً شديدين ، ألقيا على ذلك الحدث ظلالاً سوداء ، ولو عدنا إلى ما وصفته به في البدء من صفات : (الختل ، الغدر ، الخذل ، المُخادعة) ثم قرأنا هذه الصفات على ضوء هذه الصور التشبيهية للاحظنا أنها موجهة إلى ذات الكوفيين بقدر توجهها إلى الإمام الحسين A ، لأنَّ الضعف الذي عراهم لحظة حسم الموقف بين أن يكونوا مع الإمام A أو يزيد ، جعل موقفهم يُمثل ختلاً وغدراً وخذلاناً ومخادعة لحقيقة الموقف الذي تمنوا أن يفقهوه ولم يقدروا ، وهو بالنتيجة خيانة للذات وإضاعة لمصالحهم قبل أن يكون خيانة للإمام الحسين A .

(١) الاحتجاج : ١١٠/٢ .

المبحث الثالث

البنية الإيقاعية للخطب

لا شك في أنّ الإيقاع من العناصر البارزة والمهمّة في بناء الخطبة الناجحة ، لما له من تأثير في نفس المتلقي ، وذلك نتيجة الارتباط الوثيق ما بين اللفظ والموسيقى داخل النص . وهذا ما يدفع الخطيب ((إلى إقامة بناء نتاجه على نظام موسيقي متوازن ، على وفق إيقاعات نغمية منظمة ، لتكون دلالات النص أدخل في نفس المتلقي وأبعد غوراً فيه)) (١) ، وأيضاً يجعله حريصاً على انتقاء ألفاظ متكوّنة من حروف تؤلف في مجموعها تناغماً صوتياً ، يظهر أثره في جمال النص ، لما يمنحه من جمال وروعة بتناسقه من خلال توفير جرس صوتي يُناغم جميع الألفاظ والعبارات الموجودة داخل النص ، الذي يتكوّن غالباً من مستويات إيقاعية متعدّدة ، إذ إنّ الإيقاع له عناصره ، وهذه العناصر يأتي بها المبدع على وفق أنماط وسياقات منظمة ومتألّفة في إيقاعها وتناغمها بحيث يؤثر في السامع ، وبذلك يكون الخطيب ومن خلال عناصر الإيقاع قد رسم صورة مؤثّرة في نفس المتلقي وشعوره ، وهذا ما يؤدي إلى القول بأنّ العنصر الإيقاعي يُعدّ من العناصر الأساسية في بناء النص الأدبي ، وللتعرّف على أثره في تشكيل بنية نصوص خطب سيّدات البيت العلوي سيتكفل هذا المبحث بدراسة كلّ عنصر موسيقي من عناصر الإيقاع داخل نصوص الخطب .

ذلك أنّ في ألفاظ نصوص الخطب ما يستدعي الوقوف والدّراسة بتأنّ ولاسيما المحسنات اللفظية التي شكّلت في الكلمات تلائماً صوتياً زاد الخطب استحساناً في نفس المتلقي ، ولعلّ السجع والازدواج والموازنة والجناس والتكرار من أهم مواطن الجمال والروعة في ألفاظ هذه الخطب ، فقد وفّرت فيها ضرباً من القيم التصويرية والإيقاعية .

أولاً : السجع :

من جميل الزخارف اللفظية هو السجع ، وغالباً ما يكون في النثر ولاسيما الخطابة ، وفي الجاهلية كان كثير الاستعمال ، وبعد مجيء الإسلام أصبح أخف وطأة ، إلّا أنّه لم يندثر نهائياً ، بل ظلّ كثير من الأدباء يأتون به تارةً على نحو العمد ، وأخرى على نحو العفوية من دون تكلف أو صنعة وهو الأجمل وقعاً على النفس ، وأكثر تأثيراً في ذوق المتلقي ، يقول أبو

(١) التصوير الفني في خطب الإمام علي A (رسالة ماجستير) : ٩٣ .

هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ) : ((واعلم إنَّ الذي يلزمك في ... فإن جعلتها مسجوعة كان أحسن ، ما لم يكن في سجعك استكراه وتنافر وتعقيد ، وكثر ما يقع ذلك في السَّجْع ، وقلما يسلم - إذا طال - من استكراه وتنافر)) (١) ، وهو إنما يُستكره إذا كان مُتكلفاً ومُتعسِّفاً ، لأنَّه سيثقل الأذهان ، بينما السَّجْع العفوي يكون أخفَّ وطأةً ووقعاً على الأذن ، وفضيلته براءته من التَّكَلُّف ، وخلوه من التعسف .

والسجع لغة هو : (السجع الكلام المُقَيِّ والجمع أسجاع وأساجيعُ وكلام مُسَجَّع وسَجَّع يسَجِّعُ سَجْعاً وسَجَّعَ تَسْجِيعاً تَكَلَّمَ بكلام له فواصلُ كفواصلِ الشَّعر من غير وزن)) (٢) ، وفي الاصطلاح كما حدَّه ابن الأثير بقوله : ((هو تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على حرفٍ واحد)) (٣) ، والسجع بشكل عام كان من المحسنات اللفظية في خطب سيدات البيت العلوي ، ذلك أنَّه لم يرد إلا عَفْوياً ، وبطريقة خلت من التَّكَلُّف والتَّصَنُّع ، ولذلك نقول بأنَّه لم يأت بأيَّ خُطبة من هذه الخطب إلا عفو الخاطر ، وهذا يدل على وفرة الألفاظ والمفردات التي كانت تملكها الخطيبات ، ممَّا أدَّى إلى توافق الفواصل بالمفردات الرشيقة والألفاظ الزاخرة المعاني ، ومن أمثلته في خُطبة السيدة فاطمة الزهراء B أمام نساء المهاجرين والأنصار : « أَصْبَحْتُ وَاللَّهِ عَائِفَةً لِدُنْيَاكُنَّ ، قَالِيَةً لِرِجَالِكُنَّ ، لَفْظَتُهُمْ بَعْدَ أَنْ عَجَمْتُهُمْ ، وَشَنَائُهُمْ بَعْدَ أَنْ سَبَرْتُهُمْ ، فَقُبْحاً » (٤) ، نجد أنَّ العبارات جميعها قد انتهت بفاصل محددة ، فانسجمت لفظاً ممَّا أدى إلى أن تكون أوقع تأثيراً في نفس المتلقي وشعوره .

ومن النماذج التي كان السجع فيها من عناصر جمالها قولها B : « وَتَاللَّهِ لَوْ مَالُوا عَنِ الْمَحَبَّةِ اللَّايِحَةِ ، وَزَالُوا عَنْ قَبُولِ الْحُجَّةِ الْوَاضِحَةِ ، لَرَدَّاهُمْ إِلَيْهَا ، وَحَمَلَهُمْ عَلَيْهَا » (٥) ، نجد أنَّ السجع المتوالي بارزٌ في هذه الفقرات ، من دون صنعة أو تكلف ، وممَّا يُلحظ في هذا المقطع السجع المرصع (٦) في قولها : (المحبة اللايحة ، الحُجَّة الواضحة) إذ اتفقت فيها الألفاظ وزناً وقافية.

(١) كتاب الصناعتين : ١٦٥ .

(٢) لسان العرب : مادة (سجع) ١٥٠/٨ .

(٣) المثل السائر : ١٩٣/٣ .

(٤) دلائل الإمامة : ٤٠ .

(٥) الاحتجاج : ٢٨٨/١ .

(٦) وهو مُقابلة كلِّ لفظة على وزنها ورويها ؛ ظ : معجم المصطلحات البلاغية : ٢٤٥/٣ ، وهو أيضاً [ما اتفق فيه القرينتان أو القران وزناً ورويّاً] ، فيتساوى فيه اللفظ في القرينة الأولى مع اللفظ في الثانية وزناً وتقفية ، ينظر : سرّ الفصاحة : ١٩٠ ، تكوين البلاغة : ٣٤٥ .

وفي خطبتها B في المسجد يردُّ السجع عفو خاطر ، وهو متساوٍ في فقراته ، جميل في ترابطه وتسلسله ، بقولها : « أَنْتُمْ عِبَادُ اللَّهِ نُصِبُ أَمْرَهُ وَنَهَيْهِ ، وَحَمَلَهُ دِينَهُ وَوَحْيِهِ ، وَأَمَّاءُ اللَّهِ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، وَبَلَّغَانُهُ إِلَى الْأُمَمِ ، وَرَزَعْتُمْ حَقَّ لَكُمْ ، اللَّهُ فِيكُمْ عَهْدٌ قَدْ مَدَّ إِلَيْكُمْ ، وَبَقِيَّةٌ اسْتَخْلَفَهَا عَلَيْكُمْ : كِتَابُ اللَّهِ النَّاطِقُ ، وَالْقُرْآنُ الصَّادِقُ ، وَالتَّوْرُ السَّاطِعُ ، وَالضِّيَاءُ اللامع ، بَيِّنَةٌ بَصَائِرُهُ ، مُنْكَشِفَةٌ سَرَائِرُهُ ، مُنْجِلِيَّةٌ ظَوَاهِرُهُ » (١) ، نجد هنا السجع مُرصَّعاً في بدنه ، ثمَّ ينقطع بعبارة (بلغاؤه إلى الأمم) لغاية فتيّة بلاغية ، ثم يتواصل في فقراته بالوزن والتقفية ، وهو متوافق في تناغمه الموسيقي على الرغم من انقطاعه ، ممَّا زاد في تآلف عبارات الخطبة وتناسقها بوحدة موضوعية لها أثرها في النفس .

وفي خطب السيدة زينب B نجد السجع اللطيف في خفته وإيقاعه ، ففي خطبتها أمام يزيد توظف الموسيقى في ألفاظها ، فتأتي فقراتها المتفقة في الوزن والقافية في غاية الدقة من حيث المعنى بقولها : « فَشَمَخْتَ بِأَنْفِكَ ، وَنَظَرْتَ فِي عِطْفِكَ ، تَضْرِبُ أَصْدْرِيكَ فَرِحاً وَتَنْقُضُ مِذْرَوِيكَ مَرَحاً حِينَ رَأَيْتَ الدُّنْيَا لَكَ مُسْتَوْسِقَةً وَالْأُمُورَ لَدَيْكَ مُتَسِقَةً » (٢) ، وهذا سجع مُرصَّع ، فالألفاظ اتفقت في الوزن والقافية ، وبذلك شكّل السجع هنا موسيقى من خلال التناغم الحاصل بين أصوات وكلمات وعبارات هذه الفقرة.

ونجد السجع المتوازي (٣) واضحاً في قولها : « وَهَلْ رَأَيْكَ إِلَّا قَدَدٌ ، وَأَيَّامُكَ إِلَّا عَدَدٌ ، وَجَمْعُكَ إِلَّا بَدَدٌ » (٤) ، ففي لفظة (رأيك) اختلاف عن لفظة (أيامك) ولفظة (أيامك) اختلفت عن لفظة (جمعك) وزناً وقافية ، وعدم الالتزام بالوزن هنا أضفى على الخطبة جمالاً فنياً ، بما كونه ذلك السجع من موسيقى أنتجت تأثيراً واضحاً في نفس المتلقي .

وحين تستنكر على يزيد وهي تذكره بجذته هند آكلة الأكباد يأتي السجع عفو خاطرها ، في قولها : « وَأَنْتَى يُرْتَجَى الْخَيْرُ مِنْ لَفْظِ قُوَّةِ أَكْبَادِ الشُّهَدَاءِ ، وَكَبَتْ لَحْمُهُ بِدِمَاءِ السُّعْدَاءِ ، وَنَصَبَ الْحَرْبَ لِسَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَجَمَعَ الْأَحْزَابَ ، وَشَهَرَ الْحِرَابَ » (٥) ، نلاحظ اتفاق التقفية والوزن في (جمع

(١) بلاغات النساء : ١٦ ، دلائل الإمامة : ٣٢ .

(٢) بلاغات النساء : ٢١ ، نثر الدر : ١٧-١٨ ، الإحتجاج : ١٢٤/٢ .

(٣) وهو أن تتفق اللفظة الأخيرة من القرينة مع نظيرتها في الوزن والروي ، ظ : معجم المصطلحات البلاغية : ١٩٠/٣ .

(٤) الإحتجاج : ١٣٠/٢ .

(٥) م ن : ١٢٥/٢ .

الأحزاب ، وَشَهَرَ الْحِرَابِ) وهذا من المُرَصَّع ، وفي المَقْطَع الأول يظهر السَّجْع المطرف (١) في قولها : (أكباد ودماء) ، وبمجموعهما (المرصع والمطرف) رُسمت صورة في ذهن المتلقي من خلال الإيقاع المنظم للألفاظ .

وبتنعيم متوافق وجميل في خطبتها أمام أهل الكوفة تقول : « هَلْ فِيكُمْ إِلَّا الصِّلْفُ وَالْعَجِبُ ، وَالشَّنْفُ وَالْكَذِبُ ، وَمَلَقُ الْإِمَاءِ ، وَغَمْرُ الْأَعْدَاءِ ؟ » (٢) ، نجدها تَمْزج بين السَّجْع المرصع بقولها : (الصِّلْفُ وَالشَّنْفُ) والمتوازي بقولها : (ملق الإماء ، وغمر الأعداء) في (ملق وغمر) ، وهكذا السجع في كل خطبتها نجده عَفْوِيًّا وغير مُتَعَمَّد ، ودليل ذلك ما جرى في نهاية محاورتها مع ابن زياد ، حينما قال : هذه سَجَاعَةٌ ، ولعمري لقد كان أبوها سَجَاعاً شاعراً .

فقال B : ما للمرأة والسجاعة (٣) .

ومثل السيدة زينب B السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين X إذ تحسن التوازن في ألفاظ خطبتها ، والاختلاف في الوزن إلى جانب الاتفاق في التَّقْفِيَّة ، فتأتي عباراتها في غاية البلاغة ، في قولها : « الْحَمْدُ لِلَّهِ عَدَدَ الرَّمْلِ وَالْحَصَى ، وَزِنَةَ الْعَرْشِ إِلَى الثَّرَى ، أَحْمَدُهُ وَأُؤْمِنُ بِهِ وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ » (٤) ، فلفظتي (عدد الرمل وزنة العرش) في السجع المتوازي ، وهذا ما مَرَّجَتْهُ B بالسَّجْع المرصع في قولها : (الحصى ، الثرى) ، وبهذا المزج منحت النص جمالاً وروعة من خلال التَّنَاسُق الموسيقي الذي انتظمت فيه فقرات نص خطبتها B ، وعلى هذا النسق في المزج الفني الدقيق تمضي خطبتها B بشكل عَفْوِي ، زاد الخطبة دِقَّةً في المعنى ، ورصانة في النظم .

ثانياً : الازدواج :

ولم تكتفِ الخطيبات بالسجع العفوي ، بل نجد أن نصوصهن قد حفلت بالازدواج الذي حقق إيقاعاً موسيقياً رائعاً من حيث وقع جَرَسِهِ على أذن السامع ، والازدواج من الزخارف اللفظية التي تُضفي على النص الأدبي رونقاً خاصاً ، إذ ((لَا يَحْسُنُ مَنْثُورُ الْكَلَامِ وَلَا يَحِلُّ حَتَّى يَكُونَ مَزْدُوجاً ، وَلَا تَكَادُ تَجِدُ لِبَلِيغٍ كَلَاماً يَخْلُو مِنَ الْازْدِوَاجِ ، وَلَوْ اسْتَغْنَى كَلَامٌ عَنِ الْازْدِوَاجِ

(١) وهو النوع القائم على اختلاف الفاصلتين أو الفواصل في الوزن مع الاتفاق في التَّقْفِيَّة ، ينظر : حُسْن التَّوَسُّل : ٢٠٩ ، أنموذج في علم البلاغة وتوابعها : ٥٣ .

(٢) اللهوف في قتلى الطفوف : ٩٤ ، الإحتجاج : ١١٠/٢ .

(٣) تاريخ الأمم والملوك : ٣ / ٣٣٧ .

(٤) اللهوف في قتلى الطفوف : ٩٦ .

لكان القرآن ، لأنه في نظمه خارج من كلام الخلق ، وقد كثر الازدواج فيه حتى حصل في أوساط الآيات فضلاً عما تزوج في الفواصل منه)) (١) .

ونلاحظ ثراءً كبيراً لهذا الفن الموسيقي ، من الشواهد التي سنقف عندها ومنها ما جاء في خطبة السيدة زينب B في مجلس يزيد «لَيْسَ مَعَهُنَّ مِنْ رِجَالِهِنَّ وَلِيٌّ ، وَلَا مِنْ حُمَاتِهِنَّ حَمِيمٌ ... أَشَدَّ الْعَرَبِ لِلَّهِ جُحُوداً ، وَأَنْكَرَهُمْ لَهُ رَسُولاً ، وَأَظْهَرَهُمْ لَهُ عُذْوَاناً ... وَيُفْصِحُ ذَلِكَ بِلِسَانِهِ ، وَهُوَ يَقُولُ - فَرِحاً بِقَتْلِ وَلَدِهِ وَسَبِي ذُرِّيَّتِهِ ، غَيْرَ مُتَحَوِّبٍ وَلَا مُسْتَعْظِمٍ - يَهْتَفُ بِأَشْيَاخِهِ » (٢) ، إذ نلمس تساوي الفواصل بالوزن من دون التقفية ، وهذا الازدواج إنما جاء في تمكين المعنى ، وصفاء اللفظ ، كما تضمن الطلاوة ، وهذا ما أضاف على الخطبة حلة ، كان لها وقعها وتأثيرها في تألق النص الأدبي ، وذلك لاتفاق الأوزان في نهاية كل جملة ، فضلاً عن مقاطع الأصوات المتشابهة في الإيقاع ، في ألفاظ هذا المقطع من الخطبة .

وفي ازدواج موزن وجميل بين فاصلتين بأقل من ثلاثة أحرف وبأجزاء متوازنة وقصيرة نجد السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين X تضمن خطبتها في قولها : «وَرَأَيْتُمْ قِتَالَنَا حَلَالاً ، وَأَمْوَالَنَا نَهَباً» (٣) ، ويعد هذا من جميل الازدواج ، لأن التطويل من عيوبه ، فضلاً عن أنه قد أحدث تعادلاً صوتياً ، أدى إلى توازن فقرات الخطبة وخلق انسجام إيقاعي مؤثر في نفس المتلقي .

بينما في نص خطبة السيدة الزهراء B نلاحظ الازدواج يتلون مع الموازنة التي تُعد من الزخارف اللفظية والمحسنات النوعية في إيقاعها الموسيقي وذلك في خطبتها B أمام نساء المهاجرين والأنصار : «وَلَسَارَ بِهِمْ سَيْرًا سُجْحًا ، لَا يَكْلُمُ خِشَاشُهُ ، وَلَا يَكِلُ سَائِرُهُ ، وَلَا يَمَلُّ رَاكِبُهُ» (٤) ، إذ بدأت بالازدواج (خشاشه ، سائره ، راكبه) وانتهت بالموازنة في (لا يكلم خشاشه ، ولا يكِلُ راكبه) ، وهنا نجد أن الموازنة قد أعطت اعتدالاً في الكلام ، بحيث أكسبته حلة جديدة ، وهذا بديهي كون الموازنة في فواصل الكلام تزيده قوة في التأثير ، ودقة في التعبير ، كما في قولها : «لَيْتَ شِعْرِي إِلَى أَيِّ سِنَادٍ اسْتَدُّوا ؟! وَإِلَى أَيِّ عِمَادٍ اعْتَمَدُوا ؟! وَبِأَيِّ عُرْوَةٍ تَمَسَّكُوا ؟! » (٥) ، إذ جاء المقطع متساوي الوزن في نهاية فواصله .

(١) كتاب الصناعتين : ٢٦٦ .

(٢) بلاغات النساء : ٢٢ ، نثر الدر : ١٨ ، الاحتجاج : ١٢٥/٢ .

(٣) اللهوف في قتلى الطفوف : ٩٧ ، الاحتجاج : ١٠٦/٢ .

(٤) بلاغات النساء : ٢٠ ، دلائل الإمامة : ٤٠ ، الاحتجاج : ٢٨٨/١-٢٨٩ .

(٥) دلائل الإمامة : ٤٠ ، الاحتجاج : ٢٩٠/١ .

ومثل ذلك أيضاً ما ورد في خطبة السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين X في قولها : « حَتَّى قَبَضَتْهُ إِلَيْكَ مَحْمُودُ النَّفِيسَةِ ، طَيِّبَ الضَّرِيَّةِ ... لَمْ تَأْخُذْهُ فَيْكَ لَوْمَةٌ لَائِمٌ ، وَلَا عَذْلٌ عَازِلٌ ، هَدَيْتَهُ يَا رَبِّ لِلْإِسْلَامِ صَغِيرًا ، وَحَمَدْتَ مَنَاقِبَهُ كَبِيرًا » (١) ، ففي (النقيبة والعريكة) و(لائم ، عاذل) و(صغيراً ، كبيراً) تساوي الوزن في كل لفظة وقعت في نهاية فاصلة ، وهذه موازنة في منظوم كلام السيدة B قد أحسنت تضمينها ، وتنسيقها في ألفاظها ، ما يتلائم مع ما كانت تمرّ به B من شجى وحُزن ، بدا واضحاً من خلال توافر الجرس الموسيقي الذي شكّل وسيلة من وسائل التعبير الفني لما حواه من موسيقى ذات إحياء دلالي مُعَبَّرٌ عما تُكْمِئُهُ الخطيبة B والذي انكشف من خلال الإيقاعات المنتظمة في نهاية كل فقرة من فقرات نصّ خطبتها .

وفي خطبة السيدة زينب B في الشام يتجلى جمال الموازنة وهي تندمج مع السجع في قولها : « يَتَصَفَّحُ وَجُوهَهُنَّ الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ ، وَالْغَائِبُ وَالشَّهِيدُ ، وَالشَّرِيفُ وَالْوَضِيعُ ، وَالذَّنِي وَالرَّفِيعُ » (٢) ، فالألفاظ (القريب - البعيد ، الشريف - الوضع ، الذني - الرفيع) فيها موازنة ، وقد استعملتها الخطيبة في منظوم خطبتها حتى صار ذلك الجنس من الكلام منظوم في منظوم ، وسجع في سجع إلى جانب الموازنة ، وهذا التشكيل في المزج بين السجع والموازنة ، أكسب المقطع تأثيراً كبيراً بما حواه من مضامين كشفت ما قام به يزيد على مرّ التاريخ ، ومثل ذلك أيضاً قولها في نهاية خطبتها هذه : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي حَكَمَ لِأَوْلِيَائِهِ بِالسَّعَادَةِ ، وَخَتَمَ لِأَصْفِيَائِهِ بِالْإِرَادَةِ ، وَنَقَلَهُمْ إِلَى الرَّحْمَةِ وَالرَّافَةِ ، وَالرَّضْوَانِ وَالْمَغْفِرَةِ » (٣) ، ففيه أكسبت الخطبة لوناً فنياً خاصاً بها ، حينما مزجت بين إيقاع الموازنة وموسيقى السجع في آن واحد ، بحيث جعلت المتلقي يتفاعل مع ما يسمعه من فقرات ذات إيقاع مُنْتَظَمٍ ومؤثر ، وهكذا تستمر الإيقاعات الموسيقية المؤثرة في نصوص خطب السيدات ضمن فواصل جاءت على زنة واحدة من التعادل والتوازن الذي أدى إلى تناسق (الوحدات الصوتية) المنتظمة في مجموعة .

ثالثاً : الجنس :

(١) اللهوف في قتلى الطفوف : ٩٦ .

(٢) الاحتجاج : ١٢٥/٢ .

(٣) م ن : ١٣٠/٢ .

الجناس لغة : ((الضَرْبُ من كُلِّ شيء ، ومنه المُجَانَسَةُ والتَّجْنِيسُ ويُقال هذا يُجَانِسُ هذا أي يُشَاكِلُهُ)) (١) .

وفي الاصطلاح : ((التَّجْنِيسُ ضروب كثيرة : منها المماثلة ، وهي أن تكون اللفظة واحدة باختلاف المعنى)) (٢) ، وذكره السكاكي (ت ٦٢٦ هـ) بقوله : ((هو تشابه الكلمتين في اللفظ والمعتبر منه في باب الاستحسان عدّة أنواع : أحدهما التجنيس التام ، وثانيهما : التجنيس الناقص ، وثالثهما التجنيس المُذَيَّل ، ورابعهما : التَّجْنِيسُ المُضَارِعُ أو المُطَرَفُ)) (٣) ، وخامسهما التجنيس اللاحق (٤))) (٥) .

ويعدُّ الجناس من العناصر الوافرة التي هيمنت على نُصوص هذه الخطب ، ومن شواهد ما وَرَدَ في خُطبة السيِّدة الزهراء B في المسجد : « الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا أُنْعِمُ ، وَلَهُ الشُّكْرُ عَلَى مَا أَلْهِمَ ، ... جَمَّ عَنِ الْإِحْصَاءِ عَدْدُهَا ، وَتَأَى عَنِ الْجَزَاءِ أَمْدُهَا ، وَتَفَاوَتْ عَنِ الْإِدْرَاكِ أَبْدُهَا » (٦) ، فالجناس هنا واقع بين (أُنْعِمَ وَأَلْهِمَ) ، (أَمْدُهَا وَأَبْدُهَا) وهذا جناس لاحق ، إذ أبدلت الخطيبة B حرفاً بحرف متباعد ، وكان ذلك في الحرف الثاني ، لذلك فإنَّ الجرسَ الموسيقيَّ واحدٌ على الرغم من تغيُّر المعنى بتغيُّر هذا الحرف .

ومثله في خُطبة السيدة زينب B في الكوفة « سيد شباب أهل الجنة وملاذ خيرتكم ومفزع نازلتكم ومنار حجتكم ومدرّة سنتكم » (٧) ، فالجناس في (خيرتكم ، حُجَّتكم ، سنتكم) وهذا جناس لاحق في متباعدين ، وهذا الجناس قد أدّى إلى الاختلاف في المعنى الذي ترتب نتيجة التَّغْيِيرِ اللفظي .

وفي خطبتها بالشام نلمس الجناس في مُتباعدين في الوسط في قولها : « فَلَمَّا اتَّخَذْتِنَا مَعْنَمًا لَتَجِدَ بِنَا وَشَيْكََا مَعْرَمًا » (٨) ، ففي (معنماً ومعرمًا) وقع الجناس في الوسط بإبدال النون راءً وهما متباعدان في اللفظ .

(١) لسان العرب : مادة (جنس) ٤٣/٦ .

(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : ٣٢١/١ .

(٣) التجنيس المضارع أو المطرف هو أن يختلفا بحرفين أو حرفين مع تقارب المخرج ، مفتاح العلوم : ٦٦٩ .

(٤) وهو ما أبدل من أحد ركنيه حرف بحرف من غير مخرجه ولا قريب منه ، ويكونان أمّا في الأول أو الوسط أو الآخر ، ظ : أنوار الربيع : ١٤٠/١ .

(٥) مفتاح العلوم : ٦٦٨ وما بعدها .

(٦) بلاغات النساء : ١٥ ، دلائل الإمامة : ٣١ .

(٧) اللهوف في قتلى الطفوف : ٩٤ ، الإحتجاج : ١١١ / ٢ .

(٨) بلاغات النساء : ٢٢ ، نثر الدرّ : ١٩ .

والجناس اللاحق في متباعدين في الأول نجدُه في خطبة السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين X بقولها : « وَأَنَّ أَوْلَادَهُ ذُبُحُوا بِشَطِّ الْفُرَاتِ مِنْ غَيْرِ دَحْلٍ وَلَا تِراثٍ » (١) ، فالجناس في (الفرات وتراث) وهو في الحرف الأول .

ومن جناس الاشتقاق (٢) ما ورد في خطبة السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين X بقولها : « لم تأخذه فيك لومة لائم ولا عدل عاذل ... فإننا أهل بيت ابتلانا الله بكم وابتلاككم بنا ... فإن ما أصابنا من المصائب الجليلة » (٣) ، فالجناس في (لومة لائم ، عدل عاذل ، ابتلانا بكم وابتلاككم بنا ، أصابنا والمصائب) والعلاقة بين كل لفظين علاقة اشتقاقية .

ومثله نلاحظه في خطبة السيدة فاطمة الزهراء B في المسجد : « أو فغرت فاعرة للمشركين ، قذف أخاه في هواها ، ... يا ابن قحافة ، أفي كتاب الله أن تراث أبائك ولا أراث أبيه » (٤) ، فقد وقع الجناس الاشتقاقي بين (فغرت وفاعرة ، أبائك وأبيه) ومثل هذا الجناس قد أضاف للخطبة إيقاعاً موسيقياً ، وزخرفاً لفظياً .

والجناس المضارع نصيب وافر في نصوص الخطب ، نذكر منه ما ورد في خطبة السيدة زينب B بالكوفة : « فَقَدْ بُلِيْتُمْ بِعَارِهَا ، وَمُنِيْتُمْ بِشَنَارِهَا » (٥) ، فالجناس في (عارها وشنارها) إذ اختلف ركنا اللفظتين في حرفين لم يتباعدة بالمخرج ، ومثل هذا النوع كثير في الخطب .

ومن شواهد الجناس المذيل (٦) ما نجده في خطبة السيدة فاطمة الزهراء B في مسجد أبيها 9 : « لَتَجِدَنَّ وَاللهَ مَحْمَلَةً ثَقِيلاً ، وَغَبَةً وَبِيلاً » (٧) ، فالجناس في (مَحْمَلَهُ وَغَبَهُ) مذيل وذلك لاختلاف آخر اللفظتين الْمُتَجَانِسَتَيْنِ .

وكان للجناس المطرف شواهد كثيرة نذكر واحداً منها في خطبة السيدة زينب (عليها السلام) أمام يزيد : « تضرب أصدريكَ كَفَرِحاً وَتَنْقُضُ مِذْرَوِيكَ مَرِحاً » (٨) ، فالجناس المطرف قائم بين (أصدريكَ ومِذْرَوِيكَ) فالاختلاف ورد بزيادة حرفين في أول اللفظ ، ومثله كثير في الخطب .

(١) اللهوف في قتلى الطفوف : ٩٦ ، الاحتجاج : ١٠٥/٢ .

(٢) ألحقه القزويني بالجناس وقال : هو أن يجمع بين اللفظتين الاشتقاق ، ينظر : الإيضاح : ٣٨٩ .

(٣) اللهوف في قتلى الطفوف : ٩٦-٩٧ .

(٤) بلاغات النساء : ١٣ ، دلائل الإمامة : ٣٤ ، نشر الدر : ٦ .

(٥) الاحتجاج : ١١١/٢ .

(٦) هو أن يختلفا بزيادة حرف ، مفتاح العلوم : ٦٩٦ .

(٧) الاحتجاج : ٢٧٨/١ .

(٨) م ن : ١٢٤/٢ .

من خلال الأمثلة الآتية الذكر يتضح أن أغلب الجناس هو غير تام ، وهو مع ذلك أضفى على الخطب تناعماً صوتياً له دلالته ومعناه .

رابعاً : التكرار :

التكرار لغة : هو ((كَرَّرَ الشيء وكرَّره أعاده مرة بعد أخرى، ويقال كَرَّرْتُ عليه الحديث وكرَّرتُه إذا رددته عليه وكرَّرتُه عن كذا كرَّرة إذا رددته والكرُّ الرجوع على الشيء ومنه التَّكرارُ)) (١) .

وفي الاصطلاح هو : ((أن يُكرر المُتكلِّم اللفظة الواحدة باللفظ والمعنى ، والمُرَاد بذلك تأكيد الوصف أو المدح أو الذم و التهويل أو الوعيد أو الإنكار أو التوبيخ أو الاستبعاد أو لغرض من الأغراض)) (٢) .

والخطيب - عادة - يلجأ إلى التكرار ، بوصفه أحد الوسائل الموسيقية فضلاً على أن الخطيب ، وهو يأتي بالتكرار لأغراض عديدة ومتنوعة منها : التوبيخ والتقريع والتحذير أو لزيادة التأكيد لأن ((جدوى التأكيد أنك إذا كررت فقد قررت المؤكد ، وما علق به في نفس السامع ومكنته في قلبه وأمطت شبهة ربما خالجتة أو توهمت غفلة أو ذهاباً عما أنت بصددته فأزلتة)) (٣) ، وبعض الحالات يأتي الخطيب بالتكرار ليعبر عن عمل شنيع ومفجع صدرَ عن المُتلقِي ، كما هو الحال في خطب السيدات الذي سنلاحظه من خلال ما نُورده من شواهد ، ومن أمثلة التكرار في الخطب أيضاً ما ورد في الألفاظ من دون المعاني، وهذا ما أضفى عليها بعض الانسجام والتناغم بين الأصوات ، لذا يُعدّ التكرار ((ظاهرة فنية تعني الآداب الحديثة به بشكل خاص ، انطلاقاً من الحقيقة النفسية العامة التي تذهب إلى أن السلوك يعتمد - في أحد عناصره - على التكرار ، حيث أن الفن بدوره ينبغي أن يفيد من هذا الجانب ، فيستخدم عنصر التكرار في مواقف معينة لتثبيت الغرض الذي يستهدفه النص في نفس المُتلقِي)) (٤) .

وعلى الرغم من أن التكرار في نصوص الخطب أكثر ما ورد في الألفاظ ، إلا أنه كان له دورٌ كبيرٌ في ترسيخ المعنى وتقديره ، ومن أمثلته في خطبة السيدة الزهراء B أمام نساء المهاجرين والأنصار ((وَمَا الَّذِي تَقِمُوا مِنْ أَبِي الْحَسَنِ A ؟! تَقِمُوا وَاللَّهِ مِنْهُ نَكِيرٌ سَيَفِيهِ)) (٥) ، فقد كررت B باللفظ في الصياغة العامة لعباراتها فاتحدت تلك العبارات لفظاً ، وهذا التكرار غير

(١) لسان العرب : مادة (كر) ١٣٥/٥ .

(٢) خزائن الأدب : ٣٦١/١ .

(٣) المفصل : ١١١-١١٢ .

(٤) القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي : ١٢٠ .

(٥) بلاغات النساء : ٢٠ ، دلائل الإمامة : ٤٠-٤١ ، نثر الدر : ٨ .

متعاقب بل ورد منفصلاً عن بعضه على وفق بناء فني عمدت إليه الخطيبة ، ويلاحظ أن تكرار اللفظ (نقموا) في البداية للتأكيد وتقرير المعنى ، ضمن استفهام استنكاري ، وأما الثاني فقد كان جواباً لهذا الاستفهام .

وقد استخدمت السيدة زينب B هذا التكرار اللفظي المتعاقب حتى بدا ملحوظاً بصورة فنية ، تبعاً للسياق الذي ورد فيه هذا التكرار في قولها : «أَلَا سَاءَ مَا قَدَّمْتُمْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ ، وَسَاءَ مَا تَزِرُونَ لِيَوْمِ بَعْثِكُمْ ، فَتَعْسًا تَعْسًا ! وَنَكْسًا نَكْسًا» ^(١) ، فالتكرار في (سَاءَ وَتَعْسًا وَنَكْسًا) عمدت إليه الخطيبة لغرض التوبيخ في (سَاءَ) ، والدُّعاء عليهم بتكرار (فَتَعْسًا تَعْسًا وَنَكْسًا نَكْسًا) وهي بذلك أدت قيمة تعبيرية أضفت نغمات موسيقية على نص الخطبة ، وفي هذا التكرار نلاحظ اتحاد الدلالة في الألفاظ .

وورد تكرار حرفي في هذه النصوص بكثرة ، نذكر منه ما ورد في خطبة السيدة الزهراء B في نساء المهاجرين «لَيْتَ شِعْرِي إِلَى أَيِّ سِنَادٍ اسْتَدُّوا ؟! وَإِلَى أَيِّ عِمَادٍ اعْتَمَدُوا ؟! وَبِأَيِّ عُرْوَةٍ تَمَسَّكُوا ؟! وَعَلَى آيَةِ ذُرِّيَّةٍ أَقْدَمُوا وَاحْتَكُّوا ؟!» ^(٢) ، فهنا عمدت الخطيبة إلى تكرار (أَيِّ) لأن طبيعة الخطاب قد فرضت ذلك بشكل متعاقب ، مما أدى إلى اتحاد الدلالة إلى جانب اللفظ ، والخطيبة عمدت إلى هذا التكرار لغرض الاستنكار ، وتأکید المعنى ، ولذلك نجد أنه قد عم هذا النص من الخطبة ، وشكل رافداً صبت فيه دلالات الاستفهام الاستنكاري ، وبذلك تحقق أيضاً إيقاعٌ موسيقيٌّ في فواصل الخطبة ولاسيما في هذا المقطع .

وكان لتكرار لفظ الجلالة أثر دلالي في خطاب السيدة زينب B بالشام في قولها : «عُرِّوا منكم على الله ، وجحوداً لرسول الله 9 ، ودفعاً لما جاء به من عند الله» ^(٣) ، ففي هذا السياق كان للفظ الجلالة دلالات عدة ، فحقيقة التكرار إنما جاءت لتؤكد قضية مهمة وتركزها في أذهان السامعين ، ألا وهي كفر وجحود المخاطب ، لذا عمدت الخطيبة إلى التكرار لغرض ترسيخ هذا المعنى من جهة ، وإضفاء تناغم موسيقيٍّ من جهة أخرى ، وعلى الرغم من أن هذا التكرار جاء في جزء خاص من النص ، لكنه شكل حلقةً للوصل الموسيقي بين مقاطع الخطبة المتكررة ، لذلك ظل حافلاً من خلال أهميته في التعبير البلاغي .

^(١) الاحتجاج : ١١١/٢ .

^(٢) دلائل الإمامة : ٤٠ ، الاحتجاج : ٢٩٠/١ .

^(٣) م ن : ١٢٥/٢ .

وقد ورد التكرار باللفظ في سياق بعض الخطب ، لغرض التعجب كما في خطبة السيدة الزهراء B : « وما عشت أراك الدهر عجباً ، وإن تعجب فعجبٌ لحادث إلى أي ملجأ لجئوا واستندوا »^(١) ، فنلاحظ أنها عمدت إلى تكرار لفظة (العجب) لتوجه المُتلقّي إلى أن يتعجب ، وغايتها من ذلك تقرير الحقائق وتثبيتها وكان للتكرار أثر في تحقيق التناغم بين أصوات هذا المقطع ، وهذا التكرار إنما كشف عن مقدرة الخطيبة ومهارتها التي جعلت من هذه الفقرة وحدة عضوية بين اللفظ المُتكرّر ومقاطع الخطبة الأخرى .

وعلى الشاكلة نفسها حذت السيدة زينب B في خطابها الموجه إلى يزيد بقولها : « فَاَلْعَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ لِقَتْلِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَأَسْبَاطِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَسَلِيلِ الْأَوْصِيَاءِ »^(٢) ، فقد كررت اللفظة لتؤكد فداحة ما ارتكبه يزيد وأتباعه ، وكان لهذا التكرار ارتباط بفقرات الخطبة ، بعض النظر عن الألفاظ المعبرة عنها ، وهذا الأسلوب من دواعي الرقي في النص الأدبي .

واستعملت السيدة زينب B التكرار اللفظي بخصوص (اسم الفعل) بقولها : « فَمَهْلًا مَهْلًا »^(٣) ، وهي إنما كرّرت لغاية دلالية ، فقد أرادت أن تقطع عليه سروره المتأتي من توهمه بالانتصار ، واسترسلت بهذا التكرار لتكشف عن حقيقة الطرف المنتصر ألا وهو الإمام الحسين وأصحابه Δ ، وتكرار اللفظ فضلاً عن وظيفته الخاصة بالتطريب ، فإنه أضاف موازنة معنوية ، ونمطاً جديداً من الدلالة الإيحائية في نفس المُتلقّي وشعوره .

وفي معرض تحديثها ليزيد عمدت إلى التكرار الموضوعي في قولها : « فَكَيْدٌ كَيْدُكَ وَاسِعٌ سَعِيكَ »^(٤) ، وكأنّ هذا التكرار ينزع بإيقاعه إلى التشكيل المزدوج بين الفاصلتين ، وهذا ما يتضح من خلال تشكيل الألفاظ ضمن أنظمة متوافقة مع سياق الكلام ، الذي به تتحقق بُنية النص ودلالاته الموسيقية ، وهذا التكرار الذي عمدت إليه الخطيبة هنا أدى أكثر من وظيفة ، وعليه ينطبق القول إنّ « لهذا النوع من التكرار وظيفتان ، وظيفة نغمية كالتي يقوم بها النوع المتقدم وأخرى بيانية تؤدي إلى تركيز ذهن المتلقي على معنى معين ، ولهذا فإنّ ما يتكرّر ليس مجموعة صوتية خالية من الدلالة بل يكون لفظاً أو تركيباً ذا معنى »^(٥) ، وهو هنا أدى وظيفة أراقتها الخطيبة وهي توكيد وترسيخ فعلته الشنيعة بقتل الإمام الحسين A وسبي

(١) نشر الدر : ٩ .

(٢) الاحتجاج : ١٢٩/١ .

(٣) م ن : ١٢٤/٢ .

(٤) بلاغات النساء : ٢٣ ، نشر الدر : ١٩ .

(٥) شعر المرأة في القرن الأول الهجري أغراضه وميزاته الفنية : ٢٠٨ .

النساء من آل الرسول 9 في نفوس المستمعين ، وكانت دلالة اللفظتين (كِدْ وَاسْعْ) عميقة كشفت عن لثامها الخطيبة حينما فضحت يزيد وذكّرت به جرائمه السابقة ، وما يُضمّرهُ من تخطيط إجرامي يستهدف به الحق وأهله نتيجة ما توارثه من حقد مدفون للإسلام وبيت النبوة ، وجديرٌ بالذكر أنّ الخطيبة هنا تجاوزت في تكرارها للمقطع بأكمله ، إذ لم يقتصر على العبارة أو اللفظة فحسب .

ونلاحظ التّكرار واضحاً في بعض الخطب من خلال الصياغة الموسيقية الناتجة عنه ، كما في خطبة السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين X إذ صاغت الألفاظ بتكرار أكثر من لفظ في أكثر من موضع في خطبتها وللاختصار نذكر قولها : « اجزاء منكم على الله ومكرراً مكرماً والله خير الماكرين »^(١) ، ومما يلاحظ على هذا التّكرار اللفظي في موضع سياقه أنّه لم يقتصر على قيمته الموسيقية فحسب ، بل له دلالة عمدت الخطيبة إلى بيانها من خلاله ، فتكرار (مكرراً مكرتم) إنّما للتوكيد ، فالخطيبة أرادت أن تُقر وتؤكد بأنّ هذه جريمتهم عظيمة لا تُغفر ، فالتأريخ لم يأت بأبشع منها ، ثم عادت وأكدت بأنّ (الله خير الماكرين) وهي بهذا رسخت المعنى الذي نشدته في أذهان وشعور المُتلقيين ، وقد اتحدت العبارات المتكررة هنا على وفق سياق منظم ، تبعاً لحال وطبيعة المُخاطبين ، وبذلك حققت B الاستعمال الصحيح بصياغة فنية ملحوظة ، وهي تنتقي عنصر التّكرار في نصوصها ، وهذا ديدنها في نص خطبتها ، وما ذكرنا شاهدٌ على البقية .

خامساً : المحسنات المعنوية

ما ذكرناه من عناصر موسيقية أسهمت في تشكيل البنية الإيقاعية داخل نصوص الخطب تُعدّ من المحسنات اللفظية التي تتعلق بالمُفردات وتُضفي على الشّكل زخرفة جميلة ، وتُشكّل في الوقت ذاته موسيقى ملفوظة ، وإلى جنب تلك العناصر توجد أنماط موسيقية وهي محسنات معنوية تنشأ من اهتمام المبدع بالمعنى ، وتتركز هذه المحسنات في فني (الطباق والمقابلة) وهما من فنون علم البديع الذي ((يُعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة))^(٢) ، وحقبة أنّ الطباق والمقابلة من الفنون البلاغية التي تركز وظيفتها على تزيين النصّ الأدبي .

(١) اللهوف في قتلى الطفوف : ٩٧ ، الاحتجاج : ١٠٦ / ٢ .

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة : ٣٣٤ .

١- الطباق :

الطباق لغة : ((تطابق الشينان تساويًا والمطابقة الموافقة والتطابق الاتفاق وطابقت بين الشينين إذا جعلتهما على حدّ واحد وألزقتهما وهذا الشيء وفقّ هذا ووفاه وطبافه وطابفة وطبفه وطبيفه ومطبفه وقالبه وقالبه بمعنى واحد)) (١) .

وهو من المحسنات المعنوية التي تُشكّل موسيقى يترنّم لها السّامع في مضمون الخطاب ، وحده صاحب الصناعتين بقوله : ((المطابقة في الكلام هي الجمع بين الشيء وضده في جزء من أجزاء الرّسالة أو الخطبة أو بيت من بيوت القصيدة ؛ مثل الجمع بين السواد والبياض ، والليل والنهار ، والحر والبرد)) (٢) ، وإلى هذا المعنى ذهب كثيرٌ من البلاغيين ، وفي كتاب العُمدة نجد تعريفًا يطابق ما ذهب إليه العسكري (ت ٣٩٥هـ) وأغلب البلاغيين ، بقوله : ((المطابقة في الكلام : أن يأتلف في معناه ما يُضادّ في فحواه)) (٣) ، واستطرد ابن رشيق (ت ٥٠٠هـ) في كلامه عنها قائلاً : ((المطابقة عند جميع الناس : جمْعُك بين الضدّين في الكلام أو بيت شعر ، إلا قدامة ومن اتبعه ، فإنهم يجعلون اجتماع المعنيين في لفظة واحدة مكررة طباقاً ، ... وسمّى قدامة هذا النوع - الذي هو المطابقة عندنا - التكافؤ ، وليس بطباق عنده إلا ما قدّمتُ ذكره ، ولم يُسمّه التكافؤ أحد غيره وغير النحاس)) (٤) ، ولكي نستدلّ على صحة ما ذهب إليه البلاغيون من غير قدامة نورد تعريفها في اللغة .

ولو أمعنا النظر في نصوص خطب السيدات للاحظنا أنّ الطباق من الفنون التي كثرَ استخدامها ، فلا تُطالعنا خطبة إلا وقد ومض فيها هذا الفن ، ومن أمثلته في خطب السيدة الزهراء B قولها عند مخاطبتها لنساء المهاجرين والأنصار ((غَيْرَ رِيٍّ النَّاهِل ، وَشِبَعَةِ الْكَافِل ، وَلَبَانَ لَهُمُ الزَّاهِدُ مِنَ الرَّاغِب ، وَالصَادِقُ مِنَ الْكَاذِب)) (٥) ، ففي صيغ اسم الفاعل (الزاهد والراغب ، الصادق والكاذب) نلاحظ حلية المقابلة واضحة من خلال ما أحدثته من إيقاع صوتيٍّ دلالي مصوّر للآلفاظ المُعبّرة عن المعنى ، حتّى أنّها لا تكاد تُغادر هذه الخطبة في أكثر من مقطع . وكذا في خطبتها لرجال المهاجرين والأنصار في مسجد أبيها G ؛ إذ تُقابل المعنيين وتُخالفهما ممّا زاد في حُسن الخطبة وطرافتها ، ومن ذلك قولها B : ((أَنْتُمْ عِبَادُ اللَّهِ نُصَبُ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ ... وَأَطِيعُوا اللَّهَ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ وَ[ما] نَهَاكُمْ عَنْهُ ... آتِي فَاطِمَةُ وَأَبِي مُحَمَّدٍ G ، أَقُولُ عَوْدًا وَبَدَوًا ...

(١) لسان العرب : مادة (طبق) ٢٠٩/١٠ .

(٢) كتاب الصناعتين : ٣١٦ .

(٣) العدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : ٥/٢ .

(٤) م ن : ٥/٢ .

(٥) الاحتجاج : ٢٨٩/١ .

حَتَّى تَفَرَّى اللَّيْلَ عَنْ صَبْحِهِ)) (١) ، ففي قولها : (أمره ونهيه ، أمركم ونهاكم ، عوداً وبدء ، اللَّيْلَ وصباحه) نلاحظ فنَّ المُطابَقة يتجلى في أسلوب التَّضاد ، وهكذا تستمر B في خُطبتها مضمَّنة إياها فنَّ الطَّباق بشقَّيه السلب والإيجاب ، فمن أمثلة الأول : ((فأنقذكم به بعد اللَّتْيَا والتي ، وبعد ما مُنِيَ بِهِمُ الرِّجَالُ ، ... إِيَّهَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ ، أَأَبْتَزَ أَرْتُ أَبِي يَا ابْنَ أَبِي قَحَافَةَ ؟ أَفِي كِتَابِ اللَّهِ أَنْ تَرِثَ أَبَاكَ وَلَا أَرِثَ أَبِي ؟)) (٢) ، فالطَّباق يَكْمُنُ في (أبي وأباك ، اللَّتْيَا والتي) ، ومن أمثلة طَباق الإيجاب قولها B : ((فتلك والله النازلة الكبرى ، والمصيبة العظمى ، لا مثلها نازلة ولا...)) (٣) ، وهكذا جَعَلَتْ الخطيبة من فنَّ الطَّباق عُنصرَ بنائي وظفته توظيفاً فنيّاً بحيث أحدث نوعاً من التَّناسُق والتَّفَاعُل في الشَّكْلِ والطَّرِيقَةِ التي ورد بها ، ومن ذلك قولها : ((أَمْ أَنْتُمْ أَغْلَمُ بِخُصُوصِ الْقُرْآنِ وَعُمُومِهِ مِنْ أَبِي وَابْنِ عَمِّي ؟)) (٤) ، ففي (عُومٍ وَخُصُوصٍ) يتجلى جَمالُ الطَّباق المؤثر في خطابها B ، وهذا يَدُلُّ على الثَّرَاء اللُّغوي الكبير الذي تتمتع به الخطيبة B .

وفي خُطْب السيدة زينب B نلمس القيمة الفنيّة لأسلوب الطَّباق ، والذي من خلاله تتضح قدرتها على إيصال الشعور عن طريق الألفاظ الفصيحة المُتَّسِمَة بالإبانة السريعة التي تتألف من تراكيب الخُطبة ، ويُمكن ملاحظة ذلك في خُطبتها في مجلس يزيد في قولها : ((حيث أخذ علينا بأطراف الأرض وأكناف السماء ، ... أَمِنَ الْعَدْلُ يَا ابْنَ الْطَّلَاقِ تَخْدِيرَكَ نَسَاؤُكَ وَإِمَاؤُكَ وَسَوْفَكَ بَنَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ... يَتَشَوَّفُهُنَّ الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ ... يَا عَدُوَّ اللَّهِ وَابْنَ عَدُوِّهِ أَسْتَصْغِرُ قُدْرَكَ وَأَسْتَغْظَمُ تَقْرِيعَكَ غَيْرَ أَنْ الْعَيُونَ)) (٥) ، فهنا في هذه المقاطع جمعت الخطيبة بين (الأرض والسماء ، تخديرك وسوقك ، القريب والبعيد ، أَسْتَصْغِرُ وَأَسْتَغْظَمُ) وهي معانٍ مُتضادّة ، وكان طباقها في أجمل تعبير وأرقى حُلّة ، من حيث أنّ هذه الألفاظ المُتضادّة حينما صدرت من الخطيبة B أحدثت حركة ذهنية تَصَوَّرَ الْمُتَلَقِّي من خلالها المعنى .

(١) بلاغات النساء : ١٦ - ١٨ ، دلّال الإمامة : ٣٢-٣٣ .

(٢) نشر الدر : ٦ .

(٣) الاحتجاج : ٢٧٠/١ .

(٤) م ن : ٢٦٨/١ .

(٥) بلاغات النساء : ٢١ - ٢٢ .

ومن الطباق ما ورد في خطبة السيدة أم كلثوم بنت أمير المؤمنين X في قولها : ((مَا لَكُمْ خَذَلْتُمْ حُسَيْنًا وَقَتَلْتُمُوهُ ، وَأَنْتَهِبْتُمْ أَمْوَالَهُ وَوَرِثْتُمُوهُ ، وَسَبَّيْتُمْ نِسَاءَهُ وَكَبَتُمُوهُ)) (١) ، فهنا حلية الطباق واضحة من خلال عناية الخطيبة بالمعاني المرتبطة بالواقع الذي تعيشه آنذاك من قتل أخيها الإمام الحسين A ونهب نساء أهل بيته Δ .

٢- المُقابِلة :

المُقابِلة لغة : ((قابِلَةٌ : واجِهَةٌ و المُقابِلة من المُدَابِرَةِ أو ما يَعْرِفُ من يُقْبَلُ عليه مَمَّنْ يُذَبِّرُ عنه)) (٢) .

وفي الاصطلاح ذكرها صاحب كتاب الصناعتين قائلاً : ((المُقابِلة : إيرادُ الكلام ، ثم مقابِلته بمثله في المعنى أو اللفظ على جهة الموافقة أو المُخالفة)) (٣) ، وفي العُمدة هي : ((مواجهة اللفظ بما يستحقّه في الحكم ، بين التقسيم والطباق ، وهي تتصرف في أنواع كثيرة، وأصلها ترتيب الكلام على ما يجب ، فيُعطي أوّل الكلام ما يليق به أولاً ، وآخره ما يليق به آخراً، ويأتي في الموافق ما يُوافقه ، وفي المخالف ما يُخالفه)) (٤) .

وعُموم القول أنّ المُقابِلة من المحسنات المعنوية التي شكّلت في خطب سيدات البيت العلوي حُلّة بلاغية جميلة ، مؤثرة في السامع ، لدقّة معناها وسلامة لفظها ، وشواهدا في نصوص الخطب كثيرة نذكر منها ما ورد في خطب السيدة الزهراء B قولها : ((ثُمَّ جَعَلَ الثَّوَابَ عَلَى طَاعَتِهِ ، وَوَضَعَ الْعِقَابَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ ، ذِيَادَةً لِعِبَادِهِ عَنْ نَقْمَتِهِ ، وَحَيَاشَةً لَهُمْ إِلَى جَنَّتِهِ)) (٥) ، فالمُقابِلة في : (الثواب والعقاب ، طاعته ومعصيته ، نقمته وجنته) قد أحدثت تناغماً صوتياً في نص الخطبة ، ومن الملاحظ هنا أنّ الخطيبة B تطرح الجانب العقائدي بترتيب الثواب على الطاعة ، والعقاب على المعصية ، وبيان الجَنّة والنقمة (النار) .

ونلمس في خطبة السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين X تتوالى مقابلاتها حينما تحمد الله وترضى بقدره وتُسَلِّمُ الأمر إليه ، وهي تقول : ((الْحَمْدُ لِلَّهِ عَدَدَ الرَّمْلِ وَالْحَصَى ، وَزِنَةُ الْعَرْشِ إِلَى الشَّرَى ... حَتَّى قَبَضَتْهُ إِلَيْكَ ... زَاهِداً فِي الدُّنْيَا غَيْرَ حَرِيصٍ عَلَيْهَا ، رَاغِباً فِي الْآخِرَةِ مُجَاهِداً لَكَ فِي سَبِيلِكَ ،

(١) اللهوف في قتلى الطفوف : ٩٩ .

(٢) القاموس المحيط : ١٣٥١ / ١ .

(٣) كتاب الصناعتين : ٣٤٦ .

(٤) العُمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : ١٥/٢ .

(٥) بلاغات النساء : ١٥ ، دلائل الإمامة : ٣٢ .

رَضِيَّتُهُ فَاحْتَرَّتْهُ ، وَهَدَيْتُهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)) (١) ، فالمُقابِلَة هنا قائمة على المعاني المتوافقة في العبارات .

بينما نجد في خُطبة السيِّدة زينب B المُقابِلَة بين المعاني المُتضادَّة والمُتوافقة في خُطبِتها التَّاريخية أمام يزيد ((تضرب أصدريك فرحاً وتنفض مذكرويك مرحاً ، حين رأيت الدنيا لك مستوسقة والأمور لديك متسقة ... ليس معهنَّ من رجاهنَّ ولي ، ولا من حماقنَّ حي ... لقد نكأت القرحة واستأصلت الشَّافة ... الحمد لله الذي حكم لأوليائه بالسَّعادة ، وختم لأصفيائه ببلوغ الإرادة)) (٢) ، فكانت هذه المُقابلات في نُصوصها المُنتزعة من خطابها هذا بحق قد زادت الكلام رُقياً وسمواً ، بما أضافته من حُلة وطرافة في العبارات .

(١) اللُّهوف في قتلى الطفوف : ٩٦ ، الإحتجاج : ١٠٤ - ١٠٦ .
(٢) الإحتجاج : ١٢٤ / ٢ - ١٣٠ .

الخاتمة ونتائج البحث

ما إن كُدتُ أنهي كتابة شيء من البحث حتى تجلّت لي ثماره واضحة ، وإذا بها منطلقات ريادة ، سمت في غير قليل ، فجمعتها كنتائج لهذه الدراسة ، وهي :

- للمرأة العربية أثر كبير في إغناء الأدب العربي بفنّ الخطابة ، إذ استطاعت أن تحقق نجاحاً كبيراً في هذا الفنّ ، حتّى جاءت خطبها في غاية الدقة من حيث العمق الدلالي والبلاغي، ولذلك فإنّ كثيراً من نصوصها تستحقّ التوقف عندها والتأمّل في دراستها .

- بعد مجيء الإسلام انتقلت المرأة إلى مرحلة جديدة في حياتها تميّزت عن سابقتها ، إذ إنّها خرجت إلى ميدان الخطابة من دون أن يعيقها حجابها أو يُقيّد إسلامها ، بل كان ذلك دافعاً لخروجها بقوة وحرية أكبر منحها إيّاها الدين الحنيف ، حتّى سجّلت في خطبها مواقف لها أثرها ، لاسيّما أنّ مجريات الحياة تغيّرت ، والأحداث تحولّت .

- تعدّد خطب النساء في عصر صدر الإسلام امتداداً لخطب النساء في الجاهلية - وإن تميّزت عنها - من حيث النّضج ، إذ إنّها جاءت بحلة جديدة من التّضمين للمعاني الإسلامية ، والحدو نحو أسلوب القرآن الكريم ، واتباعها منهج اللّجوء إلى الحجج ، وإيراد البراهين لإقناع الخصم ، والخوض في المنطق ، وكان لذلك أثر في تهيئة أرض خصبة لنمو فن الخطابة عند المرأة وازدهاره .

- لبلاغة نساء أهل البيت Δ أثر كبير في إثراء الأدب العربي بالخطب .

- التّميّز الواضح لخطب سيّدات البيت العلوي .

- ازدهار فنّ الخطابة في ذلك القرن وظهور خطيبات مُتميّزات وكان ذلك لمجريات

الأحداث ، وتقلب الأحوال ولا سيما بعد وفاة الرسول 9 ومقتل الإمام الحسين A أثر واضح في ظهور نتائج كبير لسيّدات البيت العلوي في مجال فن الخطابة .

- تعدّد خطب سيّدات البيت العلوي مدرسة لفنّ الخطابة، إذ يُمكن لأيّ خطيب - وعلى مرّ

الزّمن - أن يستقي منها منهجاً لأصول الخطابة ، لما اتّصفت به من تمثّل للنمطية الجديدة التي جاءت في خطب الرسول 9 فضلاً عن استحكام الجراة الأدبية التي أبرزت قدرتهنّ فعبرن عن المواقف الصعبة التي واجهت أمة الإسلام آنذاك .

- من خلال دراستنا لمضامين الخطب ظهر أنّ الخطيبات قد سعين إلى حشد مضامين

متنوّعة داخل نصوص خطبهنّ ، كان جُلّها الدينيّة والسياسيّة والاجتماعيّة ، ولحظنا أنّ الدينيّة

منها قد تمحورت في مجالين ؛ هما التشريعي والعقدي ، وقد أسند كل منهما بالدعم القرآني والحديث الشريف ، منطلقات في ذلك من أصول دينية بحتة ، لأجل ترسيخ المبادئ والقيم الدينية ، وبالنسبة للسياسية فقد تجلت فيها منطقية الخطيبات الهادفة إلى الإصلاح والإرشاد ، متخذات شدة في السياسي في أثناء خطابتهن من واقع آثار الفوضى التي كانت سائدة آنذاك ، وكانت تلك المضامين بمثابة مرآة تعكس ما في أنفس الخطيبات من رسم ومنهج وخطة للأمور السياسية المرتبطة بالرسالة ، وإلى جانب المضامين الدينية والسياسية استطاعت خطب السيدات أن تغطي وفرة من الموضوعات الاجتماعية وفق مقاييس لم تأخذ منحى إحصائياً بقدر ما أخذت شمولاً واتساعاً لإشباع الحاجة وتطلب الموقف ، وما يلاحظ في المضامين على اختلافها وتنوعها أنها قد وشحت بمؤثر ديني ، وهذا لا يعني أن جميعها ديني ، ذلك أن المؤثر غير الموضوع .

- لقد كشفت دراستنا لألفاظ الخطب عن عمقها الدلالي ، وهي تجنح إلى طابع السهولة ، ومع هذا الجنوح للسهولة والوضوح والبعد عن الحوشي والغريب نجدها قد غيرت معيارية نمط القوة في الألفاظ بخلتها الجديدة ، من حيث وضوحها ودقتها وصياغة نظمها ، وذلك للسمّة التي غلبت على ألفاظها ، حتى تفاضلت فيها مراتب البلاغة وهي توائمها على وفق أنظمة وأنساق تتوافق وفكرة كل خطيبة .

- في نصوص الخطب نلاحظ جودة نظم التركيب من حيث القوة والثماسك ووحدة البناء ودقة المعنى ، وهذا ينم عن متانة أسلوب المرأة في ذلك العصر ، نتيجة قوة بلاغتها في المنطق ، وبراعتها في الإفاضة ، والتميز بمنهجية اختيار المفردات وبناء الجمل وتسلسل التراكيب في وحدة عضوية وفنية .

- غلبة أسلوب الإنشاء على خطب السيدات أكثر من الخبر ولاسيما الطلبي ، مما أدى إلى أن يشكل الإنشاء ظاهرة أسلوبية واضحة فيها ، واعتقد أن ذلك يعود إلى أسباب بلاغية ، ذلك أن أسلوب الإنشاء الطلبي يمتاز بلطائف بلاغية على عكس الإنشاء غير الطلبي ، فإن أكثر صيغته في الأصل أخبار نقلت إلى الإنشاء ، كذلك أن الخطيبات قد اعتمدن هذا الأسلوب لظروف موضوعية ، إذ إن هناك مواقف تطلبت استعمال هذا الأسلوب الذي لا يحتمل صدقاً أو كذباً لذاته ، ولكونه أوقع في المتلقي ، وأشدّ تأثيراً في النفس ، وبذلك شكل وجود الخبر ظاهرة أقل من الإنشاء ، وفي تواجده نلاحظ أنه خرج لمقاصد وأغراض تُعرف بالقرائن من سياق الكلام .

- من الملاحظ أن الخطيبات (عليهن السلام) قد اعتمدن منهج الرسول ﷺ في افتتاح الخطب بالصلاة والحمد والثناء على الله ، وكذا في اختتام خطبهن إما بنص قرآني ، أو بدعاء ، وقلماً كان الاختتام بالشعر في خطبهن .

- وفرة الصور البيانية من استعارة وكناية ، وذلك لما تخلقه هاتان الصورتان من تفاعل وانسجام بين المُتلقّي وما يسمعه من خطاب .

- لقد رسمت الخطيبات من خلال عناصر الإيقاع صورة مؤثرة في نفس المخاطب وشعوره ، لذلك عُدّ الإيقاع من العناصر التي جاءت بها الخطيبات على وفق سياقات منظمة ومتألّقة في إيقاعها وتناغمها مما أثر على السامع .

الملحق

تحقيق نصوص خطب سيدات البيت العلوي
"عليهن السلام"
حتى نهاية القرن الأول الهجري

خُطْبَةُ السَّيِّدَةِ فَاطِمَةَ B لَمَّا مَنَعَهَا أَبُو بَكْرٍ فِدْكَاً (١)

رُوي أَنَّهُ لَمَّا أَجْمَعَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى مَنَعِ السَّيِّدَةِ فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِدْكَاً ، وَبَلَغَ ذَلِكَ فَاطِمَةُ B لَانَتْ (٢) خِمَارَهَا عَلَى رَأْسِهَا ، وَاشْتَمَلَتْ بِجِلْبَابِهَا ، وَأَقْبَلَتْ فِي لَمَّةٍ (٣) مِنْ حَفْدَتِهَا (٤) وَنَسَاءَ قَوْمِهَا تَطَأَ ذِيولَهَا (٥) ، مَا تَخَرَّمَ (٦) مَشِيَّتَهَا مَشْيَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، حَتَّى دَخَلَتْ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَهُوَ فِي حَشْدٍ (٧) مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَغَيْرِهِمْ ، فَنِيطِطَتْ (٨) دُونَهَا مَلَاعَةً (٩) ، فَجَلَسَتْ ، ثُمَّ أَنْتَ أَتَى أَجْهَشَ (١٠) الْقَوْمِ لَهَا بِالْبُكَاءِ ، فَارْتَجَّ (١١) الْمَجْلِسُ ، ثُمَّ أَمَهَلَتْ هَنِيئَةً حَتَّى إِذَا سَكَنَ نَشِيْجَ (١٢) الْقَوْمِ ، وَهَدَأَتْ (١٣) فَوْرَتَهُمْ (١٤) ، افْتَتَحَتْ الْكَلَامَ بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى وَالتَّنَاءِ عَلَيْهِ وَالصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَعَادَ الْقَوْمُ فِي بُكَائِهِمْ ، فَلَمَّا أَمْسَكُوا عَادَتْ فِي كَلَامِهَا ، فَقَالَتْ B :

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا أَنْعَمَ (١٥) ، وَلَهُ الشُّكْرُ عَلَى مَا أَلْهَمَ ، وَالتَّنَاءُ بِمَا قَدَّمَ ، مِنْ عُمُومٍ نَعِمَ ابْتَدَأَهَا (١٦) ، وَسُبُوغِ آلاءِ أَسْدَاها (١٧) ، وَتَمَامِ مَنَنِ أَوْلَاهَا (١٨) ، جَمَّ (١٩) عَنِ الْإِحْصَاءِ عَدْدُهَا ، وَكَأَى عَنِ الْجَزَاءِ

- (١) بلاغات النساء : ١٢ - ١٨ ؛ السقيفة وفدك : ٩٧ - ١٠١ ؛ نشر الدر : ٤ / ٥ - ٨ ؛ كتاب الشافي في الإمامة : ٣ / ١٤٠ ، دلائل الإمامة : ٣٠ - ٣٩ ؛ معاني الأخبار : ٢ / ٢٩٥ - ٢٩٦ ؛ أمالي الطوسي - المجلس الثالث عشر - ٣٨٤ ؛ مقتل الإمام الحسين A : ٢٧ - ٣٦ ، منال الطالب في شرح طوال الغرائب : ٥٠٨ - ٥٢٧ ؛ شرح نهج البلاغة : ١٦ / ٢١١ ، الاحتجاج : ١ / ٢٥٣ - ٢٧٨ ؛ كشف الغمة : ١ / ١٠٨ - ١١٦ ؛ جواهر المطالب : ١ / ١٥٥ - ١٦٩ ؛ ومصادر أخرى كثيرة ذكرتها من قبل الفريقين .
- (٢) اللوث الطي ، لاث العمامة على رأسه يلوئها لوئاً أي عصبها ، لسان العرب : مادة (لوث) ٢ / ١٨٥ .
- (٣) اللَّمَّ الجمع الكثير ، لسان العرب : مادة (لمم) ١٢ / ٥٤٧ .
- (٤) الحفد والحفدة الأعوان والخدمة ، لسان العرب : مادة (حفد) ٣ / ١٥٣ .
- (٥) أي كانت أثوابها طويلة تستر قدميها وتضع عليها قدمها عند المشي ، وجمع الذيل باعتبار الأجزاء أو تعدد الثياب .
- (٦) ما خَرَمْتُ منه شيئاً أي ما نقصت وما قطعت والتَّخَرَّمَ والانخرام التشقق ، لسان العرب : مادة (خرم) ١٢ / ١٧٠ .
- (٧) حَشَدَ الْقَوْمَ يَحْشِدُهُمْ وَيَحْشِدُهُمْ جَمْعُهُمْ ، لسان العرب : مادة (حشد) ٣ / ١٥٠ .
- (٨) ناط الشيء يَنُوطُهُ نُوْطاً عَلَقَهُ وَالنُّوْطُ مَا عُلِقَ ، لسان العرب : مادة (نوط) ٧ / ٤١٨ .
- (٩) المَلَاعَةُ بالضم والمد الرِيْطَةُ وهي المُلْحَقَةُ والإزار ، لسان العرب : مادة (ملأ) ١ / ١٥٨ .
- (١٠) جَهَشَ لِلْبُكَاءِ يَجْهَشُ جَهْشاً وَاجْهَشَ كِلَاهُمَا اسْتَعَدَّ لَهُ وَاسْتَعْيَرَ ، لسان العرب : مادة (جهش) ٦ / ٢٧٦ .
- (١١) الرِّجْرَجَةُ الاضطراب وارتج البحر وغيره اضطرب ، لسان العرب : مادة (رجج) ٢ / ٢٨١ .
- (١٢) النَشِيْجُ الصَّوْتُ والنَّشِيْجُ أَشَدُّ الْبُكَاءِ ، والبُكَاءُ لِلصَّبِيِّ إِذَا رَدَّدَ صَوْتَهُ فِي صَدْرِهِ وَلَمْ يُخْرِجْهُ ، لسان العرب : مادة (نشج) ٢ / ٣٧٧ .
- (١٣) هَذَا يَهْدَأُ هَدْءاً وَهْدُوءاً سَكَنَ يَكُونُ فِي سَكُونِ الْحَرَكَةِ وَالصَّوْتِ ، لسان العرب : مادة (هدأ) ١ / ١٨٠ .
- (١٤) فَارَ الشَّيْءَ فَوْراً وَفَوْرَاناً جَاشَ وَفَارَتْ الْقَدْرُ تَقُورُ فَوْراً وَفَوْرَاناً إِذَا غَلَتْ وَجَاشَتْ ، لسان العرب : مادة (فور) ٥ / ٦٧ .
- (١٥) في دلائل الإمامة : أبتدئ بالحمد لمن هو أولى بالحمد والمجد والطول ، الحمد لله على ما ...
- (١٦) أي يَنعَمُ أعطاه العباد قبل أن يستحقوها .
- (١٧) شيء سابق أي كامل ، وأسبغ الله عليه النعمة أكملها وأتمها ، لسان العرب : مادة (سبغ) ٨ / ٤٣٢ ، الآلاء النعم ، لسان العرب : مادة (الآ) ١٤ / ٤٠ ، وأسدى وأولى وأعطى بمعنى واحد .
- (١٨) في بلاغات النساء ودلائل الإمامة : وإحسان مثن والالها ، وولاه أي تابعها بإعطاء نعمة بعد أخرى بلا فصل .
- (١٩) الْجَمُّ وَالْجَمُّ الكثير من كل شيء ، لسان العرب : مادة (جمم) ١٢ / ١٠٤ .

أَمَدَهَا^(١) وَتَفَاوَتْ عَنِ الإدْرَاكِ أَبْذُهَا^(٢) ، وَنَدَبَهُمْ^(٣) لَاسْتِزَادَتِهَا بِالشُّكْرِ لَاتِّصَالِهَا^(٤) ، وَاسْتَحَمَدَ إِلَى الْخَلَائِقِ يَاجْزَالِهَا^(٥) ، وَتَنَّى بِالنَّدْبِ إِلَى أَمْثَالِهَا^(٦) ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، كَلِمَةً جَعَلَ الْإِخْلَاصَ تَأْوِيلَهَا ، وَضَمَّنَ الْقُلُوبَ مَوْصُولَهَا ، وَأَنَارَ فِي التَّفَكُّرِ مَعْقُولَهَا^(٧) ، الْمُنْتَمِعَ مِنَ الْأَبْصَارِ رُؤْيَاهُ^(٨) ، وَمِنَ الْأَلْسُنِ صِفَتَهُ ، وَمِنَ الْأَوْهَامِ كَيْفِيَّتَهُ^(٩) ، ابْتَدَعَ الْأَشْيَاءَ لَا مِنْ شَيْءٍ كَانَ قَبْلَهَا^(١٠) ، وَأَنْشَأَهَا بِلاَ احْتِدَاءٍ أَمْثَلَهُ امْتَثَلَهَا^(١١) ، كَوَّنَهَا بِقُدْرَتِهِ ، وَذَرَأَهَا بِمَشِيَّتِهِ ، مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ مِنْهُ إِلَى تَكْوِينِهَا ، وَلَا فَائِدَةٍ لَهُ فِي تَصْوِيرِهَا ، إِلَّا تَشْبِيهًا لِحِكْمَتِهِ ، وَتَنْبِيهًا عَلَى طَاعَتِهِ ، وَإِظْهَارًا لِقُدْرَتِهِ ، وَتَعْبُدًا لِبَرِّيَّتِهِ^(١٢) ، وَإِعْزَازًا لِدَعْوَتِهِ ، ثُمَّ جَعَلَ الثَّوَابَ عَلَى طَاعَتِهِ ، وَوَضَعَ^(١٣) الْعِقَابَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ ، ذِيَادَةً^(١٤) لِعِبَادِهِ عَنْ نَقْمَتِهِ ، وَحَيَاشَةً^(١٥) لَهُمْ إِلَى جَنَّتِهِ .

وَأَشْهَدُ أَنَّ أَبِي مُحَمَّدًا [النبي الأمي]^(١٦) عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، اخْتَارَهُ وَانْتَجَبَهُ قَبْلَ أَنْ أَرْسَلَهُ ، وَسَمَّاهُ قَبْلَ أَنْ اجْتَبَاهُ ، وَاصْطَفَاهُ قَبْلَ أَنْ ابْتَعَثَهُ ، إِذِ الْخَلَائِقُ بِالْغَيْبِ مَكْنُونَةٌ^(١٧) ، وَبَسِطَ الْأَهَاوِيلَ مَصُونَةً^(١٨) ،

(١) في بلاغات النساء : ونأى عن المجازاة أمدها ، والنأى البعد ، نأى يئأى يَعد ، لسان العرب : مادة (نأى) ٣٠٠ / ١٥ ، والأمد الغاية ، لسان العرب : مادة (أمد) ٧٤ / ٣ ، والمعنى : بعد عن الجزاء بالشكر غايتها .
(٢) في بلاغات النساء : وتفاوتت عن الإدراك أمالها ، ومعنى التفاوت : البعد ، تفاوتت الشينان أي تباعد ما بينهما ، لسان العرب : مادة (فوت) ٦٩ / ٢ ، والأبذ الدهر ، لسان العرب : مادة (أبذ) ٦٨ / ٣ .
(٣) ندب القوم إلى الأمر يندبهم ندباً دعاهم وحثهم واندبوا إليه أسرعو ، لسان العرب : ١ مادة (ندب) ٧٥٣ / ١ .
(٤) في بلاغات النساء : واستثنى الشكر بفضائلها ؛ وفي دلائل الإمامة : استدعى الشكور بأفضالها .
(٥) أي طلب منهم الحمد بسبب إجزال النعم وإكمالها عليهم ، يقال : أجزلت له من العطاء أي أكثرت ، لسان العرب : مادة (جزل) ١٠٩ / ١١ .
(٦) في دلائل الإمامة : وأمر بالنذب إلى أمثالها .
(٧) في بلاغات النساء : وأنى في الفكرة معقولها ؛ وفي دلائل الإمامة : وأبان في الفكر معقولها .
(٨) المراد بالروية هنا : العلم الكامل والظهور التام .
(٩) في بلاغات النساء : ومن الأوهام الإحاطة به .
(١٠) في بلاغات النساء ودلائل الإمامة : قبله .
(١١) حدًا حدوه فعل فعله وهو منه التهذيب ، يقال فلان يحدّي على مثال فلان إذا اقتدى به ، لسان العرب : ١٤ مادة (حدى) ١٦٩ / ١ ، وامتنل طريقته تبعها فلم يعدّها ، لسان العرب : مادة (متل) ٦١٠ / ١١ ، وورد في بلاغات النساء : واحتذاها بلا مثال لغير فائدة زادته إلا إظهاراً لقدرته ، وفي دلائل الإمامة : وأنشأها بلا احتذاء مثله ، ووضعها لغير فائدة زادته ، إظهاراً لقدرته .
(١٢) أي خلق البرية ليتعبد لهم ، أو خلق الأشياء ليتعبد البرايا بمعرفته والاستدلال بها عليه .
(١٣) في بلاغات النساء : بحذفها .
(١٤) في بلاغات النساء ودلائل الإمامة : زيادة ، ومعنى الذود السوق والطرود والدفع ، لسان العرب : مادة (ذود) ١٦٧ / ٣ .
(١٥) في بلاغات النساء : وجياشاً لهم إلى جنّته ، ومعنى الحياشة : من حشنا الصيد حوشاً وحياشاً وأحشناه وأحوشناه أخذناه من حوالية لنصرفه إلى الحباله ، لسان العرب : مادة (حوش) ٢٩٠ / ٦ ، ولعل التعبير بذلك لنفور الناس بطباعهم عما يوجب دخول الجنة .
(١٦) انفرد بهذه العبارة صاحب الاحتجاج .
(١٧) في بلاغات النساء : وأشهد أن أبي محمداً عبده ورسوله اختاره قبل أن يجتبله ، واصطفاه قبل أن ابتعته ، وسماه قبل أن يستجبه ، إذ الخلق بالغيوب مكنونة ، وفي دلائل الإمامة : وأشهد أن أبي محمداً عبده ورسوله ، اختاره قبل أن يتبعته ، وسماه قبل أن يستخبه ، إذ الخلق في الغيب مكنونة .
(١٨) ذكر المجلسي في بحار الأنوار : أن المراد بالستر ستر العدم ، أو حجب الأصلاب والأرحام ، ونسبته إلى الأهاويل لما يلحق الأشياء في تلك الأحوال من موانع الوجود وعواقبه ، ويحتمل أن يكون المراد أنها كانت مصونة عن الأهاويل بستر العدم ، إذ هي إنما تلحقها بعد الوجود ، وقيل التعبير بالأهاويل من قبيل التعبير عن درجات العدم بالظلمات .

وَبِنَهَايَةِ الْعَدَمِ مَقْرُونَةٌ ، عَلِمًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِمَائِلِ الْأُمُورِ ^(١) ، وَإِحَاطَةً بِحَوَادِثِ الدُّهُورِ ، وَمَعْرِفَةً بِمَوَاقِعِ الْمَقْدُورِ ^(٢) .

ابْتَعَثَهُ اللَّهُ ^(٣) إِيْمَانًا لِأَمْرِهِ ، وَعَزِيْمَةً عَلَى إِمْضَاءِ حُكْمِهِ ، وَإِنْفَادًا لِمَقَادِيرِ حَتْمِهِ ، فَرَأَى الْأُمَمَ ^(٤) فِرْقًا فِي أَدْبَانِهَا ، عَكْفًا عَلَى نِيرَانِهَا ، عَابِدَةً لِأَوْثَانِهَا ، مُنْكَرَةً لِلَّهِ مَعَ عِرْفَانِهَا ، فَأَنَارَ اللَّهُ بِأَبِي مُحَمَّدٍ ^(٥) ظُلْمَهَا ^(٦) ، وَكَشَفَ عَنِ الْقُلُوبِ بُهْمَهَا ^(٧) ، وَجَلَّى عَنِ الْأَبْصَارِ غُمَمَهَا ^(٨) ، وَقَامَ فِي النَّاسِ بِالْهُدَايَةِ ، فَأَنْقَذَهُمْ مِنَ الْغَوَايَةِ ، وَبَصَّرَهُمْ مِنَ الْعَمَايَةِ ^(٩) ، وَهَدَاهُمْ إِلَى الدِّينِ الْقَوِيمِ ، وَدَعَاهُمْ إِلَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ .

ثُمَّ قَبِضَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ قَبْضَ رَافَةٍ وَاخْتِيَارٍ ^(١٠) ، وَرَغْبَةٍ وَإِثَارٍ ، فَمُحَمَّدٌ ^(١١) مِنْ تَعَبِ هَذِهِ الدَّارِ فِي رَاحَةٍ ، قَدْ خُفَّ بِالْمَلَائِكَةِ الْأَبْرَارِ ، وَرِضْوَانِ الرَّبِّ الْعَفَّارِ ، وَمُجَاوَرَةِ الْمَلِكِ الْجَبَّارِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَى أَبِي ، نَبِيِّهِ وَأَمِينِهِ عَلَى الْوَحْيِ ، وَصَفِيِّهِ [فِي الذِّكْرِ] ^(١٢) وَخَيْرَتِهِ مِنَ الْخَلْقِ وَرَضِيِّهِ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ^(١٣) .

ثُمَّ التَفَتَتْ B إِلَى أَهْلِ الْمَجْلِسِ وَقَالَتْ :

أَنْتُمْ عِبَادُ اللَّهِ نُسَبُّ ^(١٤) أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ ، وَحَمَلَةَ دِينِهِ وَوَحْيِهِ ، وَأُمَنَاءُ اللَّهِ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، وَبُلَغَائُهُ إِلَى الْأُمَمِ ، وَزَعَمْتُمْ ^(١٥) حَقَّ لَكُمْ ، اللَّهُ فِيكُمْ عَهْدٌ قَدْ مَدَّهُ إِلَيْكُمْ ، وَبَقِيَّةٌ اسْتَخْلَفَهَا عَلَيْكُمْ : كِتَابُ اللَّهِ النَّاطِقُ ، وَالْقُرْآنُ الصَّادِقُ ، وَالتَّوَرُّ السَّاطِعُ ، وَالضِّيَاءُ اللَّامِعُ ، بَيِّنَةٌ بَصَائِرُهُ ، مُنْكَشِفَةٌ سَرَائِرُهُ ، مُنْجِلِيَّةٌ ^(١٦) ظَوَاهِرُهُ ،

(١) مَائِلِ الْأُمُورِ : أَيِ عَوَاقِبِهَا .
 (٢) فِي دَلَالِ الْإِمَامَةِ : وَيَسُدُّ الْأَوْهَامَ مَصُونَةً ، وَبِنَهَايَةِ الْعَدَمِ مَقْرُونَةً ، عَلِمًا مِنَ اللَّهِ فِي غَامُضِ الْأُمُورِ ، وَإِحَاطَةً مِنْ وَرَاءِ حَادِثَةِ الدُّهُورِ ، وَمَعْرِفَةً بِمَوَاقِعِ الْمَقْدُورِ .
 (٣) فِي بَلَاغَاتِ النِّسَاءِ : بِإِضَافَةٍ : تَعَالَى عَزَّ وَجَلَّ .
 (٤) فِي بَلَاغَاتِ النِّسَاءِ : بِإِضَافَةٍ : صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ .
 (٥) فِي بَلَاغَاتِ النِّسَاءِ : فَأَنَارَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِمُحَمَّدٍ ^(٦) ظَلَمَهَا .
 (٦) الْبُيْهَمُ جَمْعُ بُهْمَةٍ بِالضَّمِّ وَهِيَ مُشْكَلَاتُ الْأُمُورِ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (بِهَم) ٥٦ / ١٢ .
 (٧) جَلَا الْأَمْرَ وَجَلَّاهُ وَجَلَّى عَنْهُ كَشَفَهُ وَأَظْهَرَهُ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (جَلَا) ١٤ / ١٤٩ ، وَالْغَمُّ مِنْ غَمَّةٍ الْأَمْرُ يُغَمُّ غَمًّا فَاغْتَمَّ وَانْغَمَّ ، وَأَمْرُهُ عَلَيْهِ غَمَّةٌ أَيْ لَبْسٌ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (غَمَم) ١٢ / ٤٤٩ .
 (٨) الْعَمَايَةُ وَالْغَمِيَّةُ وَالْغَمِيَّةُ كُلُّهُ الْغَوَايَةُ وَاللَّجَاجَةُ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (عَمَى) ٩٥ / ١٥ .
 (٩) فِي دَلَالِ الْإِمَامَةِ : قَبِضَ اللَّهُ نَبِيَّهُ ^(١٠) قَبِضَ رَافَةٍ وَاخْتِيَارٍ ، وَفِي دَلَالِ الْإِمَامَةِ : رَافَةٍ وَرَحْمَةٍ ، وَاخْتِيَارٍ وَرَغْبَةٍ .
 (١١) اخْتَصَّ بِذِكْرِهَا صَاحِبُ الْاِحْتِجَاجِ .
 (١٢) فِي بَلَاغَاتِ النِّسَاءِ : بِأَبِي ^(١٣) عَنْ هَذِهِ الدَّارِ مَوْضُوعٌ عَنْهُ الْعِبَاءُ وَالْأَوْزَارُ ، مُحْتَفٍ بِالْمَلَائِكَةِ الْأَبْرَارِ ، وَمُجَاوِرَةِ الْمَلِكِ الْجَبَّارِ ، وَرِضْوَانِ الرَّبِّ الْعَفَّارِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ وَأَمِينِهِ عَلَى وَحْيِهِ وَصَفِيِّهِ مِنَ الْخَلَائِقِ وَرَضِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَحْمَةِ اللَّهِ وَبَرَكَاتِهِ ؛ وَفِي دَلَالِ الْإِمَامَةِ : لِمُحَمَّدٍ عَنْ تَعَبِ هَذِهِ الدَّارِ ، مَوْضُوعًا عَنْهُ أَعْيَاءُ الْأَوْزَارِ ، مُحْفُوفًا بِالْمَلَائِكَةِ الْأَبْرَارِ ، وَرِضْوَانِ الرَّبِّ الْعَفَّارِ ، وَمُجَاوَرَةِ الْمَلِكِ الْجَبَّارِ ، أَمِينِهِ عَلَى الْوَحْيِ ، وَصَفِيِّهِ ، وَخَيْرَتِهِ مِنْ خَلْقِهِ وَنَجِيَّتِهِ ، فَعَلِيَّةِ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ ، وَرَحْمَةِ اللَّهِ وَبَرَكَاتِهِ .
 (١٤) النَّصَبُ وَالتَّنْصِبُ الْعِلْمُ الْمَنْصُوبُ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (نَصَب) ٧٥٨ / ١ .
 (١٥) أَيِ زَعَمْتُمْ أَنْ مَا ذُكِرَ ثَابِتٌ لَكُمْ .
 (١٦) فِي بَلَاغَاتِ النِّسَاءِ وَدَلَالِ الْإِمَامَةِ : مُنْجِلِيَّةٌ .

مُعْتَبِطٌ بِهِ أَشْيَاعُهُ ، قَانِدٌ إِلَى الرِّضْوَانِ أَتْبَاعُهُ ، مُؤَدٌّ إِلَى النَّجَاةِ اسْتِمَاعُهُ ، بِهِ تُنَالُ حُجُجُ اللَّهِ الْمُنَوَّرَةِ ، وَعَزَائِمُهُ الْمُسْرَةِ ، وَمَحَارِمُهُ الْمُحَذَّرَةِ ، وَبَيِّنَاتُهُ الْجَالِيَةِ ، وَبَرَاهِينُهُ الْكَافِيَةِ ، وَفَضَائِلُهُ الْمُنْدُوبَةِ ، وَرُخْصَةُ الْمَوْهُوبَةِ ، وَشَرَائِعُهُ الْمَكْتُوبَةِ ^(١) .

فَجَعَلَ ^(٢) (اللَّهُ الْإِيمَانَ ؛ تَطْهِيراً لَكُمْ مِنَ الشَّرِّ ، وَالصَّلَاةَ ؛ تَنْزِيهاً لَكُمْ عَنِ الْكِبَرِ ، وَالزَّكَاةَ ؛ تَرْكِيباً لِلنَّفْسِ ، وَنَمَاءً فِي الرِّزْقِ ^(٣)) ، وَالصَّيَامَ ؛ تَثْبِيثاً لِلْإِحْلَاصِ ، وَالْحَجَّ ؛ تَشْيِيداً لِلدِّينِ ، وَالْعَدْلَ ؛ تَنْسِيقاً لِلْقُلُوبِ ، وَطَاعَتَنَا ؛ نِظَاماً لِلْمِلَّةِ ، وَإِمَامَتَنَا ؛ أَمَاناً مِنَ الْفِرْقَةِ ، وَالْجِهَادَ ؛ عِزّاً لِلْإِسْلَامِ ، [وَذُلّاً لِأَهْلِ الْكُفْرِ وَالتَّفَاقُ] ^(٤) ، وَالصَّبْرَ ؛ مَعُونَةً عَلَى اسْتِجَابِ الْأَجْرِ ، وَالْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ ؛ مَصْلَحَةً لِلْعَامَّةِ ، وَبِرَّ الْوَالِدَيْنِ ؛ وَقَايَةً مِنَ السَّخَطِ ، وَصِلَةَ الْأَرْحَامِ ؛ مَنْسَأَةً ^(٥) فِي الْعُمُرِ وَمَنْمَاءً لِلْعَدَدِ ، وَالْقِصَاصَ ؛ حَقّاً لِلدَّمَاءِ ، وَالْوَفَاءَ بِالنَّذْرِ ؛ تَعْرِيضاً لِلْمَغْفِرَةِ ، وَتَوْفِيَةً الْمَكَائِلِ وَالْمَوَازِينَ ؛ تَغْيِيراً لِلْبَخْسِ ، وَالنَّهْيَ عَنْ شُرْبِ الْخَمْرِ ؛ تَنْزِيهاً عَنِ الرَّجْسِ ، وَاجْتِنَابَ الْقَذْفِ ؛ حِجَاباً عَنِ اللَّعْنَةِ ، وَتَرْكَ السَّرِقَةِ ؛ إِيْجَاباً لِلْعِفَّةِ ، وَحَرَّمَ اللَّهُ الشَّرْكَ إِخْلَاصاً لَهُ بِالرَّبُوبِيَّةِ فـ II اَتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنْ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ^(٦) O ، وَأَطِيعُوا اللَّهَ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ وَ[مَا] نَهَاكُمْ عَنْهُ ، فَإِنَّهُ ^(٧) .

II إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنَ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ^(٨) O .

^(١) في بلاغات النساء : ثُمَّ أَنْتُمْ عِبَادُ اللَّهِ (تريد أهل المجلس) نصب أمر الله ونهيه وحمله دينه ووحيه وأمناء الله على أنفسكم وبلغاؤه إلى الأمم زعمتم حقاً لكم الله فيكم عهد قدمه إليكم ونحن بقية استخلفنا عليكم ومعنا كتاب الله بينة بصائرهم ، وآي فينا منكشفة سرانده ، وبرهان منجلية ظواهره ، مديم البرية أسماعه ، قانداً إلى الرضوان أتباعه ، مؤداً إلى النجاة استماعه ، فيه بيان حُجُجِ اللَّهِ الْمُنَوَّرَةِ ، وَعَزَائِمُهُ الْمُسْرَةِ ، وَمَحَارِمُهُ الْمُحَذَّرَةِ ، وَبَيِّنَاتُهُ الْجَالِيَةِ ، وَجَمْلَةُ الْكَافِيَةِ ، وَفَضَائِلُهُ الْمُنْدُوبَةِ ، وَرُخْصَةُ الْمَوْهُوبَةِ ، وَشَرَائِعُهُ الْمَكْتُوبَةِ .

^(٢) في بلاغات النساء ودلائل الإمامة : ففرض الله عليكم الإيمان .

^(٣) في بلاغات النساء ودلائل الإمامة : والزكاة تزيداً في الرزق .

^(٤) انفرد بذكرها صاحب الاحتجاج .

^(٥) النسء التأخير ، لسان العرب : مادة (نسا) ١٦٦/١ ، وقد ورد في دلائل الإمامة : وصلة الأرحام منماة للعدد وزيادة في العمر .

^(٦) آل عمران / ١٠٢ .

^(٧) في بلاغات النساء : ... والزكاة تزيداً في الرزق ، والحج تسلياً للدين ، والعدل تنسكاً للقلوب ، وطاعتنا نظاماً ، وإمامتنا أمناً من الفرقة ، وحبنا عزاً للإسلام ، والصبر منجاة ، والقصاص حقناً للدماء ، والوفاء بالنذر تعرضاً للمغفرة ، وتوفية المكاييل والموازين تعبيراً للنحسة ، والنهي عن شرب الخمر تنزيهاً عن الرجس ، وقذف المحصنات اجتناباً للعنة ، وترك السرقة إيجاباً للعفة وحرّم الله عز وجل الشرك إخلاصاً له بالربوبية فـ II اَتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنْ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ O وأطيعوه فيما أمركم به ونهاكم

عنه فإنه II إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنَ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ O ؛ وفي بلاغات النساء مع اختلاف في الألفاظ وإضافة : ... ولا تتولوا مدبرين ،

وأطيعوه فيما أمركم ونهاكم ، فـ II إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنَ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ O ، فاحمدوا الله الذي بنوره وعظمته ابتغى من في السموات ومن

في الأرض إليه الوسيلة ، فنحن وسيلته في خلقه ، ونحن آل رسوله ، ونحن حجة غيبه ، وورثة أنبيائه .

^(٨) فاطر / ٢٨ .

ثُمَّ قَالَتْ : أَيُّهَا النَّاسُ ! اْعْلَمُوا : أَنِّي فَاطِمَةُ وَأَبِي مُحَمَّدٌ ٩ ، أَقُولُ عَوْدًا وَبَدْوًا (١) ، وَلَا أَقُولُ مَا
 أَقُولُ غَلَطًا ، وَلَا أَفْعَلُ مَا أَفْعَلُ شَطَطًا (٢) ، ١٠ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ
 عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ١١ (٣) ، فَإِنْ تَعَزَّوْهُ (٤) وَتَعْرِفُوهُ ، تَجِدُوهُ أَبِي دُونَ نِسَائِكُمْ ، وَأَخَا ابْنِ
 عَمِّي دُونَ رِجَالِكُمْ ، وَلَنِعَمَ الْمَعْرِيُّ إِلَيْهِ ٩ ، فَبَلَغَ الرِّسَالَةَ صَادِعًا (٥) بِاللَّذَارَةِ (٦) ، مَانِلًا عَنْ مَدْرَجَةِ (٧)
 الْمُشْرِكِينَ ، ضَارِبًا تَبَجُّهَهُمْ (٨) ، آخِذًا بِأَكْطَامِهِمْ (٩) ، دَاعِيًا إِلَى سَبِيلِ رَبِّهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ (١٠) ،
 يَكْسِرُ (١١) الْأَصْنَامَ ، وَيَنْكُثُ الْهَامَ ، حَتَّى انْهَزَمَ (١٢) الْجَمْعُ وَوَلَّوْا الدُّبُرَ ، حَتَّى تَقْرَى (١٣) اللَّيْلُ عَنْ
 صَبْحِهِ ، وَأَسْفَرَ الْحَقُّ عَنْ مَحْضِهِ ، وَنَطَقَ زَعِيمُ الدِّينِ ، وَخَرَسَتْ شَقَاشِقُ الشَّيَاطِينِ (١٤) ، وَطَاحَ (١٥) وَشَيْطُ
 التَّفَاقِ (١٦) ، وَانْحَلَّتْ عُقْدُ الْكُفْرِ وَالشَّقَاقِ ، وَفُهِتُمْ (١٧) بِكَلِمَةِ الْإِحْلَاصِ فِي نَفَرٍ مِنَ الْبَيْضِ الْخِمَاصِ
 (١٨) ، الَّذِينَ أَذْهَبَ اللَّهُ عَنْهُمْ الرَّجْسَ وَطَهَّرَهُمْ تَطْهِيرًا ١٢ وَكُنْتُ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ ١٣ (١٩) ،
 مُدَقِّقَةَ الشَّارِبِ (٢٠) ، وَنُهْزَةَ (٢١) الطَّامِعِ ، وَقَبْسَةَ (٢٢) الْعَجَلَانِ ، وَمَوْطِئَ الْأَقْدَامِ ، تَشْرَبُونَ الطَّرْقَ (٢٣) ،

- (١) العود ثاني البدء ، لسان العرب : مادة (عود) ٣١٥/٣ .
 (٢) أَشْطُ جَاوَزَ الْقَدْرَ وَتَبَاعَدَ عَنِ الْحَقِّ ، لسان العرب : ٧ مادة (شطط) / ٣٣٣ ، وفي المصباح : شط فلان في حكمه شطوطاً وشططاً : جار وظلم ؛ وورد في كشف الغمة : ما أقول في ذلك سرفاً ولا شططاً .
 (٣) التوبة / ١٢٨ .
 (٤) قال المجلسي رحمه الله في بحار الأنوار : يُقال عزوته إلى أبيه ، أي نسبته إليه ، أي إن ذكرتم نسبته وعرفتوه تجدوه أبي .
 (٥) صَدَعَتِ الشَّيْءَ أَظْهَرَتْهُ وَبَيَّنَّتْهُ ، لسان العرب : مادة (صدع) ١٩٤/٨ .
 (٦) الإنذار الإعلام يقال أنذرته أنذرته إنذاراً إذا أعلمته فأنا مُنْذِرٌ وَنَذِيرٌ أي مُعْلِمٌ وَمُخَوِّفٌ وَمُحَذِّرٌ ، لسان العرب : مادة (نذر) ٥/٥ .
 (٧) الْمَدْرَجَةُ الْمَذْهَبُ وَالْمَسَلَكُ ، لسان العرب : مادة (درج) ٢٦٦/٢ .
 (٨) تَبَجَّ كُلُّ شَيْءٍ مُعْظَمُهُ وَوَسَطُهُ وَأَعْلَاهُ ، لسان العرب : مادة (تبج) ٢١٩/٢ .
 (٩) الْكَطْمُ بِالْتَحْرِيكِ وَهُوَ مَخْرَجُ النَّفْسِ مِنَ الْحَلْقِ ، لسان العرب : مادة (كظم) ٥١٩/١٢ ، وقد ورد في بلاغات النساء : بكظهم .
 (١٠) في بلاغات النساء : بحذف هذه الجملة .
 (١١) في بلاغات النساء : يهشم ؛ وفي دلائل الإمامة : يجذ .
 (١٢) في بلاغات النساء : هُزِمَ .
 (١٣) تَقْرَى أَيِ انْشَقَّ ، لسان العرب : مادة (فرا) ١٥١/١٥ ؛ وورد في بلاغات النساء : وتغرى الليل عن صبحه .
 (١٤) في دلائل الإمامة : وهذات فورة الكُفْرِ ، وخرست شقاشق الشيطان .
 (١٥) طاح : هلك وسقط .
 (١٦) الوشيط من الناس لقيف ليس أصلهم واحداً ، والوشيط الدُّخْلَاءُ فِي الْقَوْمِ ، لسان العرب : مادة (وشط) ٤٦٥/٧ ، وقال الجوهري : (الوشيط : لقيف من الناس (ليس) أصلهم واحد) .
 (١٧) فَهْتُمْ : يقال فاه فلان بالكلام - أي تلفظ به .
 (١٨) البِيضُ : جمع أبيض ، والبِيضَانُ مِنَ النَّاسِ خِلَافَ السُّودَانِ ، لسان العرب : مادة (بيض) ١٢٢/٧ ؛ وَالْخَمَصُ خُمَاصَةُ الْبُطْنِ وَهُوَ دِقَّةُ خَلْقَتِهِ وَرَجُلٌ خُمَصَانٌ وَخُمَيْصُ الْحَشَا أَيِ ضَامِرِ الْبُطْنِ ، لسان العرب : مادة (خمص) ٢٩/٧ ، يُقال فلان خميص البطن من أموال الناس : أي عفيف منها .
 (١٩) آل عمران / ١٠٣ ، شفا كل شيء : طرفه وشفيره ، أي كُنْتُ عَلَى شَفِيرِ جَهَنَّمَ مُشْرِفِينَ عَلَى دُخُولِهَا لِشَرِّكُمْ وَكَفْرِكُمْ .
 (٢٠) الْمَدَقَّةُ الشَّرِيَّةُ ، لسان العرب : مادة (مدق) ٣٣٩/١٠ .
 (٢١) النُّهْزَةُ الْفُرْصَةُ ، لسان العرب : مادة (نهز) ٤٢١/٥ .
 (٢٢) الْقَبْسُ الشُّعْلَةُ مِنَ النَّارِ ، لسان العرب : مادة (قبس) ١٦٧/٦ .
 (٢٣) الْمَطْرُوقُ مَاءُ السَّمَاءِ الَّذِي تَبُولُ فِيهِ الْإِبِلُ وَتَبْعُرُ ، لسان العرب : مادة (طرق) ٢١٥/١٠ .

وَتَقْتَاتُونَ الْقِدَّ (١) أَذَلَّةٌ خَاسِيَيْنَ (٢) [صَاغِرِينَ (٣)] ، تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِكُمْ ، فَأَتَذْكُمُ
 اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِأَبِي (٤) مُحَمَّدٍ 9 بَعْدَ اللَّتْيَا وَالَّتِي (٥) ، وَبَعْدَ أَنْ (٦) مُنِيَ بِهِمْ (٧) الرَّجَالِ وَذُوبَانِ
 الْعَرَبِ ، وَمَرَدَّةِ أَهْلِ الْكِتَابِ (٨) Π كَلَّمَا أَوْ قَدَمَا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَاَهَا اللَّهُ (٩) ، أَوْ نَجَمَ قَرْنُ الشَّيْطَانِ
 (١٠) ، أَوْ فَغَرَّتْ فَاعِرَةٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١١) ، قَذَفَ أَخَاهُ فِي لَهَوَاتِهَا (١٢) ، فَلَا يَنْكَفَى حَتَّى يَطَأَ صِمَاحَهَا
 بِأَخْمَصِهِ (١٣) ، وَيُخَمِّدَ لَهَبَهَا بِسَيْفِهِ (١٤) ، مَكْدُودًا فِي ذَاتِ اللَّهِ ، مُجْتَهِدًا فِي أَمْرِ اللَّهِ ، قَرِيبًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ
 ، سَيِّدًا فِي أَوْلِيَاءِ اللَّهِ ، مُشْمَرًا نَاصِحًا ، مُجِدًّا كَادِحًا ، لَا تَأْخُذُهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ ، وَأَنْتُمْ فِي رَفَاهِيَةِ مِنَ الْعَيْشِ
 ، وَادْعُونَ (١٥) فَكَيْهُونَ آمِنُونَ ، تَتَرَبَّصُونَ بِنَا الدَّوَاتِرَ (١٦) ، وَتَتَوَكَّفُونَ (١٧) الْأَخْبَارَ ، وَتَنْكُصُونَ عِنْدَ
 النَّزَالِ (١٨) ، وَتَفْرُونَ مِنَ الْقِتَالِ (١٩) .

فَلَمَّا اخْتَارَ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ دَارَ أَنْبِيَائِهِ ، وَمَاوَى أَصْفِيَائِهِ ، ظَهَرَ فِيكُمْ حَسَكَةُ (٢٠) النَّفَاقِ ، وَسَمَلَ جِلْبَابِ
 الدِّينِ (٢١) ، وَنَطَقَ كَاطِمُ (٢٢) الْغَاوِينَ ، وَنَبَغَ (٢٣) خَامِلُ (٢٤) الْأَقْلِينَ (٢٥) ، وَهَدَرَ فَيْقُ الْمُبْتَطِلِينَ (٢٦) ، فَخَطَرَ

(١) القِدُّ : السير الذي يُقَدُّ من الجلد ، لسان العرب : مادة (ق د) ٣ / ٣٤٣ .

(٢) في بلاغات النساء ودلائل الإمامة : خاشعين .

(٣) انفرد بها صاحب الاحتجاج .

(٤) في بلاغات النساء : فاتقذكُم الله برسوله 9 بعد اللَّتْيَا وَالَّتِي ؛ وفي دلائل الإمامة : فاتقذكُم به بعد اللَّتْيَا وَالَّتِي .

(٥) اللَّتْيَا وَالَّتِي بفتح اللام وتشديد الباء : تصغير التي ، وجوز بعضهم ضمَّ اللام ، وهما كنايةتان عن الداهية الصغيرة والكبيرة .

(٦) في بلاغات النساء : وبعدها مُنِيَ ، ومعنى مُنِيَ : أي ابتلي .

(٧) ببهم الرجال ، كصرد : الشجعان منهم ، لأنهم لشدة بأسهم لا يُدرى من أين يأتون .

(٨) ذوبان العرب : لصوصهم وصعاليكهم الذين لا مال لهم ولا اعتماد عليهم ، والمردة : العتاة المتكبرون المجاوزون للحد .

(٩) المائدة / ٦٤ .

(١٠) نجم الشيء يُنْجَم بالضم نُجُومًا طلع وظهر ، لسان العرب : مادة (ن ج م) ١٢ / ٥٦٨ ، والمراد بالقرن القوة ، أي حين تطلع
 يتحرك الشيطان ، لسان العرب : مادة (ق ر ن) ١٣ / ٣٣١ .

(١١) فغر فاه بغيره وبغيره الأخيرة عن أبي زيد فغراً وفغوراً فتحه ، لسان العرب : مادة (ف غ ر) ٥ / ٥٩ ، والفاغرة من المشركين :
 الطائفة العادية منهم تشبيهاً بالحية أو السبع .

(١٢) اللهاة الهنة المطبقة في أقصى سقف الفم ، لسان العرب : مادة (ل ه ا) ١٥ / ٢٥٨ .

(١٣) انكفا : مال ورجع ، وصماخ الأذن بالكسر : الخرق الباطن الذي يُفْضِي إلى الرأس ، لسان العرب : مادة (ص م خ) ج ٣ / ٣٤٤ ،
 والأخمص بقدر لم يرتفع جداً ولم يستو أسفل القدم جداً ، لسان العرب : مادة (خ م ص) ٧ / ٢٩ ، وطى الصماخ بالأخمص عبارة
 عن القهر والغلبة على أبلغ وجه .

(١٤) في بلاغات النساء : كلما حشوا ناراً للحرب أطفاها ، ونجم قرن للضلال ، وفغرت فاغرة من المشركين ، قذف بأخيه في لهواتها
 ، فلا ينكفى حتى يطأ صماخها بأخمصه ، ويخمد لهبها بحدّه .

(١٥) الدعة : من ودّعه فهو وديعٌ ووديعٌ أي ساكن ، لسان العرب : مادة (و د ع) ٨ / ٣٨٠ .

(١٦) الدوائر : صروف الزمان وحوادث الأيام والعواقب المذمومة ، وأكثر ما شتعمل الدائرة في تحول النعمة إلى الشدة ، والمعنى :
 أي كنتم تنتظرون نزول البلاء علينا وزوال النعمة والغلبة عنا .

(١٧) التوَكَّف التَوَقُّع والانتظار ، لسان العرب : مادة (و ك ف) ٩ / ٣٦٢ ، والمراد هنا إخبار المصائب والفتن .

(١٨) النُّكُوصُ الإحْجَامُ والانتِدَاعُ عن الشيء ، لسان العرب : مادة (ن ك ص) ٧ / ١٠١ ، والنَّزَالُ فِي الْحَرْبِ أَنْ يَتَنَازَلَ الْفَرِيقَانِ وَفِي
 الْحَكْمِ أَنْ يَنْزِلَ الْفَرِيقَانِ عَنْ إِبْلِهِمَا إِلَى خَيْلِهِمَا فَيَتَضَارِبُوا ، لسان العرب : مادة (ن ز ل) ١١ / ٦٥٦ ، والمراد من هذه الفقرات أنهم
 لم يزالوا منافقين ولم يؤمنوا قط .

(١٩) في بلاغات النساء : مكدوداً في ذات الله قريباً من رسول الله ، سيداً في أولياء الله ، وأنتم في بلهنية وادعون آمنون ؛ وفي
 دلائل الإمامة : مكدوداً في ذات الله ، قريباً من رسول الله ، سيداً في أولياء الله ، وأنتم في بلهنية آمنون ، وادعون فرحون ، وتتوَكَّفون
 الأخبار ، وتنكصون عند النزال على الأعقاب ، حتى أقام الله بمحمد عمود الدين .

(٢٠) الحَسَكُ حَسَكُ السَّعْدَانِ ، وَحَسَكُ الصَّدْرِ حَقْدُ الْعَادَاةِ ، لسان العرب : مادة (ح س ك) ١٠ / ٤١١ .

فَخَطَرَ^(٧) فِي عَرَصَاتِكُمْ ، وَأَطْلَعَ الشَّيْطَانُ رَأْسَهُ مِنْ مَغْرَزِهِ^(٨) هَاتِفًا بِكُمْ ، فَأَلْفَاكُمْ^(٩) لِدَعْوَتِهِ مُسْتَجِيبِينَ ، وَلِلْعَزَةِ^(١٠) فِيهِ مُلَاحِظِينَ ، ثُمَّ اسْتَنْهَضَكُمْ فَوَجَدَكُمْ خِفَافًا ، وَأَحْمَشَكُمْ^(١١) فَأَلْفَاكُمْ غَضَابًا ، فَوَسَمْتُمْ غَيْرَ إِبْلُكُمْ وَوَرَدْتُمْ غَيْرَ مَشْرِبِكُمْ^(١٢) .

هَذَا ؛ وَالْعَهْدُ قَرِيبٌ^(١٣) وَالْكَلِمُ رَحِيبٌ^(١٤) ، وَالْجُرْحُ لَمَّا يَنْدَمِلُ ، وَالرَّسُولُ لَمَّا يُقْبَرُ^(١٥) ، ابْتِدَارًا^(١٦) زَعَمْتُمْ خَوْفَ الْفِتْنَةِ Π أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنْ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ O^(١٧) ، فَهَيْهَاتَ مِنْكُمْ ، وَكَيْفَ بِكُمْ^(١٨) ، وَأَنْتَى تُؤْفِكُونَ ؟ ! وَكِتَابُ اللَّهِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ ، أُمُورُهُ ظَاهِرَةٌ ، وَأَحْكَامُهُ زَاهِرَةٌ وَأَعْلَامُهُ بَاهِرَةٌ ، وَزَوَاجِرُهُ لَا يَحِجُّ ، وَأَوَامِرُهُ وَاضِحَةٌ ، [O^(١٩)] قَدْ خَلَفْتُمُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ، أَرَعْبَةً عَنْهُ تُرِيدُونَ ؟ أَمْ بَغْيِهِ تَحْكُمُونَ ؟ Π بَسِ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا O^(٢٠) ، وَمَنْ يَتَّبِعِ Π غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينَنَا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ O^(٢١) ، ثُمَّ لَمْ تَلْبَثُوا إِلَّا رَيْثَ^(٢٢) أَنْ تَسْكُنَ نَفَرْتُهَا^(٢٣) وَيَسْلَسَ

- (١) السَّمَلُ الْخَلْقُ مِنَ الثِّيَابِ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّة (سمل) ٣٤٥ / ١١ ، وَالْجَلْبَابُ أَيْضًا الرِّدَاءُ وَقِيلَ هُوَ كَالْمِقْنَعَةِ تُغْطِي بِهِ الْمَرَأةُ رَأْسَهَا وَظَهْرَهَا وَصَدْرَهَا ، لِسَانُ الْعَرَبِ : ، مَادَّة (جلب) ٢٧٢ / ١ .
- (٢) الْكُظُومُ السُّكُوتُ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : ١ مَادَّة (كظم) ٥١٩ / ٢ .
- (٣) تَبِعَ الشَّيْءُ ظَهَرَ وَتَبِعَ فِيهِمُ التَّفَاقُ إِذَا ظَهَرَ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّة (تبغ) ٤٥٣ / ٨ .
- (٤) الْخَامِلُ الْخَفِيُّ السَّاقِطُ الَّذِي لَا نِبَاهَةَ لَهُ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّة (خمل) ٢٢١ / ١١ .
- (٥) الْأَقْلَيْنِ : مِنَ الْقُلِّ وَالْقِلَّةِ وَهِيَ مِثْلُ الدَّلِّ وَالذَّلَّةِ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : ١١ مَادَّة (قلل) ٥٦٣ / ، وَفِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ (الْأَوَّلَيْنِ) ، وَوَرَدَ فِي كَشْفِ الْغَمَةِ : (فَنَطَقَ كَاطِمٌ ، وَتَبَغَّ خَامِلٌ) ، وَفِي دَلَالِلِ الْإِمَامَةِ (تَبَغَّ خَامِلٌ وَنَطَقَ كَاطِمٌ) .
- (٦) هَذَرَ الْبَعِيرُ يَهْذِرُ هَذْرًا وَهَذِيرًا وَهَذُورًا صَوْتٌ فِي غَيْرِ شَيْءٍ شَقِيقَةٍ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّة (هدر) ٢٥٧ / ٥ ، وَالْفَنِيْقُ هُوَ الْفَحْلُ الْمَكْرَمُ مِنَ الْإِبِلِ الَّذِي لَا يُرْكَبُ وَلَا يُهَانُ لِكِرَامَتِهِ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّة (فنيق) ٣١٢ / ١٠ .
- (٧) خَطَرَ الْبَعِيرُ بِذَنْبِهِ يَخْطُرُ بِالْكَسْرِ خَطَرًا سَاكِنًا وَخَطَرَانًا إِذَا رَفَعَهُ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّة (خطر) ٢٤٩ / ٤ .
- (٨) مَغْرَزُ الرَّأْسِ بِالْكَسْرِ : مَا يَخْتَفِي فِيهِ ، وَقِيلَ لَعَلَّ فِي الْكَلَامِ تَشْبِيهًا لِلشَّيْطَانِ بِالْفَتْنَةِ فَإِنَّهُ إِذَا يَطْلُعُ رَأْسُهُ عِنْدَ زَوَالِ الْخَوْفِ أَوْ بِالرَّجْلِ الْحَرِيصِ الْمَقْدَمِ عَلَى أَمْرٍ ، فَإِنَّهُ يَمْدُ عُنُقَهُ إِلَيْهِ .
- (٩) أَلْفَى الشَّيْءَ وَجَدَهُ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّة (لفا) ٥٢٥ / ١٥ .
- (١٠) فِي بَلَاغَاتِ النِّسَاءِ : وَلِلْعَزَةِ ، وَهُوَ اغْتَرَّ بِالشَّيْءِ أَيْ خُدِعَ بِهِ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّة (غرر) ١١ / ٥ ، وَمَعْنَى وَلِلْعَزَةِ فِيهِ مُلَاحِظِينَ : أَيِ وَجَدَكُمْ طَالِبِينَ لِلْعَزَةِ .
- (١١) أَحْمَشْتُ الرَّجُلَ أَغْضَبْتُهُ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّة (حمش) ٢٨٨ / ٦ .
- (١٢) وَرَدَّتْ الْمَاءُ أَرْدَهُ وَرُودًا إِذَا حَضَرَتْهُ لَتَشْرِبَ وَالْوَرْدُ الْمَاءُ الَّذِي تَرِدُ عَلَيْهِ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّة (ورد) ٤٥٦ / ٣ ، وَالشَّرْبُ بِالْكَسْرِ : الْحِظُّ مِنَ الْمَاءِ ، وَهُمَا كُنَايَتَانِ عَنْ أَخْذِ مَا لَيْسَ لَهُمْ بِحَقٍّ مِنَ الْخَلَافَةِ وَالْإِمَامَةِ وَمِيرَاثِ الثَّبُوتِ ، وَوَرَدَ فِي كَشْفِ الْغَمَةِ (وَأُورِدْتُمُوهَا شَرِبًا لَيْسَ لَكُمْ) .
- (١٣) فِي بَلَاغَاتِ النِّسَاءِ : حَتَّى إِذَا اخْتَارَ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ دَارَ أَنْبِيَائِهِ ظَهَرَتْ خَلَّةُ النِّفَاقِ ، وَسَمِلَ جَلْبَابُ الدِّينِ ، وَنَطَقَ كَاطِمُ الْغَاوِينَ ، وَتَبَغَّ خَامِلُ الْأَقْلَيْنِ ، وَهَذَرَ فَنِيْقُ الْمُبْطَلِينَ ، فَخَطَرَ فِي عَرَصَاتِكُمْ ، وَأَطْلَعَ الشَّيْطَانُ رَأْسَهُ مِنْ مَغْرَزِهِ صَارِخًا بِكُمْ ، فَوَجَدَكُمْ لِدَعَائِهِ مُسْتَجِيبِينَ ، وَلِلْعَزَةِ فِيهِ مُلَاحِظِينَ ، فَاسْتَنْهَضَكُمْ فَوَجَدَكُمْ خِفَافًا ، وَأَحْمَشَكُمْ فَأَلْفَاكُمْ غَضَابًا ، فَوَسَمْتُمْ غَيْرَ إِبْلُكُمْ ، وَأُورِدْتُمُوهَا غَيْرَ شَرِبِكُمْ ، هَذَا وَالْعَهْدُ .
- (١٤) الْكَلِمُ الْجُرْحُ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّة (كلم) ٥٢٢ / ١٢ ، وَالرُّحْبُ بِالضَّمِّ : السَّعَةِ .
- (١٥) قَبْرُهُ يَقْبُرُهُ وَيَقْبُرُهُ دَفْنُهُ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّة (قبر) ٦٨ / ٥ .
- (١٦) فِي بَلَاغَاتِ النِّسَاءِ : بِدَارًا .
- (١٧) التَّوْبَةُ / ٤٩ .
- (١٨) فِي بَلَاغَاتِ النِّسَاءِ : وَأَنْتَى بِكُمْ ، وَفِي دَلَالِلِ الْإِمَامَةِ : وَأَيْنَ بِكُمْ .
- (١٩) اخْتَصَّ بِذِكْرِهَا صَاحِبُ الْإِحْتِجَاجِ .
- (٢٠) الْكَهْفُ / ٥٠ .
- (٢١) مُقْتَبَسٌ مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ / ٨٥ .

قيادها^(٣) ثُمَّ أَخَذْتُمْ ثُورُونَ وَقَدَّتْهَا^(٤) ، وَتَهَيَّجُونَ جَمَرَتَهَا^(٥) ، وَتَسْتَجِيبُونَ لِهَتَافِ^(٦) الشَّيْطَانِ الْغَوِيِّ ، وَإِطْفَاءِ أَنْوَارِ الدِّينِ الْجَلِيِّ ، وَإِهْمَادِ^(٧) سُنَنِ النَّبِيِّ الصَّغِيِّ ، تَشْرَبُونَ حَسَوًا فِي ارْتِغَاءِ^(٨) ، وَتَمْشُونَ لِأَهْلِهِ وَوُلْدِهِ فِي الْحَمْرَةِ وَالضَّرَاءِ^(٩) ، وَتَصْبِرُ مِنْكُمْ عَلَى مِثْلِ حَزِّ الْمُدَى^(١٠) وَوَحْزِ السَّنَنِ فِي الْحَشَا^(١١) ، وَأَنْتُمْ الْآنَ تَرْعُمُونَ^(١٢) : أَنْ لَا إِرْثَ لَنَا ، Π أَفْهَكُمُ الْجَاهِلِيَّةَ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ^(١٣) ؟ ! أَفَلَا تَعْلَمُونَ ؟ بَلَى ، قَدْ تَجَلَّى لَكُمْ كَالشَّمْسِ الصَّاحِيَّةِ^(١٤) : أَنِّي ابْنَتْهُ^(١٥) .

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ ! أَغْلَبَ عَلَى إرْثِيهِ^(١٦) ؟ ! يَا ابْنَ أَبِي فُحَافَةَ ! أَفِي كِتَابِ اللَّهِ أَنْ تَرِثَ أَبَاكَ وَلَا أَرِثَ أَبِي ؟ Π لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا O [عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ]^(١٧) ! أَفَعَلَى عَمْدٍ تَرَكْتُمْ كِتَابَ اللَّهِ وَتَبَذَرْتُمُوهُ وَرَاءَ

- (١) الرِّثَ الثَّابِتُ الْإِبْطَاءُ ، لسان العرب : مادة (ريث) ١٥٧/٢ ، وهي لغة فاشية في الحجاز ، يُقال : ما قعد فلان عندنا إلا ريث أن حدثنا .. أي ما قعد إلا قدر ذلك .
- (٢) النَّفَرُ النَّفَرُ ، نفرت الدابة تَنْفَرُ وتَنْفَرُ نَفَارًا وَتَنْفَرُ ، لسان العرب : مادة (نفر) ٢٢٤ / ٥ .
- (٣) شيء سلسّ لَيِّن سهل ولرجل سلسّ أي لَيِّن متقاد ، لسان العرب : مادة (سلس) ١٠٦/٦ ، والقوْدُ نقيض السَّوْقِ يَقوْدُ الدَّابَّةُ من أمامها ويسوقها من خلفها فالقوْدُ من أمام والسَّوْقُ من خلف فوْدُ الفرس وغيره أقوده قوْدًا ، لسان العرب : مادة (قود) ٣٧٠/٣ .
- (٤) الوَقْدُ نَفْسُ النَّارِ ، والوَقْدُ الحطب ، لسان العرب : مادة (وقد) ٤٦٥ / ٣ .
- (٥) الجَمَرُ النار المتقدة واحده جَمْرَةٌ ، لسان العرب : مادة (جمر) ١٤٤ / ٤ .
- (٦) الْهَتَفُ وَالهَتَافُ الصوت الجافي العالي وقيل الصوت الشديد وقد هتف به هتافًا أي صاح به ، لسان العرب : مادة (هتف) ٩ / ٣٤٤ .
- (٧) هَمَدَتِ النَّارُ تَهْمُدُ هُمُودًا طَفِنَتْ طُفُوًا ، لسان العرب : مادة (همد) ٤٣٦/٣ .
- (٨) ارْتِغَيْتُ شَرِبْتُ الرُّغْوَةَ ، والارْتِغَاءُ سَحْفُ الرُّغْوَةِ واحتسبواها الكساني هي رَغْوَةُ اللبن ورُغْوَتُهُ ورُغْوَتُهُ ورُغَاوُهُ ورُغَايَتُهُ ، لسان العرب : مادة (رغا) ٣٢٩ / ١٤ .
- (٩) الْحَمْرُ بالتحريك ما وارك من الشجر والجبال ونحوها يقال توارى الصيدُ عني في حَمَرِ الوادي ، لسان العرب : مادة (خمر) ٥ / ٢٥٤ ؛ والضَّرَاءُ هو بالفتح وتخفيف الرَّاء والمدُّ الشجرُ المَلْتَفُّ ، لسان العرب : مادة (ضرا) ٤٨٢ / ١٤ .
- (١٠) الْحَزُّ الْقَطْعُ وقيل الْحَزُّ الْقَطْعُ من الشيء في غير إبانة ، لسان العرب : مادة (حزز) ٣٣٤ / ٥ ، ومدى هي جمع مُدْيَةٍ وهي السكين والشُّفْرَةُ ، لسان العرب : مادة (مدى) ٢٧٢ / ١٥ .
- (١١) وَحَزَّهُ بِالرَّمَجِ وَالْخَنْجَرِ يَحْزُهُ وَحْزًا طَعَنَهُ طَعْنًا غَيْرَ نَافِذٍ ، لسان العرب : مادة (وخز) ٤٢٨ / ٥ .
- (١٢) فِي بِلَاغَاتِ النِّسَاءِ : هَذَا وَالْعَهْدُ قَرِيبٌ وَالْكَلِمُ رَحِيبٌ وَالْجَرْحُ لَمَّا يَنْدَمِلُ بَدَارٌ ، زَعَمْتَ خَوْفَ الْفِتْنَةِ Π أَلَا فِي الشِّتَةِ سَتَلُوا وَإِنْ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ O ، فِهْرِيَّاتُكُمْ وَأَتَى بِكُمْ وَأَتَى تَوْفِكُونَ ، هَذَا كِتَابُ اللَّهِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ ، وَزَوَاجِرُهُ بَيْنَتُهُ ، وَشَوَاهِدُهُ لَانِحَةٌ ، وَأَوَامِرُهُ وَاضِحَةٌ ، أَرْغَبُهُ عَنْهُ تَدْبِرُونَ ، أَمْ بَغْيُهُ تَحْكُمُونَ Π بِسْمِ اللَّطَائِمِ بَدَلًا O وَمَنْ يَبْغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينَنَا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ O ثُمَّ لَمْ تَرِثُوا إِلَّا رِثَ أَنْ تَسْكُنَ نَغْرَتَهَا تَشْرَبُونَ حَسَوًا وَتَسْرُونَ فِي ارْتِغَاءٍ وَنَصْبِرُ مِنْكُمْ عَلَى مِثْلِ حَزِّ الْمُدَى وَأَنْتُمْ الْآنَ تَرْعُمُونَ أَنْ لَا إِرْثَ لَنَا ، أَفْهَكُمُ الْجَاهِلِيَّةَ تَبْغُونَ ، وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ .
- (١٣) الْمَانِدَةُ / ٥٠ .
- (١٤) ضَاحِيًا أَي ظَاهِرًا بَيِّنًا ، لسان العرب : مادة (ضاحا) ٤٧٤ / ١٤ .
- (١٥) فِي بِلَاغَاتِ النِّسَاءِ وَدَلَائِلُ الْإِمَامَةِ : حَذَفَ مَا بَعْدَ الْآيَةِ .
- (١٦) فِي رِوَايَةِ ابْنِ أَبِي طَاهِرٍ : (وَبِهَا مَعْشَرُ الْمُهَاجِرِينَ أَلْبَتَزَ إِرْثَ أَبِي أَفِي الْكِتَابِ أَنْ تَرِثَ أَبَاكَ وَلَا أَرِثَ أَبِي لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا فَوْنُكُهَا مَخْطُومَةٌ مَرْحُولَةٌ تَلْقَاكَ يَوْمَ حَشْرِكَ فَيُعْطَمُ الْحُكْمُ اللَّهِ وَالزَّعِيمُ مُحَمَّدٌ وَالْمَوْعِدُ الْقِيَامَةُ وَعِنْدَ السَّاعَةِ يَخْسِرُ الْمَبْطُلُونَ ، وَلِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) .
- (١٧) انْفَرَدَ بِذِكْرِهَا صَاحِبُ الْاِحْتِجَاجِ ، وَفِي دَلَائِلِ الْإِمَامَةِ : جَرَاةُ مِنْكُمْ عَلَى قِطِيعَةِ الرَّحِمِ وَنَكْثُ الْعَهْدِ .

ظُهُورِكُمْ^(١) ؟ إِذْ يَقُولُ : Π وَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ^(٢) ، وَقَالَ : فِيمَا أَقْتَصَّ مِنْ خَيْرِ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا
 A إِذْ قَالَ : Π فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ^(٣) ، وَقَالَ [أَيْضًا]^(٤) :
 Π وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ^(٥) ، وَقَالَ : Π يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ
 لِلَّذِي لِلَّذِي مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيْنِ^(٦) ، وَقَالَ : Π إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَلَدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى
 الْمُتَّقِينَ^(٧) ، وَزَعَمْتُمْ أَنْ لَا حِطَّةَ^(٨) لِي وَلَا إِرْثَ مِنْ أَبِي وَلَا رَحِمَ بَيْنَنَا ، أَفَخَصَّكُمُ اللَّهُ بِآيَةٍ [مِنْ
 الْقُرْآنِ]^(٩) أَخْرَجَ أَبِي [مُحَمَّدًا 9] مِنْهَا^(١٠) ؟ أَمْ هَلْ تَقُولُونَ : إِنَّ أَهْلَ الْمِلَّتَيْنِ لَا يَتَوَارَثَانِ ؟ أَوْ
 لَسْتُ أَنَا وَأَبِي مِنْ أَهْلِ مِلَّةٍ وَاحِدَةٍ ؟! أَمْ أَنْتُمْ أَغْلَمُ بِخُصُوصِ الْقُرْآنِ وَعُمُومِهِ مِنْ أَبِي وَابْنِ عَمِّي ؟ فَدُونُكُمَا
^(١١) مَخْطُومَةٌ مَرْحُومَةٌ^(١٢) تَلْقَاكَ يَوْمَ حَشْرِكَ ، فَنِعْمَ الْحَكْمُ اللَّهُ ، وَالزَّعِيمُ مُحَمَّدٌ 9 ، وَالْمَوْعِدُ الْقِيَامَةُ ،
 وَعِنْدَ السَّاعَةِ يَخْسِرُ الْمُبْطِلُونَ ، وَلَا يَنْفَعُكُمْ [مَا قُلْتُمْ]^(١٣) إِذْ تَنْدُمُونَ ، و Π لِكُلِّ نَبِيٍّ مُسْتَقَرٌّ^(١٤) O ،
 Π وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ^(١٥) .

(١) في دلائل الإمامة : فعلى عمد ، ما تركتم كتاب الله بين أظهركم ونبذتموه .

(٢) النمل / ١٦ .

(٣) مريم / ٥ - ٦ .

(٤) اختص بها صاحب الاحتجاج .

(٥) الأنفال / ٧٥ .

(٦) النساء / ١١ .

(٧) البقرة / ١٨٠ .

(٨) الحظوة والحظوة والحظوة المكانة والمنزلة ، لسان العرب : مادة (حظا) ١٨٥ / ١٤ ، وورد في دلائل الإمامة : وزعمتم أن لا حظ لي ولا إرث من أبي .

(٩) اختص بذكرها صاحب من دون غيره الاحتجاج .

(١٠) ذكرها صاحب الاحتجاج دون غيره .

(١١) في دلائل الإمامة : أفخصكم الله بآية أخرج أبي منها ؟

(١٢) الضمير راجع إلى فذلك المدلول عليها بالمقام ، والأمر بأخذها للتهديد .

(١٣) الخطام كل ما وضع في أنف البعير ليقاد به والجمع خطم ، لسان العرب : مادة (خطم) ١٨٦ / ١٢ .

(١٤) ذكرها صاحب الاحتجاج دون غيره .

(١٥) الاقتباس من موضعين : أحدهما من سورة الأنعام / ٦٧ ، والآخر في سورة هود / ٣٩ ، وورد في دلائل الإمامة : وزعمتم

أن لا حظوة لي ولا إرث من أبي ، أفخصكم الله بآية أخرج أبي منها ؟ أم تقولون أهل ملتين لا يتوارثان ؟ أو لست أنا وأبي من ملة واحدة ؟ أم أنتم بخصوص القرآن وعمومه أعلم ممن جاء به ؟ فدونكموها مرحومة مزومة ، تلقاكم يوم حشركم ، فنعلم الحكم الله ،

ونعلم الخصيم محمد ، والموعود القيامة ، وعمّا قيل توفكون ، وعند الساعة ما تحسرون ، Π لِكُلِّ نَبِيٍّ مُسْتَقَرٌّ^(١٤) O Π وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ

يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ^(١٥) .

ثُمَّ رَمَتْ بِطَرَفِهَا (١) نَحْوَ الْأَنْصَارِ فَقَالَتْ [لَمْ] (٢) : يَا مَعْشَرَ النَّبِيِّينَ (٣) وَأَعْضَادَ الْمَلِكَةِ وَحَصَنَةَ
 الْإِسْلَامِ ، مَا هَذِهِ الْغَمِيزَةُ (٤) فِي حَقِّي وَالسَّنَةُ (٥) عَنْ ظِلَامَتِي ؟ أَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : ((الْمَرْءُ
 يُحْفَظُ فِي وَلَدِهِ)) ؟ سَرَّعَانَ مَا أَحَدْتُمْ ، وَعَجَلَانَ ذَا إِهَالَةٍ (٦) وَلَكُمْ طَاقَةٌ بِمَا أُحَاوِلُ ، وَقُوَّةٌ عَلَى مَا أُطْلَبُ
 وَأُزَاوِلُ ، أَتَقُولُونَ مَاتَ مُحَمَّدٌ ﷺ ؟ فَخُطِبُ جَلِيلٌ (٧) ، اسْتَوْسَعَ وَهْنُهُ (٨) وَاسْتَنْهَرَ فَتَقَهُ (٩) ، وَانْفَتَقَ رَقَّتُهُ ،
 وَأَظْلَمَتِ الْأَرْضُ لِغَيْبَتِهِ ، وَكُسِفَتِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ، وَانْتَشَرَتِ التُّجُومُ لِمُصِيبَتِهِ ، وَأَكْدَتِ (١٠) الْأَمَالُ ،
 وَخَشَعَتِ الْجِبَالُ ، وَأَضْيَعَ الْحَرِيمُ ، وَأُزِيلَتِ الْحَرَمَةُ عِنْدَ مَمَاتِهِ ، فَتِلْكَ وَاللَّهِ النَّازِلَةُ الْكُبْرَى ، وَالْمُصِيبَةُ الْعُظْمَى ،
 لَا مِثْلَهَا نَازِلَةٌ ، وَلَا بَاقِيَةٌ (١١) عَاجِلَةٌ ، أَغْلَنَ بِهَا كِتَابُ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاهُ ، فِي أَفْنِيَّتِكُمْ (١٢) ، فِي مَمْسَاكُم
 وَمَصْبَحِكُمْ ، [يَهْتَفُ فِي أَفْنِيَّتِكُمْ] (١٣) هُتَافًا ، وَصُرَاحًا ، وَتِلَاوَةً وَأَلْحَانًا ، وَلَقَبْلَهُ مَا حَلَّ بِأَنْبِيَاءِ
 اللَّهِ وَرُسُلِهِ ، حُكْمٌ فَصْلٌ وَقَضَاءٌ حَتْمٌ (١٤) : Π وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ
 أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ O
 (١٥) ، إِنِّهَا (١٦) بَنِي قَيْلَةٍ (١٧) ، أَأَهْضَمُ (١٨) ثَرَاثُ أَبِي ؟ وَأَنْتُمْ بِمَرَأَى مِنِّي وَمَسْمَعٍ ؟ وَمُتَنَدَّى (١٩) وَمَجْمَعٍ

(١) الطَّرْفُ طَرَفُ الْعَيْنِ وَالطَّرْفُ إِطْبَاقُ الْجَفْنِ عَلَى الْجَفْنِ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (طَرْف) ٢١٣ / ٩ .
 (٢) انْفَرَدَ بِأَيِّدِهَا صَاحِبُ الْاِحْتِجَاجِ .
 (٣) الْمَعْشَرُ الْجَمَاعَةُ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (عَشْر) ٥٦٨ / ٤ ؛ النَّبِيُّ يَمْنُ الْفِعْلُ ، وَرَجُلٌ مَيْمُونٌ النَّبِيُّ مَبَارَكُ النَّفْسِ مُظَفَّرٌ بِمَا
 يَحَاوِلُ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (تَقَب) ٧٦٥ / ١ ، وَفِي الْبَحَارِ وَرَدَ : يَا مَعْشَرَ الْفَتَنَةِ .
 (٤) الْغَمِيزَةُ ضَعْفٌ فِي الْعَمَلِ ، وَجَهْلَةٌ فِي الْعَقْلِ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (عَمَز) ٣٨٨ / ٥ .
 (٥) السَّنَةُ : النَّعَاسُ مِنْ غَيْرِ نَوْمٍ ، وَالْهَاءُ فِي السَّنَةِ عَوْضٌ مِنَ الْوَاوِ الْمَحْذُوفِ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (وَسَن) ٤٤٩ / ١٣ .
 (٦) سَرَّعَانَ وَسَرَّعَانَ أَيَّ سَرَّعَ كُلِّ ذَلِكَ اسْمٌ لِلْفِعْلِ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (وَشَك) ٥١٣ / ١٠ .
 (٧) الْخُطْبُ الشَّانُ أَوْ الْأَمْرُ صَغَرُ أَوْ عَظُمَ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (خُطِب) ٣٦٠ / ١ .
 (٨) وَهْنُهُ : الشَّقُّ وَالْخَرَقُ .
 (٩) اسْتَنْهَرَ الشَّيْءُ أَيَّ اتَّسَعَ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (نَهَرَ) ٢٣٦ / ٥ ، وَالْفَتْقُ خِلَافُ الرِّثْقِ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (فَتَق) ١٠ / ٢٩٦ .
 (١٠) أَكْدَى الرَّجُلُ قَلَّ خَيْرُهُ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (كَدَا) ٢١٦ / ١٥ .
 (١١) الْبَاقِيَةُ الدَّاهِيَةُ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (بَوَق) ٣٠ / ١٠ .
 (١٢) الْفَنَاءُ سَعَةُ أَمَامِ الدَّارِ ، وَالْفَنَاءُ بِالْفَتْحِ نَقِيضُ الْبَقَاءِ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (فَنَى) ١٦٤ / ١٥ .
 (١٣) اخْتَصَّ بِذِكْرِهَا صَاحِبُ الْاِحْتِجَاجِ مِنْ دُونِ غَيْرِهِ .
 (١٤) فِي بَلَاغَاتِ النِّسَاءِ : فَقَالَتْ مَعْشَرَ الْبَقِيَّةِ وَأَعْضَادَ الْمَلِكَةِ وَحَصُونِ الْإِسْلَامِ ، مَا هَذِهِ الْغَمِيزَةُ فِي حَقِّي وَالسَّنَةُ عَنْ ظِلَامَتِي ، أَمَا
 قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَرْءُ يُحْفَظُ فِي وَلَدِهِ ، سَرَّعَانَ مَا أُجْدِبْتُمْ فَأَكْدَيْتُمْ ، وَعَجَلَانَ ذَا إِهَالَةٍ تَقُولُونَ مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَخُطِبَ جَلِيلٌ ،
 اسْتَوْسَعَ وَهْيُهُ ، وَاسْتَنْهَرَ فَتَقَهُ ، وَبَعْدَ وَقْتِهِ ، وَأَظْلَمَتِ الْأَرْضُ لِغَيْبَتِهِ ، وَاكْتَابَتْ خَيْرَةُ اللَّهِ لِمُصِيبَتِهِ ، وَخَشَعَتِ الْجِبَالُ ، وَأَكْدَتِ الْأَمَالُ
 وَأَضْيَعَ الْحَرِيمَ وَأُزِيلَتِ الْحَرَمَةُ عِنْدَ مَمَاتِهِ ﷺ ، وَتِلْكَ نَازِلٌ عَلَيْنَا بِهَا كِتَابُ اللَّهِ فِي أَفْنِيَّتِكُمْ فِي مَمْسَاكُم وَمَصْبَحِكُمْ يَهْتَفُ بِهَا فِي أَسْمَاعِكُمْ
 وَقَبْلَهُ حَلَّتْ بِأَنْبِيَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَرُسُلِهِ ، وَفِي دَلَائِلِ الْإِمَامَةِ : ... أَتَقُولُونَ مَاتَ مُحَمَّدٌ فَخُطِبَ جَلِيلٌ ، اسْتَوْسَعَ وَهْيُهُ ، وَاسْتَنْهَرَ فَتَقَهُ ،
 وَفَقَدَ رَاتِقَهُ ، فَأَظْلَمَتِ الْأَرْضُ لِغَيْبَتِهِ ، وَاكْتَابَتْ خَيْرَةُ اللَّهِ لِمُصِيبَتِهِ ، وَأَكْدَتِ الْأَمَالُ ، وَخَشَعَتِ الْجِبَالُ ، وَأَضْيَعَ الْحَرِيمَ ، وَأُزِيلَتِ الْحَرَمَةُ
 بِمَوْتِ مُحَمَّدٍ ، فَتِلْكَ نَازِلَةٌ أَعْلَنَ بِهَا كِتَابُ اللَّهِ هُتَافًا هُتَافًا ، وَلَقَبْلَهُ مَا خَلَتْ بِهِ أَنْبِيَاءُ اللَّهِ وَرُسُلُهُ .
 (١٥) آلُ عِمْرَانَ / ١٤٤ .
 (١٦) إِلَيْهِ كَلِمَةُ زَجَرٍ بِمَعْنَى حَسْبِكَ وَتَنَوَّنَ فَيُقَالُ إِلَيْهَا ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (أَيْه) ٤٧٣ / ١٣ .
 (١٧) بَنُو قَيْلَةٍ : الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ ، قَبِيلَتَا الْأَنْصَارِ ، وَ(قَيْلَةٍ) : اسْمُ أُمِّ لَهْمٍ قَدِيمَةٌ وَهِيَ قَيْلَةُ بِنْتُ كَاهِلٍ .
 (١٨) هَضْمُهُ يَهْضِمُهُ هَضْمًا وَاهْتَضَمَهُ وَتَهَضَّمَهُ ظَلَمَهُ وَغَضِبَهُ وَقَهَرَهُ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (هَضَم) ٦١٣ / ١٢ .

وَمَجْمَعٍ؟ تَلْبِسُكُمُ الدَّعْوَةُ، وَتَشْمَلُكُمُ الْحَبْرَةُ (٢)، وَأَنْتُمْ ذَوُو الْعَدَدِ وَالْعُدَّةِ، وَالْأَذَاةُ وَالْقُوَّةُ وَعِنْدَكُمْ السَّلَاحُ وَالْجُنَّةُ، تُؤَافِكُكُمُ الدَّعْوَةُ فَلَا تُجِيبُونَ، وَتَأْتِيَكُمُ الصَّرَخَةُ فَلَا تُعِيشُونَ، وَأَنْتُمْ مَوْصُوفُونَ بِالْكَفَاحِ (٣)، مَعْرُوفُونَ بِالْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ، وَالنُّحْبَةُ الَّتِي انْتُخِبْتَ، وَالْخَيْرَةُ الَّتِي اخْتِيرْتَ لَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ (٤).

فَاتْلُتُمُ الْعَرَبَ، وَتَحْمَلْتُمُ الْكَدَّ وَالتَّعَبَ، وَنَاطَحْتُمُ (٥) الْأُمَمَ، وَكَافَحْتُمُ الْبُهْمَ، لَا تَبْرَحُ أَوْ تَبْرَحُونَ (٦)، نَأْمُرُكُمْ فَتَأْتِمِرُونَ، حَتَّى إِذَا دَارَتْ بِنَا رَحَى الْإِسْلَامِ، وَدَرَّ حَلَبُ الْأَيَّامِ، وَخَصَعَتْ ثَغْرَةَ (٧) الشَّرِّكَ، وَسَكَّتَتْ فَوْرَةُ الْإِفْكِ، وَخَمَدَتْ (٨) نِيرَانُ الْكُفْرِ، وَهَدَأَتْ (٩) دَعْوَةُ الْمَرْجِ [وَالْمَرْجُ] (١٠)، وَاسْتَوْسَقَ (١١) نِظَامُ الدِّينِ.

فَأَتَى حِرْتُمُ (١٢) بَعْدَ الْبَيَانِ؟ وَأَسْرَرْتُمُ بَعْدَ الْإِعْلَانِ؟ وَنَكَصْتُمُ (١٣) بَعْدَ الْإِقْدَامِ؟ وَأَشْرَكْتُمُ بَعْدَ الْإِيمَانِ؟ بُؤْسًا لِقَوْمٍ نَكثُوا إِيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ، وَهَمُّوا بِإَخْرَاجِ الرَّسُولِ، وَهُمْ بَدَأُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ П أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ O (١٤).

أَلَا وَقَدْ أَرَى أَنْ قَدْ أَخْلَدْتُمُ (١) إِلَى الْخَفْضِ (٢) وَأَبْعَدْتُمُ مَنْ هُوَ أَحَقُّ بِالْبَسْطِ وَالْقَبْضِ (٣)، وَخَلَوْتُمُ بِالِدَّعَةِ (٤) وَنَجَوْتُمُ بِالضِّيقِ مِنَ السَّعَةِ، فَمَجَجْتُمُ (٥) مَا وَعَيْتُمُ، وَدَسَعْتُمُ (٦) الَّذِي تَسَوَّعْتُمُ (٧) فَـ П إِنَّ تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ O (٨).

(١) النَّدْيُ أَيِ الْقَوْمِ الْمُجْتَمِعُونَ، لِسَانِ الْعَرَبِ: مَادَةُ (نَدَى) ٣١٣/١٥.

(٢) الدَّعْوَةُ: نِدَاءُ الْمَظْلُومِ لِلنَّصْرَةِ، الْخَيْرُ وَالْخَيْرُ وَالْخَيْرَةُ وَالْمُخْبِرَةُ وَالْمُخْبِرَةُ كُلُّهُ الْعِلْمُ بِالشَّيْءِ، لِسَانِ الْعَرَبِ: مَادَةُ (خَبَرَ) ٢٢٦/٤.

(٣) الْمُكَافَحَةُ الْمُضَارِبَةُ وَالْمُدَافَعَةُ تَلْقَاءُ الْوَجْهِ، وَكَافَحُوهُمْ إِذَا اسْتَقْبَلُوهُمْ فِي الْحَرْبِ بِوُجُوهِهِمْ لَيْسَ دُونَهَا ثَرَسٌ وَلَا غَيْرُهُ، لِسَانِ الْعَرَبِ: مَادَةُ (كَفَحَ) ٥٧٣/٢.

(٤) فِي بِلَاغَاتِ النِّسَاءِ: إِيَّاهَا بَنِي قَبِيلَةِ أَهْضَمَ تَرَاثَ أَبِيهِ وَأَنْتُمْ بِمَرَأَى مِنْهُ وَمَسْمَعٌ، تَلْبِسُكُمُ الدَّعْوَةُ وَتَتَمَلَّكُمُ الْحَبْرَةُ، وَفِيكُمْ الْعَدَدُ وَالْعُدَّةُ، وَلَكُمْ الدَّارُ، وَعِنْدَكُمْ الْجَنَنُ وَأَنْتُمْ الْأَلَى نَخْبَةِ اللَّهِ الَّتِي انْتُخِبَ لِدِينِهِ وَأَنْصَارُ رَسُولِهِ وَأَهْلُ الْإِسْلَامِ وَالْخَيْرَةُ الَّتِي اخْتَارَ لَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ؛ وَفِي دَلَالِلِ الْإِمَامَةِ: أَبْنَى قَبِيلَةَ أَهْضَمَ تَرَاثَ أَبِي وَأَنْتُمْ بِمَرَأَى وَمَسْمَعٌ، تَلْبِسُكُمُ الدَّعْوَةُ، وَيَشْمَلُكُمُ الْجَبِينُ، وَفِيكُمْ الْعُدَّةُ وَالْعَدَدُ، وَلَكُمْ الدَّارُ وَالْخَيْرَةُ، وَأَنْتُمْ أَنْجَبْتُمُ الَّتِي امْتَحَنَ وَنَحَلْتُمُ الَّتِي انْتَحَلَ، وَخَيْرَتُهُ الَّتِي انْتُخِبَ لَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ.

(٥) نَطَحَهُ نَطْحًا: أَصَابَهُ بِقَرْنِهِ، وَالْمَعْنَى هُنَا: حَارِبْتُمُ الْخُصُومَ وَدَافَعْتُمُوهَا بِجِدِّ وَاهْتِمَامٍ كَمَا يُدَافِعُ الْكَبِشُ قَرْنَهُ بِقَرْنِهِ.

(٦) بَرَحَ يَرَحُ وَيَرْوَحُ زَالٌ، لِسَانِ الْعَرَبِ: مَادَةُ (بَرَحَ) ٤٠٨/٢.

(٧) الثَّغْرُ الْمَوْضِعُ الَّذِي يَكُونُ حَدًّا فَاصِلًا بَيْنَ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ وَالْكَفَّارِ وَهُوَ مَوْضِعُ الْمَخَافَةِ مِنْ أَطْرَافِ الْبِلَادِ، الثَّغْرَةُ ثَغْرَةُ النَّحْرِ، لِسَانِ الْعَرَبِ: مَادَةُ (ثَغَرَ) ١٠٣/٤.

(٨) خَمَدَتْ النَّارُ تَخْمَدُ خُمُودًا سَكَنَ لَهْبُهَا وَلَمْ يُطْفَأْ جَمْرُهَا، لِسَانِ الْعَرَبِ: مَادَةُ (خَمَدَ) ١٦٥/٣، وَفِي بِلَاغَاتِ النِّسَاءِ وَرَدَتْ: وَبَاخَتْ نِيرَانُ الْحَرْبِ.

(٩) هَذَا يَهْدَأُ هَذَا وَهَذَا سَكَنَ، لِسَانِ الْعَرَبِ: مَادَةُ (هَدَأَ) ١٨٠/١.

(١٠) اخْتَصَّ بِذِكْرِهَا صَاحِبُ الْإِحْتِجَاجِ.

(١١) الْوَسْقُ ضَمُّ الشَّيْءِ إِلَى الشَّيْءِ، لِسَانِ الْعَرَبِ: مَادَةُ (وَسَقَ) ٣٧٨/١٠.

(١٢) حَارَ يَحَارُ حَيْرَةً وَحَيْرًا أَيِ تَحَيَّرَ فِي أَمْرِهِ، لِسَانِ الْعَرَبِ: مَادَةُ (حَيْرَ) ٢٢٢/٤.

(١٣) التَّكْوُسُ الرُّجُوعُ إِلَى وِرَاءِ، لِسَانِ الْعَرَبِ: مَادَةُ (نَكَصَ) ١٠١/٧.

(١٤) التَّوْبَةُ / ١٣.

أَلَا وَقَدْ قُلْتُ مَا قُلْتُ هَذَا عَلَى مَعْرِفَةٍ مِنِّي بِالْخَذْلَةِ الَّتِي خَامَرْتُكُمْ ^(١) ، وَالْعَدْرَةَ ^(٢) الَّتِي اسْتَشَعَرْتُهَا ^(٣) قُلُوبُكُمْ ، وَلَكِنَّهَا فَيْضَةُ النَّفْسِ ^(٤) ، وَنَفْثَةُ ^(٥) الْعَيْظِ ، وَخَوْرُ ^(٦) الْقَنَاةِ ^(٧) ، وَبَثَّةِ الصَّدْرِ ^(٨) ، وَتَقْدِمَةُ الْحُجَّةِ ^(٩) ، فَدُونُكُمْ هَا فَاحْتَقِبُوهَا دَبْرَةَ ^(١٠) الظَّهْرِ ، نَقَبَةَ الْخُفِّ ^(١١) ، بَاقِيَةَ الْعَارِ ، مَوْسُومَةً بِغَضَبِ اللَّهِ وَشَنَارِ ^(١٢) الْأَبَدِ ، مَوْصُولَةً بِـ :

Π نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْنَدَةِ O ^(١٣) فَبِعَيْنِ اللَّهِ مَا تَفْعَلُونَ ^(١٤) ، Π وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ

ظَلَمُوا أَيَّ مَنْتَلَبٍ يَنْتَلِبُونَ O ^(١٥) ، وَأَنَا ابْنَةُ نَذِيرٍ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ، فَاعْمَلُوا إِنَّا عَامِلُونَ O ^(١٦) أَنْظِرُوا إِنَّا مُنْظَرُونَ O ^(١٧) .

- (١) أَخْلَدَ إِلَيْهَا أَي رَكَنَ إِلَيْهَا ، لِسَانَ الْعَرَبِ : مَادَّة (خَلَد) ١٦٤ / ٣ .
 (٢) الْخَفْضُ وَالْخَفِيزَةُ جَمِيعاً لَيْنَ الْعَيْشِ وَسَعَتِهِ ، لِسَانَ الْعَرَبِ : مَادَّة (خَفَضَ) ١٤٥ / ٧ .
 (٣) ذَكَرَ الْعَلَامَةُ الْمَجْلِسِيُّ فِي بَحَارِ الْأَنْوَارِ : أَنَّ الْمُرَادَ بِمَنْ هُوَ أَحَقُّ بِالْبَسِطِ وَالْقَبْضِ هُوَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ A .
 (٤) الدُّعَاةُ الْخَفْضُ فِي الْعَيْشِ وَالرَّاحَةِ وَالْهَاءُ عَوْضٌ مِنَ الْوَائِ ، لِسَانَ الْعَرَبِ : مَادَّة (وَدَعَ) ٣٨٠ / ٨ .
 (٥) مَجَّ الشَّرَابِ وَالشَّيْءُ مِنْ فِيهِ يَمُجُّ مَجًّا وَمَجَّ بِهِ رَمَاهُ ، لِسَانَ الْعَرَبِ : مَادَّة (مَجَجَ) ٣٦١ / ٢ .
 (٦) الدَّسَعُ : الدَّفْعُ .
 (٧) سَاعَ الشَّرَابِ فِي الْحَلْقِ يَسُوعُ سَوْغًا وَسَوْغًا سَهْلٌ مَذْخَلُهُ فِي الْحَلْقِ ، لِسَانَ الْعَرَبِ : مَادَّة (سَوَّغَ) ٤٣٥ / ٨ .
 (٨) إِبْرَاهِيمُ / ٨ .
 (٩) خَامَرَ الشَّيْءَ قَارِبَهُ وَخَالَطَهُ ، لِسَانَ الْعَرَبِ : مَادَّة (خَمَرَ) ٢٥٤ / ٤ .
 (١٠) الْغَدْرُ ضِدُّ الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ ، لِسَانَ الْعَرَبِ : مَادَّة (غَدَرَ) ٨ / ٥ .
 (١١) اسْتَشَعَرَ الثُّوبَ لِبَسِهِ ، الشَّعَارُ مَا اسْتَشَعَرَتْ بِهِ مِنَ الثِّيَابِ ، لِسَانَ الْعَرَبِ : مَادَّة (شَعَرَ) ٤١٠ / ٤ .
 (١٢) فَاضُ الْمَاءِ وَالْدَّمَغُ وَنَحْوُهُمَا يَفِيضُ فَيْضًا وَفِيُوضُ وَفِيُوضَانَا وَفِيُوضُوهُ أَي كَثُرَ ، لِسَانَ الْعَرَبِ : مَادَّة (فَيْضَ) ٢١٠ / ٧ ؛ وَفَاضُ الْخَبَرِ : إِذَا شَاعَ وَكَثُرَ ، وَفَاضَتْ نَفْسُهُ : خَرَجَتْ رُوحُهُ ، وَالْمُرَادُ هُنَا إِظْهَارُ الْمَضْمَرِ فِي النَّفْسِ لَاسْتِیْلَاءِ الْهَمِّ وَغَلْبَةِ الْحُزَنِ .
 (١٣) النَّفْثُ شَبِيهُ بِالْإِنْفَاحِ ، لِسَانَ الْعَرَبِ : مَادَّة (نَفَثَ) ١٩٥ / ٢ .
 (١٤) الْخَوْرُ بِالتَّحْرِيكِ الضَّعْفُ ، لِسَانَ الْعَرَبِ : مَادَّة (خَوَرَ) ٢٦١ / ٤ .
 (١٥) الْقَنَاةُ : الرَّمَحُ .
 (١٦) الْبَيْتُ الْخَزْنُ وَالْغَمُّ الَّذِي تُقْضِي بِهِ إِلَى صَاحِبِكَ ، لِسَانَ الْعَرَبِ : مَادَّة (بَثَّ) ١١٤ / ٢ .
 (١٧) تَقْدِمَةُ الْحُجَّةِ : إِعْلَامُ الرَّجُلِ قَبْلَ وَقْتِ الْحَاجَةِ قَطْعًا لِعِزَّتِهِ بِالْغَفْلَةِ .
 (١٨) احْتَقَبَ خَيْرًا أَوْ شَرًّا وَاسْتَحْقَبَهُ ائْتَرَهُ عَلَى الْمَثَلِ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ حَامِلٌ لِعَمَلِهِ وَمَذْخَرٌ لَهُ ، لِسَانَ الْعَرَبِ : مَادَّة (حَقَبَ) ٣٢٤ / ١ ، وَاحْتَقَبَ فَلَانُ الْإِثْمِ : كَانَتْ جَمْعُهُ وَاحْتَقَبَهُ مِنْ خَلْفِهِ ، وَالدَّبْرَةُ بِالتَّحْرِيكِ قَرْحَةُ الدَّابَّةِ وَالْبَعِيرِ ، وَالدَّبْرُ بِالتَّحْرِيكِ الْجَرَحُ الَّذِي يَكُونُ فِي ظَهْرِ الدَّابَّةِ ، لِسَانَ الْعَرَبِ : مَادَّة (دَبَرَ) ٢٦٨ / ٤ .
 (١٩) النَّقَبُ النَّقْبُ فِي أَيِّ شَيْءٍ كَانَ ، وَنَقَبَ الْبَعِيرُ بِالْكَسْرِ إِذَا رَقَّتْ أَخْفَافُهُ ، لِسَانَ الْعَرَبِ : مَادَّة (نَقَبَ) ٧٦٥ / ١ .
 (٢٠) الشَّنَارُ الْعَيْبُ وَالْعَارُ ، لِسَانَ الْعَرَبِ : مَادَّة (شَنَرَ) ٤٣٠ / ٤ .
 (٢١) الْهَمْزَةُ / ٦ - ٧ .
 (٢٢) فِي بَلَاغَاتِ النِّسَاءِ : ... فَبَادِيَتِ الْعَرَبِ وَنَاهَضَتِ الْأُمَمُ وَكَافَحَتِ الْبُهِمَ لَا نَبْرَحُ نَأْمُرُكُمْ وَتَأْمُرُونَ ، حَتَّى دَارَتْ بِنَا رِحَا الْإِسْلَامِ وَدَرَّ حَلْبُ الْأَنَامِ ، وَخَضَعَتْ نَعْرَةُ الشَّرِكِ ، وَبَاخَتِ نِيرَانُ الْحَرْبِ ، وَهَدَّاتِ دَعْوَةَ الْهَرَجِ ، وَاسْتَوْسَقَ نِظَامُ الدِّينِ ، فَأَتَى حَرَمَ بَعْدَ الْبَيَانِ وَنَكَصَتْهُمُ بَعْدَ الْإِقْدَامِ وَأَسْرَرَتْهُمُ بَعْدَ الْإِعْلَانِ لِقَوْمِ نَكْتُوا إِيْمَانَهُمْ ، أَنْتَخَشُونَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ، أَلَا قَدْ أَرَى أَنَّ قَدْ أَخْلَدْتُمْ إِلَى الْخَفْضِ وَرَكَنْتُمْ إِلَى الدُّعَاةِ فَعَجَّتُمْ عَنِ الدِّينِ ، وَبَحَجَّتْ الَّذِي وَعِيتُمْ ، وَدَسَعْتُمْ الَّذِي سَوَّغْتُمْ ، فَإِنْ تَكْفَرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌ حَمِيدٌ ، أَلَا وَقَدْ قُلْتُ الَّذِي قُلْتَهُ عَلَى مَعْرِفَةٍ مِنِّي بِالْخَذْلَانِ الَّذِي خَامَرَ صُدُورَكُمْ ، وَاسْتَشَعَرْتُمْ قُلُوبَكُمْ ، وَلَكِنْ قُلْتَهُ فَيْضَةُ النَّفْسِ ، وَنَفْثَةُ الْغَيْظِ ، وَبَثَّةُ الصَّدْرِ ، وَمَعْدَرَةُ الْحُجَّةِ ، فَدُونُكُمْ هَا فَاحْتَقِبُوهَا مُدْبِرَةَ الظَّهْرِ ، نَاكِبَةَ الْحَقِّ ، بَاقِيَةَ الْعَارِ ، مَوْسُومَةً بِشَنَارِ الْأَبَدِ ، مَوْصُولَةً بِنَارِ اللَّهِ الْمُوقَدَةِ الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْنَدَةِ فَبِعَيْنِ اللَّهِ مَا تَفْعَلُونَ .

فَقَالَتْ B : سُبْحَانَ اللَّهِ ، مَا كَانَ أَبِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ كِتَابِ اللَّهِ صَادِقًا (٣) ، وَلَا لِأَحْكَامِهِ مُخَالَفًا !
 بَلْ كَانَ يَتَّبِعُ أَثَرَهُ ، وَيَقْتَنِي سُوْرَهُ (٤) ، أَفْتَجْمَعُونَ إِلَى الْعَدْرِ اعْتِلَالًا عَلَيْهِ بِالزُّورِ وَالْبُهْتَانِ ، وَهَذَا بَعْدَ وَفَاتِهِ
 شَبِيهَ بِمَا بُغِيَ (٥) لَهُ مِنَ الْغَوَائِلِ (٦) فِي حَيَاتِهِ ، هَذَا كِتَابُ اللَّهِ حَكَمًا عَدْلًا ، وَنَاطِقًا فَصْلًا يَقُولُ : Π يرثي
 وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ O (٧) ، [وَيَقُولُ] (٨) : Π وَمَعِثَ سَلِيمَانَ دَاوُودَ O (٩) ، فَيَنْنِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ
 فِيَمَا وَزَعَ مِنَ الْأَقْسَاطِ ، وَشَرَعَ مِنَ الْفَرَائِضِ وَالْمِيرَاثِ ، وَأَبَاحَ مِنْ حِطِّ الذُّكُورِ وَالْإِنَاثِ ، مَا أَزَاحَ (١٠) بِهِ
 عِلَّةَ الْمُبْطِلِينَ ، وَأَزَالَ التَّظَنِّيَ (١١) وَالشُّبُهَاتِ فِي الْغَابِرِينَ (١٢) ، كَلَّا (١٣)
 Π بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ O (١٤) .

فالتفت السيدة فاطمة B إلى الناس وقالت : مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ الْمُسْرِعَةِ إِلَى قِيلِ الْبَاطِلِ (١٥) ،
 الْمُغْضِيَةِ (١٦) عَلَى الْفِعْلِ [الْقَبِيحِ] (١٧) الْخَاسِرِ ، Π أَفَلَا يَنْدَبُونَ الْقُرْآنَ أَمْرًا عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا O (١٨) ؟
 كَلَّا بَلْ رَانَ (١٩) عَلَى قُلُوبِكُمْ مَا أَسَأْتُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ ، فَأَخَذَ بِسَمْعِكُمْ وَأَبْصَارِكُمْ ، وَلَيْسَ مَا تَأْوَلْتُمْ (٢٠) ،

(١) الشعراء / ٢٢٧ .

(٢) اقتباس من سورة هود / ١٢١ - ١٢٢ .

(٣) الصُّوفُ الْمَيْلُ عَنْ الشَّيْءِ ، وَصَدَفَ عَنِ أَيِّ أَعْرَضَ ، لسان العرب : مادة (صدف) ١٨٧ / ٩ .

(٤) قَفُوتٌ فَلَانًا اتَّبَعَتْ أَثَرَهُ ، لسان العرب : مادة (قفا) ١٥ / ١٩٢ ، وكل مرتفع سَوْرٌ وَفِي رِوَايَةِ سُورَةِ الرَّأْسِ وَمِنْهُ سُورُ الْمَدِينَةِ ، لسان العرب : مادة (سور) ٤ / ٣٨٤ .

(٥) الْبَغْيَةُ الطَّلِبَةُ ، لسان العرب : مادة (بغا) ١٤ / ٧٥ .

(٦) الْغَوَائِلُ الدَّوَاهِي ، وَغَانِلَةٌ أَيْ أَمْرًا مُنْكَرًا دَاهِيًا ، لسان العرب : مادة غول ١١ / ٥٠٧ .

(٧) مريم / ٦ .

(٨) اخْتَصَّ بِإِيرَادِهَا صَاحِبَ الْإِحْتِجَاجِ .

(٩) النمل / ١٦ .

(١٠) زَحَزَحَهُ فَتَزَحَّجَ .

(١١) التَّظَنِّيُّ : إِعْمَالُ الظَّنِّ وَأَصْلُهُ التَّظَنُّنُ ، لسان العرب : مادة (ظنن) ١٣ / ٢٧٢ .

(١٢) الْغَابِرُ : الْبَاقِي وَقَدْ يُطْلَقُ عَلَى الْمَاضِي .

(١٣) فِي بَلَاغَاتِ النِّسَاءِ : ... قَالَتْ إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ عَنْ نَبِيِّ مِنْ أَنْبِيَائِهِ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ، وَقَالَ : وَوَرِثَ سَلِيمَانَ دَاوُدَ ، فَهَذَا نَبِيَّانَ ، وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ النَّبِيَّةَ لَا تُورِثُ وَإِنَّمَا يُورِثُ مَا دُونَهَا ، فَمَالِي أَمْنَعُ إِرْثَ أَبِي ، أَنْزَلَ اللَّهُ فِي الْكِتَابِ إِلَّا فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ فَتَدْلُنِي عَلَيْهِ فَأَقْنَعُ بِهِ ، وَفِي دَلَالِ الْإِمَامَةِ : ... فَقَالَتْ فَاطِمَةُ يَا سُبْحَانَ اللَّهِ مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ مُخَالَفًا ، وَلَا عَنْ حُكْمِهِ صَادِقًا ، فَلَقَدْ كَانَ يَلْتَقِطُ أَثَرَهُ ، وَيَقْتَنِي سَبِيْرَهُ ، أَفْتَجْمَعُونَ إِلَى الظَّلَامَةِ الشَّنْعَاءِ ، وَالْغَلْبَةِ الدَّهْيَاءِ ، اعْتِلَالًا بِالْكَذْبِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ وَإِضَافَةً الْحَيْفِ إِلَيْهِ ، وَلَا عَجَبُ إِنْ كَانَ ذَلِكَ مِنْكُمْ ، وَفِي حَيَاتِهِ مَا بَغَيْتُمْ لَهُ الْغَوَائِلَ وَتَرَقَّبْتُمْ بِهِ الدَّوَانِرَ ، هَذَا كِتَابُ اللَّهِ حَكَمٌ عَدْلٌ ، وَقَانِلُ فَصْلٌ ، عَنْ بَعْضِ أَنْبِيَائِهِ إِذْ قَالَ : يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ، وَفَصْلٌ فِي بَرِيَّتِهِ الْمِيرَاثِ مِمَّا فَرَضَ مِنْ حِطِّ الذُّكُورِ وَالْإِنَاثِ ، فَلَمْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا ؟ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ، وَقَدْ زَعَمْتَ أَنَّ النَّبِيَّةَ لَا تُورِثُ وَإِنَّمَا يُورِثُ مَا دُونَهَا ؛ فَمَالِي أَمْنَعُ إِرْثَ أَبِي ؟ أَنْزَلَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ : إِلَّا فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ ؟ فَدَلَّنِي عَلَيْهِ أَقْنَعُ بِهِ .

(١٤) يوسف / ١٨ .

(١٥) الْقَوْلُ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَالْقَالَ وَالْقِيلُ فِي الشَّرِّ خَاصَّةً ، لسان العرب : مادة (قول) ١١ / ٥٧٢ .

(١٦) غَضُوْتُ عَلَى الشَّيْءِ وَعَلَى الْقَذَى وَأَغْضَيْتُ سَكَتَ ، الْإِعْضَاءُ إِثْنَاءُ الْجُفُونِ وَغَضَى الرَّجُلُ وَأَغْضَى أَطْبَقَ جَفْنَيْهِ عَلَى حَدَقَتَيْهِ وَأَغْضَى عَيْنًا عَلَى قَذَى صَبَرَ عَلَى أَذَى ، لسان العرب : مادة (غضا) ١٥ / ١٢٨ .

(١٧) اخْتَصَّ بِإِيرَادِهَا صَاحِبَ الْإِحْتِجَاجِ .

(١٨) مُحَمَّدٌ / ٢٤ .

(١٩) الرِّينُ الطَّبَعُ وَالذَّنْسُ ، بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ أَيْ غَلَبَ وَطَبَعَ وَخَتَمَ ، لسان العرب : مادة (رين) ١٣ / ١٩٢ .

وَسَاءَ مَا بِهِ أَشْرُتُمْ (٢) ، وَشَرَّ (٣) مَا مِنْهُ اغْتَصَبْتُمْ (٤) ! لَتَجِدَنَّ وَاللَّهِ مَحْمَلَهُ ثَقِيلاً ، وَعَبِيَّهُ (٥) وَبَيْلًا (٦) ،
 إِذَا كُشِفَ لَكُمْ الْغِطَاءُ ، وَبَانَ مَا وَرَأَتْهُ [مِنَ الْبَاسَاءِ وَ (٧) الضَّرَاءِ (٨)] ، وَبَدَا لَكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا
 تَحْتَسِبُونَ (٩) ، وَخَسِ هَذَا الْكَلِمَةُ الْمُبْطِلُونَ O (١٠) .

(١) التَّوِيلُ الْمَرْجِعُ وَالْمَصِيرُ مَأْخُوذٌ مِنْ أَلْ يُوُولُ إِلَى كَذَا أَيْ صَارَ إِلَيْهِ ، التَّوِيلُ نَقْلُ ظَاهِرِ اللَّفْظِ عَنْ وَضْعِهِ الْأَصْلِيِّ ، لِسَانُ الْعَرَبِ :
 مَادَّةُ (أَوَّل) ٣٢ / ١١ .
 (٢) شَاوَرَهُ مُشَاوَرَةً وَشَوَارًا وَاسْتَشَارَهُ طَلَبَ مِنْهُ الْمَشُورَةَ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (شَوْر) ٤ / ٤٣٤ .
 (٣) الشَّرُّ السُّوءُ ، وَشَرٌّ يَشِيرُ وَقَوْمٌ أَشْرَارٌ ضِدُّ الْأَخْيَارِ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : ، مَادَّةُ (شَرَر) ٤ / ٤٠٠ .
 (٤) فِي بَحَارِ الْأَنْوَارِ : (اعْتَضَمْتُ) ، وَتَعَوَّضَ مِنْهُ وَاعْتَضَّ أَخَذَ الْعَوَضَ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (عَوَض) ٧ / ١٩٢ .
 (٥) غَيْبُ الْأَمْرِ وَمَعْبُوتُهُ عَاقِبَتُهُ وَآخِرُهُ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (غَيْب) ١ / ٦٣٤ .
 (٦) الْوَبَالُ فِي الْأَصْلِ الثَّقَلُ وَالْمَكْرُوهُ وَيُرِيدُ بِهِ الْعَذَابُ فِي الْآخِرَةِ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (وَبَل) ١١ / ٧١٨ .
 (٧) أَوْرَدَهَا صَاحِبُ الْإِحْتِجَاجِ دُونَ غَيْرِهِ .
 (٨) الضَّرَاءُ هُوَ بِالْفَتْحِ وَتَخْفِيفِ الرَّاءِ وَالْمَدِّ الشَّجَرُ الْمُتَنَفِّ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (ضَرَا) ١٤ / ٤٨٢ .
 (٩) الزَّمَرُ / ٤٧ .
 (١٠) غَافِرُ / ٧٨ .

خُطْبَةُ السَّيِّدَةِ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ B فِي نِسَاءِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ

عن سويد بن غفلة روي أَنَّهُ لَمَّا مَرَضَتِ السَّيِّدَةُ فَاطِمَةُ B الْمَرَضَةَ الَّتِي
تُوقِفَتْ فِيهَا ، اجْتَمَعَتْ إِلَيْهَا نِسَاءُ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ لِيَعُدَّنَّهَا ، فَقُلْنَ لَهَا : كَيْفَ
أَصَبْتَ مِنْ عِلَّتِكَ يَا ابْنَةَ رَسُولِ اللَّهِ ؟ فَحَمَدَتِ اللَّهَ وَصَلَّتْ عَلَى أَبِيهَا 9 ثُمَّ قَالَتْ
(١) :

أَصَبْتُ وَاللَّهِ عَائِفَةً (٢) لَدُنْيَاكُنَّ (٣) ، قَالِيَةً (٤) لِرِجَالِكُنَّ (٥) ، لَفْظَتْهُمْ (٦) بَعْدَ أَنْ عَجَمَتْهُمْ (٧) ،
وَسَنَأَتْهُمْ (٨) بَعْدَ أَنْ سَبَرَتْهُمْ (٩) ، فَقَبَحًا لِقُلُولِ (١٠) الْحَدِّ [وَاللَّبِّ بَعْدَ الْجِدِّ ، وَقَرَعَ الصَّفَاةَ (١١)] (١٢) ،
وَصَدَعَ (١٣) الْقَنَاةَ (١٤) ، وَخَتَلَ الْآرَاءَ (١٥) ، وَزَلَلَ الْأَهْوَاءَ (١٦) ، وَبَنَسَ مَا قَدَّمَتْ

(١) بلاغات النساء: ص ١٩ - ٢٠ ؛ دلائل الإمامة: ص ٤٠ - ٤١ ؛ معاني الأخبار: ص ٣٥٤ - ٣٥٥ ؛ نشرُ الذرِّ في المحاضرات: ص ٨ - ٩ ؛ الأُمالي للطوسي (ت ٤٦٠ هـ) ؛ ص ٢٣٨ ؛ منال الطالب في شرح طوال الغرائب: ص ٥٢٨ - ٥٢٩ ؛ الاحتجاج: ١ / ٢٨٦ - ٢٩٢ ؛ شرح نهج البلاغة: ١٦ / ٢٣٣ ؛ كشف الغمّة: ٢ / ١١٤ .
(٢) عانفة: أي كارهة ، عاف الشيء يعافه عَيْفًا وَعَيْفًا وَعَيْفًا كَرِهَهُ فَلَمْ يَشْرِبْهُ ، لسان العرب: مادة (عيف) ٢٦٠ / ٩ .
(٣) في بلاغات النساء ونثرُ الذرِّ: لدنياكم ؛ وفي دلائل الإمامة: عايفة لدنياكن .
(٤) القالية: المُبَغِضَةُ ، وَالْقَلَى الْبَغْضُ ، لسان العرب: مادة (قلى) ١٥ / ١٩٨ .
(٥) في بلاغات النساء ونثرُ الذرِّ: لرجالكم .
(٦) لفظتهم: رميت بهم ، وَاللَّفْظُ أَنْ تَرْمِيَ بِشَيْءٍ كَانَ فِي فَيْكِ وَالْفِعْلُ لَفَظَ الشَّيْءَ يَقَالُ لَفَظْتُ الشَّيْءَ مِنْ فَمِي أَلْفَظْهُ لَفْظًا رَمَيْتُهُ ، مادة (لفظ) لسان العرب: ٤٦١ / ٧ .
(٧) العجم: العَضُّ وَالْمَضْغُ ، وفي لسان العرب عجمت: خبرت ، وَعَجِمَ عَوْدَهُ: عَضَّ الْعُودَ يُخْبِرُ صَلَابَتَهُ ؛ جَرَبَ أَمْرَهُ ، وَخَبَرَ حَالَهُ .
(٨) السَّنَاءُ مِثْلُ السَّنَاعَةِ الْبُغْضُ شَبَّيْتُ الشَّيْءَ ، لسان العرب: مادة (سنا) ١٠١ / ١ .
(٩) السَّبَرُ التَّجَرُّبَةُ وَسَبَرُ الشَّيْءِ سَبَرًا حَزَرَهُ وَخَبَرَهُ وَاسْتَبَرَّ لِي مَا عِنْدَهُ أَيْ اعْلَمَهُ وَالسَّبَرُ اسْتِخْرَاجُ كُنْهِ الْأَمْرِ ، وَسَبَرْتُهُمْ: أَيْ اخْتَبَرْتُهُمْ ، لسان العرب: مادة (سبر) ٣٤٠ / ٤ .
(١٠) الْقَلُّ التَّلَمُّ فِي السَّيْفِ ، لسان العرب: مادة (قل) ١١ / ٥٣٠ .
(١١) الصَّفَاةُ الْحَجَرُ الصَّلْدُ الضَّخْمُ الَّذِي لَا يُنْبِتُ شَيْئًا ، لسان العرب: مادة (صفا) ١٤ / ٤٦٢ .
(١٢) هذه العبارة انفرد بها صاحب الاحتجاج ، ولم تُذكر في بلاغات النساء ودلائل الإمامة ونثرُ الذرِّ .
(١٣) الصَّدْعُ الشَّقُّ فِي الشَّيْءِ الصَّلْبِ كَالزَّجَاجَةِ وَالْحَانِطِ ، لسان العرب: مادة (صدع) ٨ / ١٩٤ .
(١٤) القَنَاة: الرَّمْحُ .
(١٥) خَتَلَ الْآرَاءَ زَيَّفَهَا وَخَدَعَهَا ، وَالْخَتْلُ أَيْ الْخَدَاعُ ، لسان العرب: مادة (ختل) ١١ / ١٩٩ ، وَوَرَدَ فِي بَلَاغَاتِ النِّسَاءِ وَدَلَائِلِ
الإمامة: (خطل الرأي) ، وَمَعْنَى الْخَطْلِ: الْمُنْطَقُ الْفَاسِدُ الْمُضْطَرِبُ ، وَخَطَلَ الرَّأْيُ: فَسَادُهُ وَاضْطِرَابُهُ .
(١٦) في بلاغات النساء ودلائل الإمامة: حَذِفَتْ .

لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ (١) ، لَا جَرَمَ (٢) لَقَدْ قَلَّدْتُهُمْ رِبْقَتَهَا (٣) ، وَحَمَلْتُهُمْ أَوْقَتَهَا (٤) ، وَشَنَنْتَ (٥) عَلَيْهِمْ غَارَاتَهَا ، فَجَدَعًا (٦) وَعَقْرًا (٧) ، وَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ .
وَيَحْمِلُهُمْ أَنَّى زَعَزَعُوهَا (٨) عَنْ رَوَاسِي الرِّسَالَةِ ، وَقَوَاعِدِ التَّبَوُّةِ وَالِدَّلَالَةِ (٩) ، وَمَهْبِطِ الرُّوحِ الْأَمِينِ (١٠) ، وَالطَّبِينِ (١١) بِأُمُورِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ؟ Π ! أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ O (١٢) . وَمَا الَّذِي نَقِمُوا مِنْ أَبِي الْحَسَنِ A ؟! نَقِمُوا (١٣) وَاللَّهُ مِنْهُ نَكِيرٌ سَيِّفُهُ ، [وَقَلَّةٌ مُبَالَاةٌ لِحَتْفِهِ (١٤) ، وَشِدَّةٌ وَطَأَتِهِ (١٥) ، وَتَكَالَ (١٦) وَقَعَتِهِ (١٧) ، وَتَمَثَّرَهُ (١٨) فِي ذَاتِ اللَّهِ . وَتَالَهُ لَوْ مَالُوا عَنِ الْمَحَجَّةِ اللَّالِيَةِ ، وَزَالُوا عَنْ قَبُولِ الْحُجَّةِ الْوَاضِحَةِ ، لَرَدَّاهُمْ إِلَيْهَا ، وَحَمَلَهُمْ عَلَيْهَا ، وَلَسَارَ بِهِمْ سَيْرًا سُبْحًا (١٩) ، لَا يَكَلِّمُ (٢٠) خِشَاشَتَهُ (٢١) ، وَلَا يَكِلُ (٢٢) سَائِرَهُ ، وَلَا يَمَلُّ رَاكِبَهُ (٢٣) ، وَلَا وَرَدَهُمْ مَنَهْلًا (٢٤) نَمِيرًا (٢٥) صَافِيًا رَوِيًّا ، تَطْفَحُ (٢٦) صِفَتَاهُ (٢٧) ، وَلَا يَتَرَنَّقُ (٢٨) جَانِبَاهُ ،

- (١) في بلاغات النساء : وبسما قدمت لهم ... ، أما في دلائل الإمامة فقد ذكرت نص الآية (٨٠) من سورة المائدة Π ليس ما قلتمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون O .
(٢) في دلائل الإمامة : لَا جَرَمَ وَاللَّهُ ، وَكَلِمَةُ (لَا جَرَمَ) تورد لتحقيق الشيء .
(٣) الرِّبْقُ الْخِطُّ الْوَاحِدَةُ رِبْقَةٌ ، لسان العرب : مادة (ربق) ١١٢ / ١٠ .
(٤) الْأَوْقُ الثَّقْلُ وَأُلْقِيَ عَلَيْهِ أَوْقَهُ أَيْ ثَقَلَهُ ، لسان العرب : مادة (أوق) ١٢٠ / ١٠ .
(٥) وَشَنَ عَلَيْهِمُ الْغَارَةَ يَشْنُهَا شَنًّا وَأَشْنَّ صَبَّهَا وَبَثَّهَا وَفَرَّقَهَا مِنْ كُلِّ وَجْهِ ، لسان العرب : مادة (شنن) ٢٤١ / ١٣ ، ومعنى شننت عليهم غاراتها : أعلنت عليهم الحرب ، و(الغار) : الجيش الكثير .
(٦) الْجَدْعُ الْقَطْعُ وَقِيلَ هُوَ الْقَطْعُ الْبَائِنُ فِي الْأَنْفِ وَالْأُذُنِ وَالشَّفَةِ وَالْيَدِ وَنَحْوِهَا ، لسان العرب : مادة (جدع) ٤١ / ٨ .
(٧) عَقَرَهُ أَيْ جَرَحَهُ وَالْعَقْرُ شَبِيهٌ بِالْحَزِّ وَعَقَرَ الْفَرَسَ وَالْبَعِيرَ بِالسَّيْفِ عَقْرًا قَطَعَ قَوَانِمَهُ ، لسان العرب : مادة (عقر) ٥٩١ / ٤ .
(٨) الزَّعْزَعَةُ تَحْرِيكُ الشَّيْءِ زَعَزَعَهُ زَعْرَةً فَتَزَعَزَعَ حَرَكَةً لِيَقْلَعَهُ ، لسان العرب : مادة (زع) ١٤١ / ٨ ، وورد في بلاغات النساء ودلائل الإمامة : أنى زحزحوها ...
(٩) حُذِفَتْ مِنْ : بلاغات النساء ودلائل الإمامة .
(١٠) في دلائل الإمامة : ومهبط الروح الأمين ، بالوحي المبين .
(١١) الطَّبِينُ بِالْتَحْرِيكِ الْفُطْنَةُ وَرَجُلٌ طَبِينٌ فَطِنٌ حَاقِقٌ عَالِمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ ، لسان العرب : مادة (طبن) ٢٦٣ / ١٣ .
(١٢) الزمر / ١٥ .
(١٣) النِّقْمَةُ وَالنَّقْمَةُ الْمَكَافَأَةُ بِالْعُقُوبَةِ ، نَقِمْتُ عَلَى الرَّجُلِ أَنْقَمَ بِالْكَسْرِ فَأَنَا نَاقِمٌ إِذَا عَتَبْتُ عَلَيْهِ ، لسان العرب : مادة (نقم) ٥٩٠ / ١٢ .
(١٤) في بلاغات النساء ودلائل الإمامة : بحذفها .
(١٥) الْوَطْأَةُ الْأَخْذَةُ الشَّدِيدَةُ ، لسان العرب : مادة (وطأ) ١٩٥ / ١ .
(١٦) التَّكَالُ الْعُقُوبَةُ ، لسان العرب : مادة (كتل) ٥٨٣ / ١ .
(١٧) الْوَقْعَةُ وَالْوَاقِعَةُ صُدْمَةُ الْحَرْبِ ، لسان العرب : مادة (وقع) ٤٠٢ / ٨ .
(١٨) تَمَثَّرَ لَهُ أَيْ تَنَكَّرَ وَتَغَيَّرَ وَأَوْعَدَهُ لِأَنِ الثَّمِيرَ لَا تَلْقَاهُ أَبَدًا إِلَّا مُتَنَكِّرًا غَضْبَانٌ وَالثَّمَرُ ضَرْبٌ مِنَ السِّبَاعِ أَخْبَثُ مِنَ الْأَسَدِ ، لسان العرب : مادة (نمر) ٢٣٤ / ٥ .
(١٩) السَّجْحُ : اللَّيْنُ السَّهْلُ ، لسان العرب : مادة (سجح) ٤٧٥ / ٢ .
(٢٠) الْكَلْمُ الْجُرْحُ ، لسان العرب : مادة (كلم) ٥٢٢ / ١٢ .
(٢١) الْخَشَاشُ وَالْخَشَاشَةُ الْعَوْدُ الَّذِي يَجْعَلُ فِي أَنْفِ الْبَعِيرِ ، لسان العرب : مادة (خشش) ٢٩٥ / ١١ .
(٢٢) كَلَّ يَكِلُ كَلًّا وَكَلَالًا وَكَلَالَةُ الْأَخِيرَةِ عَنِ اللَّحْيَانِي أَغْيَا ، لسان العرب : مادة (كلل) ٥٩٠ / ١١ .
(٢٣) في بلاغات النساء ودلائل الإمامة : وَلَا يُتَعَتَّعُ رَاكِبُهُ ، وَمَعْنَى التَّعَتُّعِ : الْحَرَكَةُ الْعَنِيْفَةُ وَقَدْ تَعَتَّعَهُ إِذَا عَثَلَهُ وَأَقْلَقَهُ ، لسان العرب : ٣٥ / ٨ .
(٢٤) الْمَنَهْلُ الْمَوْضِعُ الَّذِي فِيهِ الْمَشْرَبُ وَالْمَنَهْلُ الشَّرْبُ ، لسان العرب : مادة (نهل) ٦٨٠ / ١١ .
(٢٥) الثَّمِيرُ وَالثَّمِيرُ كِلَاهُمَا الْمَاءُ الزَّاكِي فِي الْمَاشِيَةِ ، لسان العرب : مادة (نمر) ٢٣٤ / ٥ .

وَأَصْدَرَهُمْ بَطَانًا (٤) ، وَنَصَحَ لَهُمْ سِرًّا وَإِعْلَانًا ، وَلَمْ يَكُنْ يَتَحَلَّى مِنَ الْغِنَى بِطَائِل (٥) ، وَلَا يَحْطَى مِنَ الدُّنْيَا بِبَائِل (٦) ، غَيْرَ رِيِّ النَّاهِل (٧) ، وَشِبَعَةَ الْكَافِل (٨) ، وَلَبَانَ لَهُمُ الزَّاهِدُ مِنَ الرَّاغِبِ ، وَالصَادِقُ مِنَ الْكَاذِبِ ، Π وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَنَحْنُ عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ O (٩) ، Π وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَبَاطٌ مِمَّا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ O (١٠) .

أَلَا هَلُمَّ (١١) فَاسْتَمِعْ (١٢) ! وَمَا عِشْتَ أَرَاكَ الدَّهْرُ عَجَبًا !! وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ (١٣) ! لَيْتَ شِعْرِي إِلَى أَيِّ سِنَادٍ (١٤) اسْتَنْدُوا ؟! وَإِلَى أَيِّ عِمَادٍ اعْتَمَدُوا ؟! وَبِأَيَّةِ (١٥) عُرْوَةٍ تَمَسُّكُوا ؟! وَعَلَى آيَةِ ذُرِّيَّةٍ أَقْدَمُوا وَاحْتَكَكُوا (١٦) ؟! Π لَبَسَ الْمَوْلَى وَلَبَسَ الْعَشِيرُ O (١٧) ، و Π بَسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا O (١٨) ، اسْتَبَدَّلُوا وَاللَّهُ الدُّنْيَا (١٩) بِالْقَوَادِمِ ، وَ الْعَجَزَ (٢٠) بِالْكَاهِلِ (٢١) ، فَرَعَمًا لِمِعَاطِسِ (٢٢) قَوْمٍ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ

(١) طَفَحَ الْإِنَاءُ وَالنَّهْرُ يَطْفُحُ طَفْحًا وَطُفُوحًا امْتَلَأَ وَارْتَفَعَ حَتَّى يَفِضَ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (طَفَحَ) ٥٣٠ / ٢ .

(٢) الضُّفَّةُ بِالْكَسْرِ جَانِبُ النَّهْرِ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (ضَفَفَ) ٢٠٦ / ٩ .

(٣) الرِّقُّ تَرَابٌ فِي الْمَاءِ مِنَ الْقَذَى وَنَحْوَهُ وَرِثَقَ الْمَاءُ وَتَرَثَقَ كَثُرَ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (رَنَقَ) ١٢٦ / ١٠ .

(٤) بَطْنٌ بِالْكَسْرِ يَبْطُنُ بَطْنًا عَظُمَ بَطْنُهُ مِنَ الشَّبَعِ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (بَطَنَ) ٥٢ / ١٣ .

(٥) الطَّائِلُ النَّفْعُ وَالْفَائِدَةُ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (طَوَّلَ) ٤١٠ / ١١ .

(٦) أَنَالَهُ مَعْرُوفُهُ وَتَوَكَّلَهُ : أُعْطَاهُ مَعْرُوفَهُ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (نَوَّلَ) ٦٨٣ / ١١ .

(٧) الرِّي : مَنْ رَوَى مِنَ الْمَاءِ بِالْكَسْرِ وَمَنْ اللَّبَنَ يَرْوِي رِيًّا ، وَالرَّيَّانُ ضِدُّ الْعَطْشَانِ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (رَوَى) ٣٤٥ / ١٤ .

(٨) الْكَافِلُ الْعَائِلُ ، وَالْكَافِلُ الْقَائِمُ بِأَمْرِ الْيَتِيمِ الْمَرْبِيِّ لَهُ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : ١١ مَادَّةُ (كَفَّلَ) ٥٨٨ / ١١ .

(٩) الْأَعْرَافُ / ٩٦ .

(١٠) الزَّمَرُ / ٥١ .

(١١) فِي بَلَاغَاتِ النِّسَاءِ : ... وَمَا الَّذِي نَقَمُوا مِنْ أَبِي الْحَسَنِ نَقَمُوا وَاللَّهُ مِنْهُ نَكِيرٌ سِيفُهُ وَشِدَّةُ وَطْأَتِهِ وَنَكَالُ وَقَعَتِهِ وَتَنْمُرُهُ فِي ذَاتِ اللَّهِ وَيَاللَّهِ لَوْ تَكَافَأُوا عَلَى زَمَانٍ نَبِذَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَسَارَ بِهِمْ سِيرًا سَجَحًا لَا يَكْلُمُ خَشَاشَهُ وَلَا يُتَعَتَعُ رَاكِبُهُ وَلَا يُورِدُهُمْ مِنْهُلًا رَوِيًّا فَضْفَاضًا تَطْفَحُ ضِقَّتَاهُ وَأَصْدَرَهُمْ بَطَانًا قَدْ تَحَرَّى بِهِمُ الرِّيَ غَيْرَ مُتَجَلٍّ مِنْهُمْ بَطَائِلُ بَعْلَمُهُ الْبَاهِرُ وَرَدْعُهُ سُورَةُ السَّاعِبِ وَلِفَتْحَتْ عَلَيْهِمْ بَرَكَاتُ مِنَ السَّمَاءِ وَسَيَأْخُذُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ، أَلَا هَلَمُنْ فَاسْمَعْنَ وَمَا عِشْتُنْ أَرَاكَ الدَّهْرُ عَجَبًا إِلَى ...

(١٢) فِي دَلَائِلِ الْإِمَامَةِ : أَلَا فَاسْمَعْنَ ، وَمَنْ عَاشَ أَرَاهُ الدَّهْرُ الْعَجَبَ ؛ وَفِي نَثْرِ الدَّرِّ : أَلَا هَلُمَّ فَاسْتَمِعْ ، وَمَا عِشْتَ أَرَاكَ الدَّهْرُ عَجَبًا .

(١٣) فِي بَلَاغَاتِ النِّسَاءِ : بِحَذْفِهَا ، وَفِي دَلَائِلِ الْإِمَامَةِ : وَإِنْ تَعَجِبْنَ فَانْظُرْنَ إِلَى أَيِّ نَحْوٍ اتَّجِهُوا .

(١٤) فِي بَلَاغَاتِ النِّسَاءِ : إِلَى أَيِّ لَجَأٍ لَجَأُوا وَاسْتَنْدُوا ، وَعَلَى أَيِّ سَنَدٍ اسْتَنْدُوا .

(١٥) فِي بَلَاغَاتِ النِّسَاءِ وَدَلَائِلِ الْإِمَامَةِ : وَبِأَيِّ .

(١٦) احْتَكَكُوا : مَأْخُذٌ مِنْ احْتَكَاكَ الْجَرَادُ الْأَرْضَ إِذَا أَتَى عَلَى نَبْتِهَا ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (حَنَكَ) ٤١٦ / ١٠ .

(١٧) الْحَجَّ / ١٣ .

(١٨) الْكَهْفُ / ٥٠ .

(١٩) فِي نَثْرِ الدَّرِّ : الدُّنْيَا ، وَالدُّنْيَا : ذَنْبُ الطَّائِرِ ، وَأَذْنَابُ النَّاسِ وَذُنُوبُهُمْ أَتْبَاعُهُمْ وَسِقْلَتُهُمْ دُونَ الرُّؤْسَاءِ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (ذَنْبَ) ٣٨٩ / ١ .

(٢٠) الْعَجَزُ : عَجَزُ الشَّيْءِ وَعَجْزُهُ وَعَجْزُهُ وَعَجْزُهُ آخَرُهُ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (عَجَزَ) ٣٦٩ / ٥ .

(٢١) الْكَاهِلُ مُقَدَّمٌ عَلَى الظَّهْرِ مِمَّا يَلِي الْعُنُقَ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (كَهَلَ) ٦٠٠ / ١١ ، (كَاهَلَ الْقَوْمَ) : عَمِدَتُهُمْ فِي الْمَهْمَاتِ وَعَدَّتُهُمْ لِلشَّدَائِدِ وَالْمَلَمَّاتِ .

(٢٢) الْمَغْطِسُ وَالْمَغْطَسُ الْأَنْفُ لِأَنَّ الْعُطَاسَ مِنْهُ يَخْرُجُ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (عَطَسَ) ١٤٢ / ٦ .

يُحْسِنُونَ صُنْعًا ، Π أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ O (١) ، ويجهم Π أَمَنْ يَهْدِي إِلَيَّ
 الْحَقُّ أَحَقُّ أَنْ يُنَجَّ أَمَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ O ؟ (٢) !؟ أَمَا لَعَمْرِي
 لقد (٣) لَقِيتَ (٤) فَتَظْرَةً (٥) رَيْثُمَا (٦) تُنتِج ، ثُمَّ احْتَلَبُوا مِلءَ (٧) الْقَعْبِ (٨) دَمًا عَبِيطًا (٩) وَدُعَاً
 مُبِيدًا (١٠) ، هُنَالِكَ يَخْسِرُ الْمُبْطِلُونَ ، وَيَعْرِفُ التَّالُونَ (١١) غَيْبَ (١٢) مَا أَسَّسَ الْأَوَّلُونَ ، ثُمَّ طَيَّبُوا عَنْ دُنْيَاكُمْ
 أَنْفُسًا (١٣) ، وَاطْمَئَنُّوا لِلْفَتْنَةِ جَاشًا (١٤) ، وَأَبْشَرُوا بِسَيْفٍ صَارِمٍ (١٥) ، وَسَطَوَةَ مُعْتَدٍ غَاشِمٍ (١٦) ، وَبَهْرَجَ
 شَامِلٍ (١٧) ، وَاسْتَبَدَّادَ (١٨) مِنَ الظَّالِمِينَ ، يَدْعُ فَيُنْكِمُ (١٩) زَهِيدًا (٢٠) ، وَجَمْعَكُمْ حَصِيدًا (٢١) ، فَيَا
 حَسْرَةً (٢٢) لَكُمْ ! وَإِنِّي (٢٣) بِكُمْ ، وَقَدْ عُمِيتَ عَلَيْكُمْ ، أَتُلْزِمُكُمْوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ..

خُطْبَةُ السَّيِّدَةِ زَيْنَبِ B بِحَضْرَةِ

أَهْلَ الْكَوْفَةِ

- (١) البقرة / ١٢ .
 (٢) يونس / ٣٥ .
 (٣) في بلاغات النساء : أما لعمر الهنّ ، وفي دلالات الإمامة : ألا لعمر الله .
 (٤) يقال لَقِيتَ إِذَا حَمَلْتُ ، لسان العرب : مادة (ل ق ح) ٥٧٩ / ٢ .
 (٥) النَّظْرَةُ بِكَسْرِ الظَّاءِ التَّأخِيرُ فِي الْأَمْرِ ، لسان العرب : مادة (نظر) ٢١٥ / ٥ ؛ وقد وردت في دلالات الإمامة : فانظروها تنتج .
 (٦) الرَّيْثُ الْإِنْطَاءُ ، فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا رَيْثُمَا قُلْتُ أَيَّ إِلَّا قَدَّرَ ذَلِكَ ، لسان العرب : مادة (ريث) ١٥٧ / ٢ .
 (٧) في بلاغات النساء ودلائل الإمامة : طلاع القعب .
 (٨) الْقَعْبُ الْقَدْحُ الضَّخْمُ الْغَلِيظُ الْجَافِي وَقِيلَ قَدَحٌ مِنْ خَشَبٍ مَقْعَرٌ ، لسان العرب : مادة (قعب) ٦٨٣ / ١ .
 (٩) الْعَبِيطُ وَهُوَ الدَّمُ الطَّرِي ، لسان العرب : مادة (عبط) ٣٤٧ / ٧ .
 (١٠) الدُّعَاةُ سَمٌّ قَاتِلٌ ، لسان العرب : مادة (د ع ف) ١٠٩ / ٩ ، وورد في بلاغات النساء ودلائل الإمامة : ودُعَاةٌ مَمْقَرَةٌ ، وَالْمَقَرُّ شَبِيهِ الصَّبْرِ وَلَيْسَ بِهِ وَقِيلَ هُوَ الصَّبْرُ نَفْسَهُ ، لسان العرب : مادة (مقر) ١٨٢ / ٥ .
 (١١) هكذا ورد في بحار الأنوار نقلاً عن معاني الأخبار وأمالى الطوسي وشرح النهج لابن أبي الحديد ، وقد ورد في بلاغات النساء ودلائل الإمامة : المبطلون .
 (١٢) غَيْبُ الْأَمْرِ وَمَغِيبُهُ عَاقِبَتُهُ وَآخِرُهُ ، لسان العرب : مادة (غيب) ٦٣٤ / ١ ، وقد حذف في دلالات الإمامة .
 (١٣) في بلاغات النساء : ثُمَّ أَطِيبُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ نَفْسًا ؛ وفي دلالات الإمامة : فليطيبوا بعد ذلك نفساً .
 (١٤) الْجَاشُ النَّفْسُ وَقِيلَ الْقَلْبُ ، لسان العرب : مادة (جاش) ٢٦٩ / ٦ ، وورد في بلاغات النساء : وطامنوا ؛ وفي دلالات الإمامة : وليطمأنوا .
 (١٥) الصَّارِمُ : السَّيْفُ الْقَاطِعُ ، لسان العرب : مادة (صمع) ٣٣٤ / ١٢ .
 (١٦) الْغَشْمُ : الظُّلْمُ وَالْغَضَبُ ، لسان العرب : مادة (خشم) ٤٣٧ / ١٢ .
 (١٧) في بلاغات النساء : وبقرح شامل ؛ وفي دلالات الإمامة : وهرج شامل .
 (١٨) في دلالات الإمامة : واستبدال من الظالمين .
 (١٩) الْفِيءُ : الْغَنِيمَةُ وَالْخَرَّاجُ ، لسان العرب : مادة (ف ي أ) ١٢٤ / ١ ، وقد ورد في بلاغات النساء : يدع فيكم .
 (٢٠) الزَّهِيدُ : الْقَلِيلُ ، وَشَيْءٌ زَهِيدٌ قَلِيلٌ ، لسان العرب : مادة (زهد) ١٩٦ / ٣ .
 (٢١) في معاني الأخبار : وزرعكم حصيداً .
 (٢٢) في دلالات الإمامة : فيا خسرى لكم .
 (٢٣) في بلاغات النساء : وإني بكم .

روى المؤرخون أن السيدة زينب B قد أشارت إلى الناس بأن أنصتوا فارتدت
الأنفاس وسكنت الأجراس ، ثم قالت (١) - بعد حمد الله تعالى والصلاة على رسوله
9 (٢) :-

((أَمَا بَعْدُ يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ ! يَا أَهْلَ الْخَتْلِ (٣) وَالْعَذْرِ وَالْخَذَلِ وَالْمَكْرِ (٤) ، أَلَا فَلَا رَقَاتِ الْعَبْرَةِ (٥) ،
وَلَا هَدَاتِ الزُّفْرَةِ (٦) ، إِنْ مَّا مَثَلُكُمْ كَمَثَلِ الَّتِي نَقَصَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا (٧) تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَالًا
بَيْنَكُمْ (٨) ، هَلْ فِيكُمْ (٩) إِلَّا الصَّلَفُ (١٠) وَالْعَجَبُ (١١) ، وَالشَّنْفُ (١٢) وَالْكَذِبُ ، وَمَلَقُ الْإِمَاءِ (١٣) ،
وَعَمْرُ الْأَعْدَاءِ ؟ (١٤) أَوْ كَمَرَعَى (١٥) عَلَى دِمْنَةٍ (١٦) ، أَوْ كَفِصَّةٍ عَلَى مَلْحُودَةٍ (١٧) ، أَلَا بَسْ (١٨) مَا
قَدَمْتُ لَكُمْ (١٩) أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فِي الْعَذَابِ أَنْتُمْ خَالِدُونَ (٢٠) ، أَتَبْكُونَ أَخِي (٢١) ؟ ! أَجَلُ
وَاللَّهِ فَأَبْكُوا فَإِنَّكُمْ وَاللَّهِ أَحْرَبَاءُ بِالْبُكَاءِ (٢٢) .

(١) الاحتجاج : ٢ / ١٠٩ - ١١٣ ؛ اللهوف في قتلى الطفوف : ص ٩٤ - ٩٥ ؛ الدر المنثور لزینب العاملي : ص ٢٣٣ ؛ الفتوح : ٥ / ٢٢٣ - ٢٢٥ ؛ مقتل الخوارزمي : ٢ / ٤٥ ؛ مثير الأحزان : ٨٦ ؛ بحار الأنوار : ٤٥ / ١٦٢ - ١٦٣ ؛ وفي بعض المصادر أنها
نسبت إلى السيدة أم كلثوم B ومنها : بلاغات النساء ص ٢٣ ، أدب النساء ص ١١٦ ؛ جمهرة خطب العرب : ٢ / ١٢٤ مع التغيير
في بعض ألفاظها ؛ وسبب نسبتها إلى السيدة أم كلثوم B إنما هو متأت من أن السيدة زينب B تكنى بأُم كلثوم كما أشرنا أنفاً في
ترجمتها .

(٢) في اللهوف : ((الحمد لله والصلاة على أبي جدي محمد وآله الطيبين الأخيار)) .

(٣) الختل أي الخداع ، لسان العرب : ١١ / ١٩٩ ، مادة (ختل) .

(٤) الخاذل ضد الناصر خذله وخذل عنه يخذله خذلاً وخذلاً ترك نصرته وعونه ، لسان العرب : ١ / ٢٠٢ ، والمكر
احتيال في خفية ، لسان العرب : مادة (مكر) ٥ / ١٨٣ ، وورد في الدر المنثور : يا أهل كوفة الختل والخذل أتبكون

(٥) في اللهوف : رقات الذمعة ، وفي الدر المنثور : فلا سكنت العبيرة .

(٦) في اللهوف والدر المنثور : ولا هدأت الزفرة .

(٧) نكت العهد والحبل فانتكت أي نقضه فانتقص : لسان العرب : مادة (نكت) ٢ / ١٩٦ .

(٨) الدخل : يعني دغلاً وخديعة ومكرراً ، لسان العرب : مادة (دخل) ١١ / ٢٣٩ .

(٩) في اللهوف : ألا وهل فيكم ، وفي الدر المنثور : ألا وإن فيكم .

(١٠) يضرب مثلاً للرجل الذي يكثر الكلام والمدح لنفسه ولا خير عنده ، لسان العرب : مادة (صلف) ٩ / ١٩٦ .

(١١) في اللهوف : النطف ، وفي الدر : الضفف .

(١٢) في اللهوف والدر : الصدر والشنف ؛ والشنف من شنفه شنفاً أبغضه ، لسان العرب : مادة (شنف) ٩ / ١٨٣ .

(١٣) في الدر : وملك الأمة .

(١٤) الغمر الماء الكثير ، ومعناها هنا كثرة الأعداء ، لسان العرب : مادة (غمر) ٥ / ٢٩ ، وورد في بلاغات النساء واللهوف : وغمر
الأعداء الإشارة بالعين والحاجب والجفن ، لسان العرب : مادة (غمر) ٥ / ٣٨٨ ؛ وورد في نثر الدر : وحجز الأعداء

(١٥) في بلاغات النساء : وهل أنتم إلا كمرعى .

(١٦) الذمعة الموضع الذي يلتبذ فيه السرقيين ، لسان العرب : مادة (دمن) ١٣ / ١٥٧ .

(١٧) في البحار ومثير الأحزان : أو كفصة على ملحودة ، ومعنى اللحد واللحد الشق الذي يكون في جانب القبر ، لسان العرب : مادة
(لحد) ٣ / ٣٨٨ .

(١٨) في بلاغات النساء واللهوف : ألا ساء ؛ وفي الدر المنثور : ألا ساء ما تزرلون .

(١٩) في بلاغات النساء : بحذف لكم .

(٢٠) في الدر المنثور : بحذف - أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون .

(٢١) في بلاغات النساء : أتبكون أي والله فابكوا ؛ وفي اللهوف : أتبكون وتنتحبون .

(٢٢) في البحار : أحق بالبكاء .

فَابْكُوا كَثِيرًا وَاضْحَكُوا قَلِيلًا ، فَقَدْ بُلِيْتُمْ بِعَارِهَا (١) ، وَمُنِيْتُمْ بِشَنَارِهَا (٢) وَلَنْ تَرْحَضُوهَا أَبَدًا (٣)
وَأَنْتِ تَرْحَضُونَ قَتْلَ سَلِيلِ خَاتِمِ النَّبُوَّةِ ، وَمَعْدِنِ الرِّسَالَةِ ، وَسَيِّدِ شَبَابِ (٤) أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَمَلَاذِ
حَرِيمِكُمْ (٥) ، وَمَعَاذِ حَزْبِكُمْ ، وَمَقَرِّ سَلَمِكُمْ ، وَآسِي كَلِمِكُمْ (٦) ، وَمَفْزَعِ نَازِلِيَّتِكُمْ (٧) ، وَالْمَرْجِعِ إِلَيْهِ عِنْدَ
مُقَاتَلَتِكُمْ ، وَمَدْرَةِ (٨) حُجَجِكُمْ (٩) وَمَنَارِ مَحَجَّتِكُمْ (١٠) ، أَلَا سَاءَ مَا قَدَّمْتُمْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ (١١) ، وَسَاءَ مَا
تَزْرُونَ لِيَوْمِ بَعْثِكُمْ .

فَتَعَسَا تَعَسَا (١٢) ! وَنَكَسَا نَكَسَا (١٣) ! لَقَدْ خَابَ السَّعْيُ ، وَتَبَّتِ الْأَيْدِي (١٤) ، وَخَسِرَتِ الصَّفَقَةُ ،
وَبُؤْتُمْ (١٥) بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ، وَضُرِبَتْ عَلَيْكُمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ .

(١) في بلاغات النساء : فَلَقَدْ فَرَّثُمْ بِعَارِهَا ، وفي اللهوف : فَلَقَدْ ذَهَبْتُمْ بِعَارِهَا وَشَنَارِهَا ، ومعنى العارِ السُّبَّةُ والعيب وقيل هو كل شيء يلزم به سُبَّةٌ أو عيب ، لسان العرب : مادة (عير) ٦٢٠ / ٤ .
(٢) الشَّنَارُ العيب والعارُ ، لسان العرب : مادة (شنار) ٤٣٠ / ٤ .
(٣) في بلاغات النساء واللهوف : وَلَنْ تَرْحَضُوهَا بِغُسْلٍ بَعْدَهَا أَبَدًا ، ومعنى الرَّحَضُ الغُسْلُ ، لسان العرب : مادة (رحض) ١٥٣ / ٧ .
(٤) في بلاغات النساء : شبان .
(٥) في اللهوف : ملاذ خَيْرَتِكُمْ ، وفي بحار الأنوار : ملاذ حَرِيمِكُمْ .
(٦) المعاذ من عاذ به يَعُوذُ عَوْذًا وَعِيَاذًا وَمَعَاذًا لَأَذِيهِ وَلِجَأٍ إِلَيْهِ وَاعْتَصَمَ لِسَانُ الْعَرَبِ : ج ٣ / ص ٩٨ ، مادة (عوذ) ، والحزْبُ جماعة الناس والجمع أحزابٌ ، لسان العرب : مادة (حزب) ٣٠٨ / ١ ، والآسي : طبيب الجُرْحِ ، وجمعها : إساء وأساءة ، وفي الخطبة وردت بمعنى : دواء جُرْحِكُمْ .
(٧) المَفْزَعُ هو من فزع إليه أي مَلْجَأٌ لِمَنِ التَّجَاؤُ إِلَيْهِ ، لسان العرب : مادة (فزع) ٢٥١ / ٨ ، والنازلة الشدَّة من شدائد الدهر تنزل بالناس ، لسان العرب : مادة (نزل) ٦٥٦ / ١١ ، وورد في بلاغات النساء : ومفرخ نازلتمكم .
(٨) المَدْرَةُ : زَعِيمُ الْقَوْمِ وَرئيسهم وسيدهم وقيل رئيسهم المتكلم عنهم ومذَرُهُمْ ، لسان العرب : مادة (زعم) ٢٦٤ / ١٢ .
(٩) في اللهوف : ومَدْرَةُ سُنَّتِكُمْ .
(١٠) في اللهوف : ومَنَارِ حُجَّتِكُمْ ، والمَحَجَّةُ الطريق وقيل جادة الطريق ، لسان العرب : مادة (حجج) ٢٢٦ / ٢ .
(١١) أَلَا سَاءَ مَا تَزْرُونَ .
(١٢) في بلاغات النساء : فَتَعَسَا وَنَكَسَا ، والنَّكَسُ قلب الشيء على رأسه ، لسان العرب : مادة (نكس) ٢٤١ / ٦ .
(١٣) في اللهوف : وَبُعْدًا لَكُمْ وَسُخْفًا .
(١٤) خَابَ يَخِيبُ خَيْبَةً حُرْمَ وَلَمْ يَلْ مَا طَلِبَ ، لسان العرب : مادة (خيب) ٣٦٨ / ١ ، وورد في اللهوف : بحذف تَبَّتِ الْأَيْدِي .
(١٥) الصَّفَقَةُ الاجتماعُ على الشيء ، وصفقة رابحة وصفقة خاسرة ، لسان العرب : مادة (صفق) ٢٠٠ / ١٠ ، وبإع إلى الشيء يَبُوعُ يَبُوعًا رَجَعَ ، لسان العرب : مادة (بوا) ٣٦ / ١ .

أَتَذَرُونَ وَيَلْكُمُ أَيَّ كَبِدٍ لِمَحَمَّدٍ (١) ؟ فَرْتُمْ ؟ (٢) ! وَأَيَّ عَهْدٍ نَكُتُمْ ؟ (٣) ! وَأَيَّ كَرِيمَةٍ لَهُ أَتَبَرَزْتُمْ ؟ ! وَأَيَّ حُرْمَةٍ لَهُ هَتَكْتُمْ (٤) ؟ ! وَأَيَّ دَمٍ لَهُ سَفَكْتُمْ ؟ ! لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا (٥) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا !

لَقَدْ جِئْتُمْ بِهَا شَوْهَاءَ (٦) ، [صَلْعَاءَ ، عَنَقَاءَ ، سَوْدَاءَ ، فَقَمَاءَ] (٧) خَرْقَاءَ (٨) طِلَاعَ (٩) الْأَرْضِ (١٠) وَالسَّمَاءِ (١١) ، أَفَعَجِبْتُمْ أَنْ تُمَطَّرَ (١٢) السَّمَاءُ دَمًا ، وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ (١٣) ، فَلَا يَسْتَحِفُّكُمْ الْمُهْلُ ، فَإِنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (١٤) لَا يَخْفِرُهُ (١٥) الْبِدَارُ وَلَا يُخْشَى (١٦) عَلَيْهِ قُوَّةُ النَّارِ ، كَلَّا إِنَّ رَبَّكَ لَنَا وَلَهُمْ لِبَالِمرْصَادٍ (١٧) ، ثُمَّ أَنْشَأَتْ B تقول :

مَاذَا تَقُولُونَ إِذْ قَالَ النَّبِيُّ لَكُمْ	مَاذَا صَنَعْتُمْ وَأَنْتُمْ آخِرُ الْأُمَمِ
بِأَهْلِ بَيْتِي وَأَوْلَادِي وَتَكْرِمَتِي	مِنْهُمْ أُسَارَى وَمِنْهُمْ ضُرِّجُوا بِدَمٍ
مَا كَانَ ذَاكَ جَزَائِي إِذْ نَصَحْتُ لَكُمْ	أَنْ تَخْلِفُونِي بِسُوءٍ فِي ذَوِي رَحِمِي
إِنِّي لِأَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ يَحِلَّ بِكُمْ	مِثْلُ الْعَذَابِ الَّذِي أَوْدَى عَلَى إِرَمِ

(١) في اللهوف : وَيَلْكُمُ يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ ! أَتَذَرُونَ أَيَّ كَبِدٍ لِرَسُولِ اللَّهِ فَرِئْتُمْ ؛ وفي بلاغات النساء وبحار الأنوار ومثير الأحزان : فَرِئْتُمْ .
(٢) الفرثُ تَفْتِيتُ الكبد بالغم والأذى ، لسان العرب : مادة (فرث) ١٧٦ / ٢ .
(٣) نَكْتُ العَهْدَ والحبلُ فَاثْتَكْتُ أَي نَقَضَهُ فَاثْتَقَضَ ، لسان العرب : مادة (نكث) ١٩٦ / ٢ ، وورد في اللهوف : بحذفها .
(٤) أَبَرَزَ الكتابُ أَخْرَجَهُ ، لسان العرب : مادة (برز) ٣٠٩ / ٥ ، والهتْكُ خَرْقُ السَّيْرِ عما وراءه ، لسان العرب : مادة (هتك) ١٠ / ٥٠٢ ،، وورد في اللهوف : وَأَيَّ حُرْمَةٍ لَهُ هَتَكْتُمْ .
(٥) السَّفَكُ صَبُّ الدَّمِ ، وَسَفَكَ الدَّمُ وَالدَّمُ يَسْفِكُهُ سَفْكَاً فَهُوَ مَسْفُوكٌ وَسَفِيكَ صَبَهُ وَهَرَاقَهُ ، لسان العرب : ١ مادة (سفك) ٤٣ / ٥ ، لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا : أَي الأمرُ الفظيعُ العظيم والداهية ، لسان العرب : مادة (أد) ٧١ / ٣ .
(٦) الشَّوْهَاءُ القبيحةُ ، لسان العرب : مادة (شوه) ٥٠٨ / ١٣ ، وفي الخطبة معناها فعلة أو جريمة شوهاء .
(٧) هكذا ورد في اللهوف ، والصَّلْعَاءُ فِي كلام العرب اطلداهية والأمر الشديد ، لسان العرب : مادة (صلع) ٢٠٤ / ٨ ، والعَنَقَاءُ الداهية ، لسان العرب : مادة (عنق) ٢٧١ / ١٠ ، والفَقَمَاءُ المائلة ، لسان العرب : مادة (فقم) ٤٥٧ / ١٢ .
(٨) الخَرْقَاءُ الشديدة ، والخَرْقُ الشَّقُّ ، لسان العرب : مادة (خرق) ٧٣ / ١٠ .
(٩) في اللهوف : كَطِلَاعِ .
(١٠) طِلَاغُ الْأَرْضِ مِلْوُهَا ، لسان العرب : مادة (طلع) ٢٣٥ / ٨ .
(١١) في اللهوف : أَوْ مِلَاءُ السَّمَاءِ .
(١٢) في بلاغات النساء : قَطَرَتِ السَّمَاءُ ، وفي اللهوف : مَطَرَتِ السَّمَاءُ .
(١٣) في بلاغات النساء : وَهُمْ لَا يُنظَرُونَ ، وفي اللهوف : وَأَنْتُمْ لَا تُنصَرُونَ .
(١٤) الْمَهْلُ وَالْمَهْلُ وَالْمَهْلَةُ كُلُّهُ السَّكِينَةُ وَالرَّفَقُ وَأَمْنُهُ أَنْظَرَهُ ، لسان العرب : مادة (مهمل) ٦٣٣ / ١١ ، وورد في بلاغات النساء واللهوف : بِحَذَفِ عَزَّ وَجَلَّ .
(١٥) أَخْفَرَهُ نَقَضَ عَهْدَهُ وَغَدَرَهُ وَأَخْفَرَ الذِّمَّةَ لَمْ يَفِ بِهَا ، لسان العرب : مادة (خفر) ٢٥٣ / ٤ ، وورد في بلاغات النساء : لَا تَحْفَرُهُ الْمِبَادِرَةُ ، وفي اللهوف : لَا يَحْفَرُهُ ، ومعنى حَفَرَهُ أَي دَفَعَهُ ، لسان العرب : مادة (حفز) ٣٣٧ / ٥ .
(١٦) بَادَرَ الشَّيْءَ مِبَادَرَةً وَبَادَرًا وَابْتَدَرَهُ وَبَدَرَ غَيْرَهُ إِلَيْهِ يَبْدُرُهُ عَاجِلُهُ ، لسان العرب : مادة (بدر) ٤٨ / ٤ ، وورد في بلاغات النساء : وَلَا يُخَافُ عَلَيْهِ ، وفي اللهوف : وَلَا يُخَافُ قُوَّةُ النَّارِ ، بِحَذَفِ (عليه) .
(١٧) في اللهوف : وَإِنْ رَبَّكُمْ لِبَالِمرْصَادٍ ، وفي الدر المنثور : كَلَّا إِنَّ رَبِّي وَرَبَّكُمْ لِبَالِمرْصَادٍ .

خُطْبَةُ السَّيِّدَةِ فَاطِمَةَ بِنْتِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ X في الكوفة بعد أن رجوعها من كربلاء (١)

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَدَدَ الرَّمْلِ وَالْحَصَى ، وَزِنَةَ الْعَرْشِ إِلَى الشَّرَى (٢) ، أَحْمَدُهُ وَأُؤْمِنُ بِهِ وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ ، وَأَشْهَدُ
أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ 9 ، وَأَنَّ أَوْلَادَهُ ذُبِحُوا بِشَطِّ الْفُرَاتِ مِنْ غَيْرِ
دَخْلِ وَلَا تَرَاثٍ (٣) .

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَفْتَرِيَ (٤) عَلَيْكَ الْكَذِبَ ، وَأَنْ أَقُولَ خِلَافَ مَا أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ (٥) مِنْ أَخَذِ
الْعُهُودِ (٦) لَوْصِيهِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ A ، الْمَسْلُوبِ (٧) حَقَّهُ ، الْمَقْتُولِ مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ ، كَمَا قُتِلَ وَلَدُهُ بِالْأَمْسِ
فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ ، وَبِهَا مَعَشَرٌ مُسْلِمَةٌ بِأَلْسِنَتِهِمْ (٨) ، تَعَسَّأَ لِرُؤُوسِهِمْ ! مَا دَفَعَتْ عَنْهُ ضَمِيمًا (٩) فِي
حَيَاتِهِ وَلَا عِنْدَ مَمَاتِهِ ، حَتَّى قَبِضَتْهُ إِلَيْكَ مَحْمُودٌ النَّقِيبَةُ (١٠) ، طَيِّبَ الصَّرِيَّةِ (١١) ، مَعْرُوفَ الْمَنَاقِبِ (١٢) ،
مَشْهُورَ الْمَذَاهِبِ .

(١) اللُّهُوفُ فِي قَتْلِ الطُّفُوفِ : ٩٥ - ٩٩ ؛ بحار الأنوار : ٤٥ / ١١٠ ؛ مُنِيرُ الْأَحْزَانِ : ٨٧ ؛ الْإِحْتِجَاجُ : ٢ / ١٠٤ - ١٠٨ .
(٢) الْعَرْشُ الْبَيْتُ وَالْمَنْزِلُ ، سَرِيرُ الْمَلِكِ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (عَرْش) ٣١٣/٦ ، وَالشَّرَى : التَّرَابُ النَّدِيُّ وَقِيلَ هُوَ التَّرَابُ الَّذِي إِذَا
بُلَّ يَصِيرَ طِينًا لَازِبًا ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (ثَرَا) ١١٠/١٤ .
(٣) فِي الْلُهُوفِ : بَغِيرُ دَخْلٍ وَلَا تَرَاثٍ ، وَالذَّخْلُ الثَّارُ أَوِ الْعَادَاةُ وَالْحَقْدُ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (دَحَل) ٢٥٦/١١ ، وَالتَّرَاتِ مِنَ التَّرَةِ
النَّبِيعَةِ وَالْفَعْلُ مِنَ الْوَثْرِ الدَّخْلُ وَتَرَّ يَتَرُ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (وَتَر) ٢٧٣/٥ .
(٤) أَفَرَيْتَ إِفْرَاءً فَهُوَ مِنَ التَّشْقِيقِ عَلَى وَجْهِ الْفَسَادِ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (فَرَا) ١٥١/١٥ .
(٥) فِي الْلُهُوفِ : أَوْ أَنْ أَقُولَ عَلَيْكَ خِلَافَ مَا أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ .
(٦) الْعُهُودُ كُلُّ مَا عَاهَدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَكُلُّ مَا بَيْنَ الْعِبَادِ مِنَ الْمَوَاقِفِ فَهُوَ عَهْدٌ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (عَهْد) ٣١١/٣ .
(٧) الْمَسْلُوبُ سَلَبَ الشَّيْءَ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (سَلَب) ٤٧١/١ .
(٨) فِي الْلُهُوفِ : فِيهِ مَعَشَرٌ مُسْلِمُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ ، وَمَعْنَى الْمَعَشَرِ الْجَمَاعَةُ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (عَشْر) ٥٦٨ / ٤ .
(٩) التَّعَسَّأَ الْعَثْرُ أَوْ الْإِثْطَاطُ وَالْعَثُورُ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (تَعَسَّ) ٣٢/٦ ، وَالضَّمِيمُ الظُّلْمُ ، وَضَامُهُ حَقُّهُ ضَمِيمًا نَقْصُهُ ، لِسَانُ
الْعَرَبِ : مَادَّةُ (ضَمِيم) ٣٥٩/٥ .
(١٠) قَبِضَتْهُ: أَخَذَتْهُ ، مَا أَخَذَتْ بِجَمْعٍ كَقَفْ كُلِّهِ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (قَبِض) ٢١٣/٧ ، وَمَحْمُودٌ : شَكَرًا لِلصَّنِيعَةِ ، لِسَانُ الْعَرَبِ :
مَادَّةُ (حَمْد) ١٥٥/٣ ، وَمَعْنَى النَّقِيبَةِ : يُؤْمِنُ الْفِعْلُ ، وَرَجُلٌ يُؤْمِنُ النَّقِيبَةَ مَبَارَكُ النَّفْسِ مُظَفَّرٌ بِمَا يُحَاوَلُ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (نَقِب) ٧٦٥/١ .
(١١) فِي الْلُهُوفِ : طَيِّبُ الْعَرِيكَ ، وَالطَّيِّبُ بِمَعْنَى الطَّاهِرِ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (طَيِب) ٥٦٣/١ ، وَالصَّرِيَّةُ الطَّبِيعَةُ وَالسَّجِيَّةُ ،
لِسَانُ الْعَرَبِ : ٥٤٧/١ .
(١٢) الْمَنَاقِبُ مِنْ قَوْلِهِمْ : فِي فَلَانٍ مَنَاقِبٌ جَمِيلَةٌ أَيْ أَخْلَاقٌ ، وَهُوَ حَسَنُ النَّقِيبَةِ أَيْ جَمِيلُ الْخَلِيقَةِ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (نَقِب) ٧٦٩/١ .

لَمْ تَأْخُذْهُ فِيكَ لَوْمَةً لَانِمٍ (١) ، وَلَا عَذْلٌ عَازِلٍ (٢) ، هَدَيْتُهُ يَا رَبِّ لِلْإِسْلَامِ صَغِيرًا (٣) ، وَحَمَدْتُ مَنَاقِبَهُ كَبِيرًا ، وَلَمْ يَزَلْ نَاصِحًا لَكَ وَلِرَسُولِكَ صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ حَتَّى قَبَضْتَهُ إِلَيْكَ ، زَاهِدًا فِي الدُّنْيَا غَيْرَ حَرِيصٍ عَلَيْهَا (٤) ، رَاغِبًا فِي الْآخِرَةِ مُجَاهِدًا لَكَ فِي سَبِيلِكَ (٥) ، رَضِيْتَهُ فَاخْتَرْتَهُ (٦) ، وَهَدَيْتُهُ (٧) إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٨) .

أَمَّا بَعْدُ : يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ ! يَا أَهْلَ الْمَكْرِ وَالْعَدْرِ وَالْخِيَلَاءِ (٩) ، إِنَّا (١٠) أَهْلُ بَيْتِ ابْتِلَاءِ اللَّهِ بِكُمْ (١١) ، وَابْتِلَاؤُكُمْ بِنَا ، فَجَعَلَ بِلَانَا حَسَنًا ، وَجَعَلَ عَلِمَهُ عِنْدَنَا ، وَفَهْمَهُ لَدَيْنَا (١٢) ، فَنَحْنُ عِيَّةٌ عَلَيْهِ (١٣) ، وَوَعَاءُ فَهْمِهِ وَحِكْمَتِهِ (١٤) ، وَحُجَّتُهُ فِي الْأَرْضِ (١٥) فِي بِلَادِهِ لِعِبَادِهِ ، أَكْرَمَنَا اللَّهُ بِكَرَامَتِهِ ، وَفَضَّلَنَا بِنَبِيِّهِ (١٦) ٩ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِهِ تَفْضِيلًا (١٧) ، فَكَذَّبْتُمُونَا ، وَكَفَرْتُمُونَا ، وَرَأَيْتُمْ قِتَالَنَا حَالًا ، وَأَمْوَالَنَا نَهَبًا (١٨) ، كَأَنَّا (١٩) أَوْلَادُ الثُّرُكِ أَوْ كَابِلٍ (٢٠) .

كَمَا قَتَلْتُمْ جَدَّنَا بِالْأَمْسِ ، وَسَيُؤْفُكُم تَقَطُّرُ (٢١) مِنْ دِمَائِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ ، لِحَقْدٍ (٢٢) مُتَقَدِّمٍ .

- (١) فِي الْلُهَوفِ : لَمْ تَأْخُذْهُ اللَّهُمَّ فِيكَ ، وَلَا مَهَ عَلَى كَذَا يَلُومُهُ لَوْمًا وَمَلَامًا وَمَلَامَةً وَلَوْمَةً فَهُوَ مَلُومٌ وَمَلِيْمٌ اسْتَحَقَّ اللَّوْمَ ، وَلَوْمَهُ وَالْمُتَّهَ بِمَعْنَى لَمْتُهُ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (لُوم) ٥٥٧/١٢ .
- (٢) الْعَذْلُ : اللَّوْمُ ، وَالْعَذْلُ مِثْلُهُ عَذْلُهُ يَغْذِلُهُ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (عَذْل) ٤٣٧/١١ .
- (٣) فِي الْلُهَوفِ : هَدَيْتُهُ اللَّهُمَّ لِلْإِسْلَامِ .
- (٤) الزَّهْدُ ضِدُّ الرِّغْبَةِ وَالْحَرَصِ عَلَى الدُّنْيَا ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (زَهْد) ١٩٦ / ٣ ، وَالْحَرَصُ شِدَّةُ الْإِرَادَةِ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (حَرَص) ١١٧/٧ .
- (٥) الرِّغَائِبُ مَا يُرْغَبُ فِيهِ مِنَ الثَّوَابِ الْعَظِيمِ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (رَغِب) ٤٢٢/١ .
- (٦) الرِّضَا ضِدُّ السَّخَطِ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (رَضِيَ) ٣٢٣/١٤ ، وَالِاخْتِيَارُ يَدُلُّ عَلَى التَّبَعِيضِ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (خَيْر) ٢٦٤/ ٤ .
- (٧) فِي الْلُهَوفِ : فَهَدَيْتُهُ .
- (٨) وَفِي بَعْضِ النُّسخِ : إِلَى طَرِيقِ مُسْتَقِيمٍ .
- (٩) الْمَكْرُ احْتِيَالٌ فِي خُفْيَةٍ ، وَالْمَكْرُ فِي كُلِّ حَالٍ حَرَامٌ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (مَكْر) ١٨٣/٥ ، وَالْعَدْرُ ضِدُّ الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ لِسَانُ الْعَرَبِ مَادَّةُ (عَدْر) : ج ٥ / ٨ ، الْخِيَلَاءُ وَالْخِيَلَاءُ بِالضَّمِّ وَالْكَسْرِ الْكِبَرُ وَالْعُجْبُ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (خِيل) ٢٢٦/ ١١ .
- (١٠) فِي الْلُهَوفِ : قِتَالًا .
- (١١) الْإِبْتِلَاءُ الْإِخْتِبَارُ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (بَلَا) ٨٣/١٤ .
- (١٢) الْقَهْمُ مِنْ فَهَمْتُ الشَّيْءَ عَقَلْتُهُ وَعَرَفْتُهُ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : ١ مَادَّةُ (فَهْم) ٤٥٩/٢ .
- (١٣) الْعَيْنَةُ وَعَاءٌ مِنْ أَدَمَ يَكُونُ فِيهَا الْمَتَاعُ وَالْعَيْنَةُ الْوَصْنَةُ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (عَيْب) ٦٣٣/١ .
- (١٤) وَعَاءٌ وَوَعَاءٌ عَلَيْهِ وَاعْتِقَادُهُ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (وَعِيَ) ٣٩٦/١٥ ، الْحَكْمَةُ عِبَارَةٌ عَنْ مَعْرِفَةِ أَفْضَلِ الْأَشْيَاءِ بِأَفْضَلِ الْعُلُومِ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (حَكَم) ١٤٠/١٢ .
- (١٥) فِي الْلُهَوفِ : عَلَى الْأَرْضِ .
- (١٦) بَنِيَّةٌ مُحَمَّدٌ ، وَمَعْنَى الْفَضْلِ وَالْفَضِيلَةِ مَعْرُوفٌ ضِدُّ النَّقْصِ وَالنَّقِيصَةِ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (فَضْل) ٥٢٤/ ١١ ، وَفَضَّلْنَا أَيَّ مِيزْنَا .
- (١٧) وَرَدَفِي بَعْضِ النُّسخِ : مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا بَيِّنًا .
- (١٨) كَفَرْتُمُونَا مِنْ : الْكُفْرُ نَقِيضُ الْإِيمَانِ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (كَفَر) ١٤٤/٥ ، وَمَعْنَى : التَّهَبُّ الْغَنِيْمَةُ لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (نَهَب) ٧٧٣/١ .
- (١٩) وَرَدَفِي بَعْضِ النُّسخِ : كَأَنَّا .
- (٢٠) كَابِلٌ مَوْضِعٌ وَهُوَ عَجْمِي وَقِيلَ وَدُّوَا لَوْ أَنَّا تُسَدُّ بِنَا أَبْوَابُ ثَرْكٍ وَكَابِلٌ فَكَابِلٌ أَعْجَمِي ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (نَهَب) ٥٨٠/١١ .
- (٢١) تَقَطَّرَ : قَطَرُ الْمَاءِ وَالذَّمْعُ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (قَطَر) ١٠٥/٥ .
- (٢٢) الْحَقْدُ إِسْكَاتُ الْعَدَاوَةِ فِي الْقَلْبِ وَالتَّرْبِصُ لِفُرْصَتِهَا لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (حَقْد) ١٥٤/٣ .

قَرَّتْ بِذَلِكَ ^(١) عُيُونُكُمْ ، وَفَرِحَتْ بِهِ قُلُوبُكُمْ اجْتِرَاءً ^(٢) مِنْكُمْ عَلَى اللَّهِ وَمَكْرًا ^(٣) مَكْرَتُمْ وَاللَّهُ خَيْرُ
 الْمَاكِرِينَ ، فَلَا تَدْعُوَكُمْ أَنْفُسُكُمْ إِلَى الْجَدَلِ ^(٤) بِمَا أَصَبْتُمْ مِنْ دِمَائِنَا وَنَالَتْ أَيْدِيكُمْ مِنْ أَمْوَالِنَا ، فَإِنْ مَا أَصَابَنَا
 مِنَ الْمَصَائِبِ الْجَلِيلَةِ ، وَالرَّزَايَا ^(٥) الْعَظِيمَةِ فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نُبْرَاهَا Π ^(٦) إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ^(٧) Π
 لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ^(٨) O ^(٩) . تَبَّ ^(١٠) لَكُمْ!
 فَانظُرُوا ^(١١) اللَّعْنَةُ ^(١٢) وَالْعَذَابُ ، فَكَأَنَّهُمَا قَدْ حَلَّتْ بِكُمْ ^(١٣) ، وَتَوَاتَرَتْ ^(١٤) مِنَ السَّمَاءِ
 نَقِمَاتٌ ^(١٥) فَيُسْجَنُّكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ ^(١٦) وَيَذِيقُ ^(١٧) بَعْضُكُمْ بَأْسَ ^(١٨) بَعْضٍ ، ثُمَّ تُخَلَّدُونَ ^(١٩) فِي الْعَذَابِ
 الْأَلِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، بِمَا ظَلَمْتُمْونا ، أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ .
 وَيَلْ لَكُمْ ^(٢٠) ! أَتَدْرُونَ آيَةً يَدِ طَاعِنَتِنَا ^(٢١) مِنْكُمْ ، وَآيَةً نَفْسٍ نَزَعَتْ ^(٢٢) إِلَى قِتَالِنَا ، أَمْ بِآيَةِ رَجُلٍ
 مَشِيئَتِهِ إِلَيْنَا ، تَبْعُونَ ^(٢٣) مَحَارِبَتِنَا ^(٢٤) !؟

- (١) في اللُّهُوف : لذلك ، ومعنى قَرَّتْ : صادف سرورا ، لسان العرب : مادة (قرر) ٢٨/٥ .
 (٢) اجْتِرَاءً عليه جُرْأَةٌ وهو جَرِيءُ الْمُقَدِّمِ أي جَرِيءٌ عِنْدَ الْإِقْدَامِ ، لسان العرب : مادة (جرا) ٤٤/١ ، وورد في اللُّهُوف : افتراءً على الله
 (٣) الْمَكْرُ احتيال في خُفْيَةٍ والمكر في كل حلال حرام ، لسان العرب : مادة (مكر) ١٨٣/٥ .
 (٤) الْجَدَلُ أصل الشيء ، لسان العرب : مادة (جدل) ١٠٦/١١ .
 (٥) الرِّزْيَةُ المصيبة والجمع أرزاء ورزايا وقد رَزَأَتْهُ رَزِيْنَةٌ أي أصابته مُصِيبَةٌ ، لسان العرب : مادة (رزأ) ٨٥/١ .
 (٦) الحديد : ٢٣ .
 (٧) الحج : ٧٠ .
 (٨) اللَّبُّ الْخَسَارُ وَالتَّبَابُ الْخُسْرَانُ وَالتَّبَابُ خَسِرْتُ ، لسان العرب : مادة (تتب) ٢٢٦/١ .
 (٩) في اللُّهُوف : فانتظروا .
 (١٠) اللَّعْنُ الإِبْعَادُ وَالطَّرْدُ من الخير ، لسان العرب : مادة (لعن) ٣٨٧/١٣ .
 (١١) في اللُّهُوف : فَكَأَنَّهُ قَدْ حَلَّ بِكُمْ ، ومعنى حَلَّتْ : نَزُولُ أَوْ حَلٌّ ، لسان العرب : مادة (حلل) ١٣٦/١١ .
 (١٢) تَوَاتَرَتْ أي جَاءَتْ بَعْضُهَا فِي إِثْرِ بَعْضٍ وَثَرًا وَثَرًا مِنْ غَيْرِ أَنْ تَنْقَطِعَ ، لسان العرب : مادة (وتر) ٢٧٣/٥ .
 (١٣) النَّقْمَةُ الْمَكَاْفَةُ بِالْعُقُوبَةِ ، لسان العرب : مادة (نقم) ٥٩٠/١٢ .
 (١٤) في اللُّهُوف : فَيُسْجَنُّكُمْ بِعَذَابٍ ، يَسْجَنُّكُمْ يَقْشِرُكُمْ وَيُسْجَنُّكُمْ يَسْتَأْصِلُكُمْ ، لسان العرب : مادة (سحت) ٤١/٢ ، وَيَلْ : وَيَحْ أَوْ عَذَابُ ، لسان العرب : مادة (ويل) ٧٣٧/١١ .
 (١٥) يَذِيقُ : ذَاقَ الشَّيْءَ ، لسان العرب : مادة (ذوق) ١١١/١٠ .
 (١٦) الْبَأْسُ الْعَذَابُ ، لسان العرب : مادة (بأس) ٢٠/٦ .
 (١٧) لَخَلَّدَ : دَوَّمَ الْبَقَاءَ فِي دَارٍ لَا يَخْرُجُ مِنْهَا ، لسان العرب : مادة (خلد) ١٦٤/٣ .
 (١٨) النَّقْمَةُ الْمَكَاْفَةُ بِالْعُقُوبَةِ ، لسان العرب : مادة (نقم) ٥٩٠/١٢ .
 (١٩) في اللُّهُوف : وَبِحَارِ الْأَنْوَارِ : وَيَلُكُمْ ، ومعنى وَيَلْ : وَيَحْ أَوْ عَذَابُ ، لسان العرب : مادة (ويل) ٧٣٧/١١ .
 (٢٠) طَعَنَ : بِالرَّمْحِ يَطْعُنُهُ ، لسان العرب : مادة (طعن) ٢٦٥/١٣ .
 (٢١) نَزَعَ الشَّيْءُ اقْتُلْعَهُ فَاقْتُلْعَ وَفَرَّقَ ، لسان العرب : مادة (نزع) ٣٤٩/٨ .
 (٢٢) تَبَتَّغُونَ : بَغَى الشَّيْءَ نَظْرًا إِلَيْهِ ، لسان العرب : مادة (بغا) ٧٥/١٤ .
 (٢٣) مَحَارِبَتِنَا : الْحَرْبُ تَقِيضُ السَّلْمِ ، لسان العرب : مادة (حرب) ٣٠٢/١ .

قَسَتْ قُلُوبُكُمْ ^(١) ، وَغَلَطَتْ ^(٢) أَكْبَادُكُمْ ، وَطَبَعَ عَلَى أَفِيدَتِكُمْ ^(٣) ، وَخَتِمَ ^(٤) ، عَلَى سَمْعِكُمْ
وَبَصَرِكُمْ ، وَسَوَّلَ ^(٥) لَكُمْ الشَّيْطَانُ وَأَمْلَى ^(٦) لَكُمْ ، وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِكُمْ غِشَاوَةً ^(٧) فَأَنْتُمْ لَا تَهْتَدُونَ .

تَبَّأً ^(٨) لَكُمْ يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ ! كَمْ ^(٩) تَرَاتٍ ^(١٠) لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَبْلَكُمْ ؟ وَذُحُولٍ ^(١١) لَهُ لَدَيْكُمْ ،
ثُمَّ غَدَرْتُمْ ^(١٢) بِأَخِيهِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ A جَدِّي، وَبَنِيهِ عِتْرَةَ ^(١٣) النَّبِيِّ الطَّيِّبِينَ الْأَخْيَارِ ^(١٤) ، وَافْتَخَرَ بِذَلِكَ
مُفْتَخِرٌ ^(١٥) فَقَالَ :

نَحْنُ قَتَلْنَا عَلِيًّا وَبَنِي عَلِيٍّ بِسُيُوفٍ هِنْدِيَّةٍ وَرِمَاحٍ
وَسَبِيْنَا ^(١٦) نِسَاءَهُمْ سَبِيَّ تَرْكٍ وَنَطَحْنَاهُمْ فَأَيُّ نَطَاحٍ ^(١٧)
[فَقَالَتْ] : بَيْفِكَ أَيُّهَا الْقَائِلُ الْكَثْكَثُ وَلَكَ الْأَثْلُبُ ^(١٨) ، افْتَخَرْتَ بِقَتْلِ قَوْمٍ زَكَاهُمْ ^(١٩) اللَّهُ
وَطَهَّرَهُمْ ^(٢٠) ، وَأَذْهَبَ عَنْهُمْ الرَّجْسَ ^(٢١) ، فَكَظَّمْ وَأَفْعَ كَمَا أَفْعَى أَبُوكَ ^(٢٢) ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا قَدَمَتْ
يَدَاهُ ^(٢٣) ، حَسَدْتُمُونَا ^(٢٤) وَيَلَا لَكُمْ عَلَى مَا فَضَّلْنَا اللَّهُ :

- (١) في اللُّهُوفِ : والله قَسَتْ ، قست : قسا القلبُ يَقْسُو قسَاءً والقِسْوَةُ الصَّلَابَةُ في كل شيء ، لسان العرب : مادة (قسا) ١٨٠/١٥ .
(٢) الغَلَطُ ضدُّ الرِّقَّةِ في الخَلْقِ والطَّبْعِ والفِعْلِ والمنطِقِ والعيشِ ، لسان العرب : مادة (غلظ) ٤٤٩/٧ .
(٣) لفُؤَادِ القلبِ لِيَتَقَوَّدهُ وَتَوَقَّدهُ ، لسان العرب : مادة (فاد) ٣٢٨/٣ .
(٤) خَتَمَهُ طَبَعَهُ وَخَتَمَ عَلَى القلبِ أَنْ لَا يَفْهَمَ شَيْئاً وَلَا يَخْرُجَ مِنْهُ شَيْءٌ كَأَنَّهُ طَبْعٌ ، لسان العرب : مادة (ختم) ١٦٣/١٢ .
(٥) سَوَّلَ : سَوَّلَتْ لَهُ نَفْسُهُ أَوْ الشَّيْطَانُ أَغْوَاهُ ، لسان العرب : مادة (سول) ٣٥٠/١١ .
(٦) أَمْلَى : الإِمْهَالُ وَالتَّأْخِيرُ أَمْلَى لَهُ أَيْ طَوَّلَ لَهُ وَأَمْهَلَهُ ، لسان العرب : مادة (ملا) ٢٩٠/١٥ .
(٧) غِشَاوَةٌ : الغِشَاءُ الغَطَاءُ ، لسان العرب : مادة (غشا) ١٢٦/١٥ .
(٨) تَبَّأً : فِي التَّبَّاءِ الْخَسَارُ وَالتَّبَابُ الْخُسْرَانُ وَالْهَلَاكُوتَبْتُ يَدَاهُ تَبَّأً وَتَبَاباً خَسِرْتَا ، لسان العرب : مادة (تتب) ٢٢٦/١ .
(٩) فِي اللُّهُوفِ : أَيُّ .
(١٠) التَّرَاتُ التَّبَعَةُ وَالْفِعْلُ مِنَ الْوَثْرِ الدُّحُلُ وَتَرَ يَتَرُ ، لسان العرب : مادة (وتر) ٢٧٣/٥ .
(١١) الدُّحُلُ النَّارُ أَوِ الْعَادَاةُ وَالْجَفْدُ ، لسان العرب : مادة (دحل) ٢٥٦/١١ .
(١٢) الْغَدْرُ ضدُّ الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ ، لسان العرب : مادة (عذر) ٨/٥ وَوَرَدَ فِي اللُّهُوفِ : بِمَا عَنَدْتُمْ .
(١٣) فِي اللُّهُوفِ : وَعِثْرَتُهُ الطَّيِّبِينَ ، الْعِتْرَةُ أَهْلُ الْبَيْتِ وَالْعِثْرَةُ وَلَدُ الرَّجُلِ وَذُرِّيَّتُهُ وَعَقْبُهُ مِنْ صُلْبِهِ ، لسان العرب : ٤ مادة (عتر) ٥٣٦/ .
(١٤) اخْتَرْتُ فَضَّلْتُ ، لسان العرب : مادة (خير) ٢٦٤/٤ ، وَالْإِخْيَارُ الْإِفْضَالُ .
(١٥) لَمْ يَعْرِفِ الْقَائِلُ .
(١٦) السَّبِيُّ وَالسَّبَاءُ الْأَسْرُوسَبِينَا أَسْرَنَّا ، لسان العرب : مادة (سبي) ٣٦٧/١٤ .
(١٧) النَّطْحُ لِلْكَبَاشِ النَّطْحُ وَالنَّاطِحُ وَهِيَ قَرْنُ الْحِمْلِ ، لسان العرب : مادة (نطح) ٦٢١/٢ .
(١٨) الْكَثْكَثُ الْحَجَارَةُ وَقَالُوا بِفِيهِ الْكَثْكَثُ وَالْكَثْكَثُ كَقَوْلِكَ بِفِيهِ التَّرَابُ وَالْحَجَرُ ، لسان العرب : مادة (كثث) ١٧٩/٢ ، الْأَثْلُبُ أَيُّ التَّرَابِ
وَالْحَجَارَةِ يُقَالُ بِفِيكَ الْحَجَرُ وَبِفِيكَ الْأَثْلُبُ ، لسان العرب : مادة (ثلب) ٢٤١/١ ، وَوَرَدَ فِي اللُّهُوفِ : الْقَائِلُ الْكَثْكَثُ وَلَكَ الْأَثْلُبُ .
(١٩) أَصْلُ الزَّكَاةِ فِي اللُّغَةِ الطَّهَارَةِ وَالتَّنَمَاءِ ، لسان العرب : مادة (زكى) ٣٥٨/١٤ ، وَزَكَاهُمْ أَيُّ طَهَّرَهُمْ .
(٢٠) الطُّهْرُ نَقِيضُ النِّجَاسَةِ وَالْجَمْعُ أَطْهَارُ ، لسان العرب : مادة (طهر) ٥٠٤/٤ .
(٢١) فِي اللُّهُوفِ : يُضَافُ لَهَا (وَطَهَّرَهُمْ تَطْهِيراً) ، وَالرَّجْسُ الْقَذَرُ ، لسان العرب : مادة (رجس) ٩٤/٦ .
(٢٢) الْكَظْمُ السُّكُوتُ ، لسان العرب : مادة (كظم) ج ٥١٩/١٢ ، وَكَظَّمُ أَيُّ أَسَكَتُ ، وَأَفْعَى الرَّجُلُ فِي جُلُوسِهِ تَسَانَدٌ إِلَى مَا وَرَاءَهُ وَأَفْعَى
الْكَلْبُ وَالسَّبْعُ جَلَسَ عَلَى اسْتِهِ ، لسان العرب : مادة (قع) ١٩١/١٥ ، وَوَرَدَ فِي اللُّهُوفِ : أَفْعَى أَبُوكَ قَانِمًا .
(٢٣) فِي اللُّهُوفِ : لِكُلِّ امْرِئٍ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَمَا قَدَمَتْ يَدَاهُ ؟
(٢٤) حَسَدَهُ إِذَا تَمَنَّى أَنْ تَتَحَوَّلَ إِلَيْهِ نِعْمَتُهُ وَفَضِيلَتُهُ أَوْ يَسْلِبَهَا ، لسان العرب : مادة (حسد) ١٤٨/٣ .

فَمَا ذَنْبُنَا إِنِّ جَاشَ (١) دَهْرُ (٢) بُحُورِنَا وَيَحْرُكُ سَاجَ (٣) لَا يُوَارِي (٤) الدَّعَامِصَا (٥)

Π ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ O (٦) Π وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ

مِنْ نُورٍ O (٧) .

(١) (جيش) جاشت النفس فاظنت وجاشت نفسي جيشاً عثت أو دارت و جاش البحر جيشاً هاج فلم يستطع ركوبه ، لسان العرب: مادة (جيش) ٢٧٧/٦ .

(٢) الدهر الأمد الممدود وقيل الدهر ألف، لسان العرب: مادة (دهر) ٢٩٢/٤ .

(٣) سجا البحر وأسجى إذا سكن، وطرف ساج أي ساكن،، لسان العرب: مادة (سجا) ٣٢٧/١٤ .

(٤) ورئت الشيء ووارئته أخفيته وتواري هو استتر، لسان العرب: مادة (ورى) ٣٨٦/١٥ .

(٥) الدعمص دويبة صغيرة تكون في مستنقع الماء وقيل هي دويبة تغوص في الماء والجمع دعاميص ، لسان العرب : مادة (دعمص) ٣٦ / ٧ .

(٦) الحديد : ٢١ .

(٧) النور : ٤٠ .

خُطْبَةُ السَّيِّدَةِ أُمِّ كُلْثُومٍ B فِي الْكُوفَةِ

بعد أن رجع أهل البيت Δ من كربلاء ، خطبت السيدة أم كلثوم بنت الإمام علي X من وراء كلتها رافعة صوتها بالبكاء (١) ، فقالت :

((يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ ، سَوَاءَ (٢) لَكُمْ ، مَا لَكُمْ خَذَلْتُمْ (٣) حُسَيْنًا وَقَتَلْتُمُوهُ ، وَانْتَهَبْتُمْ (٤) أَمْوَالَهُ وَوَرِثَتُمُوهُ ، وَسَبَّيْتُمْ (٥) نِسَاءَهُ وَنَكَيْتُمُوهُ (٦) ؟ فَتَبَّ (٧) لَكُمْ وَسُحْقًا (٨) ، وَيْلَكُمْ ، أَتَدْرُونَ أَيَّ دَوَاهٍ (٩) دَهَتْكُمْ (١٠) ؟ وَآيَّ وَزْرٍ عَلَى ظُهُورِكُمْ حَمَلْتُمْ ؟! وَآيَّ دِمَاءٍ سَفَكْتُمُوهَا (١١) ؟ وَآيَّ كَرِيمَةٍ أَصَبْتُمُوهَا ؟ وَآيَّ صَبِيَةٍ سَلَبْتُمُوهَا (١٢) ؟ وَآيَّ أَمْوَالٍ انْتَهَبْتُمُوهَا (١٣) ؟ ، قَتَلْتُمْ خَيْرَ رَجَالَاتٍ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ ، وَنَزَعْتِ (١٤) الرَّحْمَةَ مِنْ قُلُوبِكُمْ أَلَا إِنَّ حِزْبَ (١٥) اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (١٦) ، وَحِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ .

- (١) اللُّهُوفُ فِي قَتْلِ الطُّغُوفِ : ص ٩٩ .
(٢) سَوَاءٌ : سَاءَةٌ يَسُوءُهُ سَوْءٌ أَوْ مَسَاءَةٌ وَمَسَايَةٌ وَمَسَاءٌ وَمَسَانِيَةٌ فَعَلَ بِهِ مَا يَكْرَهُ نَقِيضُ سَرَّهِ وَالْأَسْمُ السُّوءُ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (سَوْء) ٩٥/١ .
(٣) خَذَلَ : الْخَاذِلُ ضِدَّ النَّاصِرِ وَخَذَلَهُ وَخَذَلَ تَرَكَ نُصْرَتَهُ وَعَوْنَهُ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (خَذَلَ) ٢٠٢/١١ .
(٤) لَنْهَبٌ : الْغَارَةُ وَالسَّلْبُ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (نَهَبَ) ٧٧٣/١ .
(٥) السَّبْيُ : وَالسَّبَاءُ الْأَسْرُ مَعْرُوفٌ سَبَى الْعَدُوَّ وَغَيْرَهُ سَبِيًّا وَسَبِيًّا إِذَا أَسْرَهُ فَهُوَ سَبِيٌّ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (سَبَى) ٣٦٧/١٤ .
(٦) نَكَبَ فَلَانٌ عَنْ الصَّوَابِ يَنْكُبُ نُكُوبًا إِذَا عَدَلَ عَنْهُ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (نَكَبَ) ٧٧٠/١ .
(٧) الثَّبُّ الْخَسَارُ وَالثَّبَابُ الْخُسْرَانُ وَالْهَلَاكُ وَتَبَّ يَدَاهُ تَبًّا وَتَبَابًا خُسْرَانًا ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (تَبَّ) ٢٢٦/١ .
(٨) سَحَقَ الشَّيْءُ يَسْحَقُهُ سَحَقًا دَقَهُ أَشَدَّ الدَّقِّ وَسَحَقَتِ الرِّيحُ الْأَرْضَ تَسْحَقُهَا سَحَقًا إِذَا عَقَتِ الْأَثَارَ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (سَحَقَ) ١٥٢/١٠ .
(٩) الدَّاهِيَةُ الْأَمْرُ الْمُتَكَرِّرُ الْعَظِيمُ وَقَوْلُهُمْ هِيَ الدَّاهِيَةُ الدَّهْوَاءُ بِالْغَوَا بِهَا وَالْمَصْدَرُ الدَّهَاءُ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (دَهَا) ٢٧٦/١٤ .
(١٠) دَهَنَتْهُ دَاهِيَةٌ وَدَوَاهِي أَيُّ مَا يَصِيبُ النَّاسَ مِنْ عَظِيمِ نَوْبٍ الدَّهْرُ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (دَهَا) ٢٧٦/١٤ .
(١١) السَّفْكُ صَبُّ الدَّمِ وَسَفَكَ الدَّمَ يَسْفِكُهُ سَفْكًا صَبَّهُ وَهَرَاقَهُ وَكَأَنَّهُ بِالْأَخْصِ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (سَفَكَ) ٤٣٩/١٠ .
(١٢) سَلَبَ الشَّيْءَ يَسْلُبُهُ وَالْإِسْتِلَابُ وَالْإِخْتِلَاسُ وَالسَّلْبُ مَا يُسَلَبُ وَالْجَمْعُ أَسْلَابٌ وَكُلُّ شَيْءٍ عَلَى الْإِنْسَانِ مِنَ اللِّبَاسِ فَهُوَ سَلْبٌ وَالْفِعْلُ سَلَبْتُهُ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (سَلَبَ) ٤٧١/١ .
(١٣) لَنْهَبُ الْغَارَةِ وَالسَّلْبُ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (نَهَبَ) ٧٧٣/١ .
(١٤) نَزَعَ الشَّيْءُ يَنْزَعُهُ نَزْعًا فَهُوَ مَنزُوعٌ وَانْتَزَعَهُ فَانْتَزَعَ أَيُّ افْتَلَعَهُ فَافْتَلَعَ وَفَرَّقَ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (نَزَعَ) ٣٤٩/٨ .
(١٥) الْحِزْبُ : جَمَاعَةُ النَّاسِ وَالْجَمْعُ أَحْزَابٌ وَالْأَحْزَابُ جُنُودُ الْكُفَّارِ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (حَزَبَ) ٣٠٨/١ .
(١٦) غَلِبَهُ يَغْلِبُهُ غَلْبًا وَغَلْبَايَ قَهْرَهُ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (غَلَبَ) ٦٥١/١ .

ثُمَّ قَالَتْ :

قَتَلْتُمْ أَخِي صَبْرًا فَوَيْلٌ^(١) لَأُمِّكُمْ
سَفَكْتُمْ^(٢) دِمَاءَ حَرَمِ اللَّهِ سَفَكَهَا
أَلَا فَابْشِرُوا بِالنَّارِ إِنَّكُمْ غَدًا
وَإِنِّي لَأَبْكِي فِي حَيَاتِي عَلَى أَخِي
بِدَمْعٍ غَزِيرٍ^(٣) مُسْتَهْلٍ^(٤) مُكَفَكِفٍ^(٥)
سَتُجْزَوْنَ^(٦) نَارًا حَرْهَا يَتَوَقَّدُ^(٧)
وَحَرَمُهَا الْقُرْآنُ ثُمَّ مُحَمَّدٌ
لَفِي قَعْرِ^(٨) نَارٍ حَرْهَا يَتَصَعَّدُ^(٩)
عَلَى خَيْرٍ مَن بَعْدَ النَّبِيِّ سَيُولَدُ
عَلَى الْخَدِّ مِنِّي دَائِمًا لَيْسَ يُخَمَدُ^(١٠)

قال الراوي :

فَصَحَّ^(١١) النَّاسُ بِالْبُكَاءِ وَالنَّوْحِ وَنَشَرَتِ النَّسَاءُ شُعُورَهُنَّ ، وَوَضَعْنَ التُّرَابَ عَلَى رُؤُوسِهِنَّ ، وَخَمَشْنَ^(١٢)
وُجُوهَهُنَّ ، وَلَطَمْنَ خُدُودَهُنَّ^(١٣) ، وَدَعَوْنَ بِالْوَيْلِ^(١٤) وَالتَّبُورِ^(١٥) ، وَبَكَى الرَّجَالُ وَتَنَفَّوْا^(١٦) لِحَاهِمُ فَلَمْ
يَرَ بَاكِئَةً وَبَاكِ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ^(١٧) .

(١) وَيْلٌ كلمة مثل وَيْحٍ إلا أنها كلمة عذاب، لسان العرب: مادة (ويل) ٧٣٧/١١ .

(٢) الْجَزَاءُ الْمُكَافَأَةُ عَلَى الشَّيْءِ، لسان العرب: مادة (جزى) ١٤٥/١٤ .

(٣) الْوَقْدُ نَفْسُ النَّارِ لِحَطْبٍ وَقَدَّتِ النَّارُ وَقوداً مثل قَبِلْتُ الشَّيْءَ قَبُولاً، لسان العرب: مادة (وقد) ٤٦٥/٣ .

(٤) السَّفَكُ صَبُّ الدَّمِ وَسَفَكَ الدَّمَ يَسْفِكُهُ سَفْكَاً صَبَهُ وَهَرَقَهُ وَكَأَنَّهُ بِالْدمِ أَخَصَّ، لسان العرب: مادة (سفك) ٤٣٩/١٠ .

(٥) قَعْرُ كُلِّ شَيْءٍ أَقْصَاهُ وَجَمْعُهُ قُغُورٌ وَقَعْرُ الْبِنْرِ وَغَيْرُهَا عَمَقُهَا، لسان العرب: مادة (قعر) ١٠٨/٥ .

(٦) تَصَعَّدَ الْأَمْرُ إِذَا شَقَّ عَلَيْهِ وَصَعِبَ، لسان العرب: مادة (صعد) ٢٥١/٣ .

(٧) الْغَزَارَةُ الْكَثْرَةُ وَقَدْ غَزَرَ الشَّيْءُ بِالضَّمِّ يَغْزُرُ فَهُوَ غَزِيرٌ، لسان العرب: مادة (غزر) ٢٢/٥ .

(٨) انْهَلَتْ عَيْنُهُ وَتَهَلَّلَتْ سَالَتْ بِالْدمْعِ وَتَهَلَّلَتْ دَمُوعُهُ سَالَتْ وَاسْتَهَلَّتْ الْعَيْنُ دَمَعَتْ، لسان العرب: مادة (هلل) ٧٠١/١١ .

(٩) كَفَّ الشَّيْءُ يَكْفُهُ كَفًّا جَمْعُهُ وَكَفَكَفَهُ كَفْكَ الشَّيْءُ أَي رَدَّكَ الشَّيْءُ عَنِ الشَّيْءِ وَكَفَكَفَتْ دَمْعُ الْعَيْنِ، لسان العرب: مادة (كفف) ٣٠١/٩ .

(١٠) بَخَمَدَتِ النَّارُ تَخْمَدُ خُمُوداً سَكَنَ لَهَبُهَا وَلَمْ يُطْفَأْ جَمْرُهَا، لسان العرب: مادة (خمد) ١٦٥/٣ .

(١١) صَحَّ الْقَوْمُ يَضْجُونَ ضَجِيجاً فَرَّغُوا مِنْ شَيْءٍ، لسان العرب: مادة (ضجج) ٣١٢/٢ .

(١٢) الْخَمْشُ الْخُدْشُ فِي الْوَجْهِ وَقَدْ يَسْتَعْمَلُ فِي سَانِ الْجَسَدِ، لسان العرب: مادة (خمش) ٢٩٩/٦ .

(١٣) اللَّطْمُ ضَرْبُكَ الْخَدِّ وَصَفْحَةُ الْجَسَدِ، لسان العرب: مادة (لطم) ٥٤٢/١٢ .

(١٤) الْوَيْلُ الْحُزْنُ وَالْهَلَاكُ وَالْمَشَقَّةُ مِنَ الْعَذَابِ وَكُلُّ مَنْ وَقَعَ فِي هَلَكَةٍ دَعَا بِالْوَيْلِ، لسان العرب: مادة (ويل) ٧٣٧/١١ .

(١٥) مَثْبُوراً أَي هَالِكاً، وَثُبُوراً وَيلاً وَهَالِكاً، لسان العرب: مادة (ثبر) ٩٩/٤ .

(١٦) التَّنَفُّ نَزْعُ الشَّعْرِ وَمَا أَشْبَهَهُ، لسان العرب: مادة (نتف) ٣٢٣/٩ .

(١٧) اللُّهُوفُ فِي قَتْلِ الطُّفُوفِ : ١٠٠ ، بحار الأنوار : ٤٥ / ١١٢ .

خطبة السيدة زينب B في الشام (١)

٩

روي أنه لما دخل علي بن الحسين A وحرمه على يزيد ، وجيء برأس الإمام الحسين A ووضع بين يديه ، فجعل يضرب ثناياه بمخصرة كانت في يده ، فقامت إليه السيدة زينب بنت علي B وأمها فاطمة B بنت رسول الله 9 قالت (٢) :

((الحمد لله رب العالمين ، والصلاة على جدِّي سيِّد المرسلين (٣) ، صدَّق الله سبحانه كذلك يقول (٤) :

Π ثم كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوءَى أَنْ كَذَبُوا بَآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ O (٥) .

أُظْنَنْتَ يَا يَزِيدُ أَتَكَ (٦) حِينَ أَخَذْتَ (٧) عَلَيْنَا أَقْطَارَ (٨) الْأَرْضِ (٩) ، وَصَيَّقْتَ عَلَيْنَا آفَاقَ (١٠) السَّمَاءِ ، فَأَصْبَحْنَا لَكَ فِي إِسَارٍ (١١) [الذل] ، نُسَاقُ (١٢) إِلَيْكَ سَوْقًا فِي قِطَارٍ (١٣) ، وَأَنْتَ عَلَيْنَا ذُو اقْتِدَارٍ أَنْ بَنَا مِنَ اللَّهِ هَوَانًا (١٤) وَعَلَيْكَ مِنْهُ كَرَامَةٌ وَامْتِنَانًا (١٥) ، وَأَنَّ ذَلِكَ لِعِظَمِ خَطَرِكَ (١٦) ، وَجَلَالَةِ قَدْرِكَ (١٧) ، فَشَمَخْتَ (١٨) بِأَنْفِكَ ، وَتَطَرَّتْ فِي عِطْفِكَ (١٩) ،

(١) بلاغات النساء : ٢٠ - ٢٣ ؛ مقتل الخواري : ٧١ - ٧٤ ، الاحتجاج : ٢ / ١٢٢ - ١٣٠ ، اللهوف : ٢١٥ ، مثير الأحزان : ١٠١ ، نثر الدر : ١٧ - ١٩ ، بحار الأنوار : ٤٥ / ١٣٣ - ١٣٥ ، وردت في هذه الكتب باختلاف في ألفاظها .

(٢) الاحتجاج : ٢ / ١٢٢ - ١٢٣ .

(٣) في بلاغات النساء : هذه المقنمة محذوفة .

(٤) في بلاغات النساء ونثر الدر : صدق الله ورسوله يا يزيد .

(٥) الروم / ١٠ .

(٦) في بلاغات النساء ونثر الدر : أنه .

(٧) في بلاغات النساء ونثر الدر : حين أخذ .

(٨) أقطار السموات والأرض أقطارها نواحيها ، لسان العرب : مادة (قطر) ١٠٥ / ٥ .

(٩) في بلاغات النساء ونثر الدر : بأطراف الأرض .

(١٠) آفاق السماء نواحيها ، لسان العرب : مادة (أفق) ١٠ / ٥ ، وقد ورد في بلاغات النساء ونثر الدر : وأكناف السماء ، ومعنى

أكناف : الكنف والكنفه ناحية الشيء ، لسان العرب : مادة (كنف) ٩ / ٣٠٨ .

(١١) في بلاغات النساء ونثر الدر : فأصبحنا نساق كما يساق الأسارى ، والإسار بالكسر : مصدر : أسرته أسراً وإساراً ، وهو أيضاً الإسار القيد ، لسان العرب : مادة (أسر) ٤ / ١٩ .

(١٢) السوق : ساق الإبل وغيرها يسوقها سَوْقًا وسِيقًا وهو سائقٌ وسَوَاقٌ ، لسان العرب : ، مادة (سوق) ١٠ / ١٦٦ .

(١٣) قطار : قطر الإبل يقطرها قطراً وقطرها قَرَبَ بعضُها إلى بعض على نسق ، لسان العرب : مادة (قطر) ٥ / ١٠٥ .

(١٤) الهوان : نقيض العز ، لسان العرب : مادة (هون) ١٣ / ٤٣٨ .

(١٥) في بلاغات النساء : أن بنا هواناً على الله وبك عليه كرامة .

(١٦) في بلاغات النساء : إن هذا لعظيم خطرِكَ ، الخطر مصدر خطرَ الفحل بذنبه يَخْطُرُ خطراً وخطراناً وخطيراً رفعة مرة بعد مرة وضرب به حاذيه وهما ما ظهر من فخذه ، لسان العرب : مادة (خطر) ٤ / ٢٤٩ .

(١٧) في بلاغات النساء : يحذف (جلالة قدرِكَ) ، ومعنى جلالة : من جل الشيء يَجُلُّ جَلالاً وجلالة وهو جَلٌّ وجليلٌ وجلال عظم ، لسان العرب : مادة (جلل) ١١ / ١١٦ .

(١٨) الشامخ : الرافع أنفه عزاً وتكبراً ، لسان العرب : مادة (شمخ) ٣ / ٣٠ .

(١٩) عطف الشيء : جانيه ، ونظر في عطفه : أخذه العجب ، وتعاطف في مشيه تثنى يقال فلان يتعاطف في مشيته بمنزلة يتهادى ويتمايل من الخيلاء والتبخثر ، لسان العرب : مادة (عطف) ٩ / ٢٤٩ .

تضرب أصدريكَ (١) فرحاً وتنفض مِذْرُوبِكَ (٢) مرحاً (٣) حينَ رأيتَ الدُّنيا لك مُستوسِقةً (٤)
والأُمُورَ لَدَيْكَ مُتَسِقَةً (٥) وحينَ صفا لك مُلْكُنا ، وخُلصَ لك سُلطانُنا ، فَمَهْلاً مَهْلاً لا تَطِشْ (٦) جَهْلاً !
أَنسيتَ قولَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ (٧) : Π ولا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ
لِيُزَادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (٨) .

أَمِنَ الْعَدْلُ يَا بَنَ الطَّلَقَاءِ (٩) تخديركَ (١٠) حرائركَ (١١) وإمءاكَ (١٢) ، وَسَوْفَكَ بَنَاتِ رَسُولِ اللهِ 9 ،
قد هَتَكَتَ (١٣) سَتُورَهُنَّ (١٤) ، وأبديتَ (١٥) وجوهَهُنَّ (١٦) ، يحدوهُنَّ (١٧) بهنَّ الأعداءُ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ ،
وَيَسْتَشْرِفُهُنَّ (١٨) أَهْلُ الْمَنَاقِلِ (١٩) ، ويبرزن لأهل المناهل (٢٠) ، وَيَتَصَفَّحْنَ (٢١) وجوهَهُنَّ الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ
(٢٢) ، والغائبُ والشَّهيدُ ، والشَّريفُ (٢٣) والوَضِيعُ (٢٤) ، وَالَّذِي (٢٥) وَالرَّفِيعُ (٢٦) لَيْسَ مَعَهُنَّ مِنْ رِجَالِهِنَّ
وَلِيَّ (٢٧) ،

- (١) أَصْدَرِيهِ : منكبيه، أَصْدَرَانِ عِرْقَانِ يَضْرِبَانِ تَحْتَ الصَّدُغَيْنِ لَا يَفْرَدُ لِهَمَا وَاحِدٌ وَجَاءَ يَضْرِبُ أَصْدَرِيهِ إِذَا جَاءَ فَارِغًا يَعْنِي عَطْفِيهِ، لسان العرب : مادة (صدر) ٤ / ٤٤٥ .
(٢) الْمَذْرُوبَانِ : الْمَذْرُوبَانِ طَرَفَا كُلِّ شَيْءٍ وَقِيلَ هُمَا فَرْعَا الْمُنْكَبَيْنِ ، وجاء فلان ينفض مذكوبه إذا جاء باغياً يتهذد ، والمذكوران الجانيان من كل شيء ، لسان العرب : مادة (ذرا) ١٤ / ٢٨٢ .
(٣) الْمَرْحُ التَّبَخُّرُ وَالِاخْتِيَالُ ، لسان العرب : مادة (مرح) ٢ / ٥٩١ .
(٤) مُسْتَوْسِقَةٌ مَجْتَمِعَةٌ ، لسان العرب : مادة (وسق) ١٠ / ٣٧٨ .
(٥) الْوَسِيقُ : ضَمُّ الشَّيْءِ إِلَى الشَّيْءِ ، لسان العرب : مادة (وسق) ١٠ / ٣٧٨ .
(٦) الطَّيْشُ خَفَّةُ الْعَقْلِ ، لسان العرب : مادة (طيش) ٦ / ٣١٢ .
(٧) فِي بَلَاغَاتِ النِّسَاءِ : وَنَظَرْتُ فِي عَطْفِيكَ جَذْلَانِ فَرِحَا حِينَ رَأَيْتَ الدُّنْيَا مُسْتَوْسِقَةً لَكَ وَالْأُمُورَ مُتَسِقَةً عَلَيْكَ وَقَدْ أَهْمَلْتُ وَنَفَسْتُ وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى .
(٨) آل عمران / ١٧٨ .
(٩) الطَّلِيقُ الْأَسِيرُ الَّذِي أُطْلِقَ عَنْهُ إِسَارُهُ وَخَلَّى سَبِيلَهُ ، لسان العرب : مادة (طلق) ١٠ / ٢٢٥ .
(١٠) تَخْدِيرُكَ مِنَ الْخَدْرِ وَهُوَ : سِتْرٌ يُمَدُّ لِلْجَارِيَةِ فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ ، لسان العرب : مادة (خدر) ٤ / ٢٣٠ .
(١١) الْحَرَارُ مَفْرَدُهَا الْحَرَّةُ وَهِيَ : نَقِيضُ الْأَمَةِ وَالْجَمْعُ حَرَارٍ ، لسان العرب : مادة (حرر) ٤ / ١٧٧ ، وورد في بلاغات النساء : تخديرك نساوك .
(١٢) الْإِمَاءُ مَفْرَدُهَا الْأَمَةُ وَهِيَ : الْمَمْلُوكَةُ خِلَافَ الْحَرَّةِ ، لسان العرب : مادة (أما) ١٤ / ٤٤ .
(١٣) الْهَتَكُ خَرَقُ السِتْرِ عَمَّا وَرَاءَهُ ، لسان العرب : مادة (هتك) ١٠ / ٥٠٢ .
(١٤) سَتَرَ الشَّيْءَ يَسْتُرُهُ وَيَسْتَرُهُ سِتْرًا وَسِتْرًا أَخْفَاهُ ، لسان العرب : مادة (ستر) ٤ / ٣٤٣ .
(١٥) بَدَأَ الشَّيْءُ : يَبْدُو بَدْوًا وَيَبْدُو وَيَبْدَأُ ظَهَرَ ، لسان العرب : مادة (بدا) ١٤ / ٦٥ .
(١٦) فِي بَلَاغَاتِ النِّسَاءِ : وَأَصْصَحَلْتُ صَوْتَهُنَّ مَكْتَنِبَاتٍ .
(١٧) يَحْدُوْنَ مِنْ لَحْدُوْ وَهُوَ : سَوَّقُ الْإِثْلِ ، لسان العرب : مادة (حدا) ١٤ / ١٦٨ .
(١٨) اسْتَشْرَفْتُ الشَّيْءَ : إِذَا رَفَعْتَ رَأْسَكَ أَوْ بَصَرَكَ تَنْظُرَ إِلَيْهِ ، لسان العرب : مادة (شرف) ٩ / ١٦٩ .
(١٩) الْمَنَاقِلُ الْمَرَاكِلُ وَالْمَنْقَلُ الطَّرِيقُ ، لسان العرب : مادة (نقل) ١١ / ٦٧٤ .
(٢٠) الْمَنْهَلُ مِنَ الْمِيَاهِ كُلُّ مَا يَطْوُهُ الطَّرِيقُ ، لسان العرب : مادة (نهل) ١١ / ٦٨٠ .
(٢١) صَفَحَ وَجُوهَهُمْ وَتَصَفَّحَهَا نَظَرَهَا مُتَعَرِّفًا لَهَا وَتَصَفَّحَتْ وَجُوهَ الْقَوْمِ إِذَا تَأَمَّلَتْ وَجُوهَهُمْ ، لسان العرب : مادة (صفح) ٢ / ٥١٢ .
(٢٢) فِي بَلَاغَاتِ النِّسَاءِ : (تحدي بهنَّ الأباغر ويحدو بهنَّ الأعادي من بلد إلى بلد لا يُرَاقِبْنَ وَلَا يُؤْوِينَ يَنْشَوْفُهُنَّ الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ) .
(٢٣) الشَّرْفُ الْحَسَبُ بِالْأَبَاءِ ، لسان العرب : مادة (شرف) ٩ / ١٦٩ .
(٢٤) الْوَضِيعُ الدُّنْيَا مِنَ النَّاسِ ، لسان العرب : مادة (وضع) ٨ / ٣٩٦ .
(٢٥) الدُّنْيَا الْخَسِيسُ ، لسان العرب : مادة (دنا) ١٤ / ٢٧١ .
(٢٦) الرَّفْعَةُ خِلَافَ الضَّعَةِ رَفَعٌ يَرْفَعُ رَفَاعَةً فَهُوَ رَفِيعٌ إِذَا شَرَفَ ، لسان العرب : مادة (رفع) ٨ / ١٢٩ .
(٢٧) فِي بَلَاغَاتِ النِّسَاءِ : لَيْسَ مَعَهُنَّ وَلِيٌّ مِنْ رِجَالِهِنَّ .

ولا مِنْ حُمَاتِهِنَّ حَمِيمٌ (١) ، عَتُوًّا (٢) مِنْكَ عَلَى اللَّهِ ، وَجُحُودًا (٣) لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَدَفْعًا لِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، وَلَا غَرَوْكَ مِنْكَ وَلَا عَجَبٌ مِنْ فِعْلِكَ ، وَأَنْتَى يُرْتَجَى (٤) الْخَيْرُ مِمَّنْ (٥) لَفَظَ فُوهَ أَكْبَادَ الشُّهَدَاءِ ، وَكَبَّتْ لَحْمُهُ بِدِمَاءِ السُّعْدَاءِ ، وَنَصَبَ (٦) الْحَرْبَ لِسَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَجَمَعَ الْأَحْزَابَ (٧) ، وَشَهَرَ (٨) الْحِرَابَ (٩) ، وَهَزَّ (١٠) السُّيُوفَ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، أَشَدَّ الْعَرَبِ لِهَلَاكِ جُحُودًا ، وَأَنْكَرَهُمْ (١١) لَهُ رَسُولًا ، وَأَظْهَرَهُمْ لَهُ عَدُوًّا ، وَأَعْتَاهُمْ عَلَى الرَّبِّ كُفْرًا وَطُغْيَانًا (١٢) .

إِلَّا أَنَّهَا نَتِيجَةُ خَلَالٍ (١٣) الْكُفْرِ ، وَضَبُّ (١٤) يُجْرَجَرُ (١٥) فِي الصَّدْرِ لِقَتْلَى يَوْمَ بَدْرٍ ، فَلَا يُسْتَبْطَى فِي بُغْضِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ مَنْ كَانَ نَظَرُهُ إِلَيْنَا شَفَا (١٦) وَشَنَانًا (١٧) وَإِحْنًا (١٨) وَأَضْغَانًا (١٩) ، يُظْهِرُ كُفْرَهُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَيُفْصِحُ (٢٠) ذَلِكَ بِلِسَانِهِ ، وَهُوَ يَقُولُ - فَرِحًا بِقَتْلِ وَلَدِهِ وَسَيِّ (٢١) ذُرِّيَّتِهِ ، غَيْرَ مُتَحَوِّبٍ (٢٢) وَلَا مُسْتَعْظِمٍ (٢٣) - يَهْتَفُ بِأَشْيَاخِهِ :

لَأَهْلُكُمُ وَاوَسَّتَهُلُّوا فَرَحًا وَلَقَالُوا يَا يَزِيدُ لَا تُشَلِّ

- (١) الْحَمِيمُ الْقَرَابَةُ يُقَالُ مُحَمَّدٌ مُقَرَّبٌ ، لِسَانَ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (حَمَم) ١٢ / ١٥٠ ، وَوَرَدَ فِي الْهَوَافِ : وَلَا مِنْ حُمَاتِهِنَّ حَمِيٍّ ، وَمَعْنَى حَمِيٍّ مِنْ وَلِيِّ الزَّوْجِ مَنْ ذِي قَرَابَتِهِ فَهِيَ أُمَّاءُ الْمَرْأَةِ ، لِسَانَ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (حَمَا) ١٤ / ١٩٧ .
- (٢) عَتَا يَعْتُو عَتُوًّا وَعَتِيًّا اسْتَكْبَرَ وَجَاوَزَ الْحَدَّ ، لِسَانَ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (عَتَا) ١٥ / ٢٧ .
- (٣) الْجُحْدُ وَالْجُحُودُ نَقِيضُ الْإِقْرَارِ كَالْإِنْكَارِ ، لِسَانَ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (جَحْد) ٣ / ١٠٦ .
- (٤) الرَّجَاءُ مِنَ الْأَمَلِ نَقِيضُ الْيَأْسِ ، لِسَانَ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (رَجَا) ١٣ / ٣٠٩ .
- (٥) أَنْتَى فِي بَحَارِ الْأَنْوَارِ : وَأَنْتَى تُرْتَجَى مُرَاقِبَةٌ مِنْ .
- (٦) نَصَبَ لَهُ الْحَرْبَ نَصَبًا وَضَعَهَا ، لِسَانَ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (نَصَب) ١ / ٧٥٨ .
- (٧) الْحَزْبُ جَمَاعَةُ النَّاسِ وَالْجَمْعُ أَحْزَابٌ ، لِسَانَ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (حَزَب) ١ / ٣٠٨ .
- (٨) شَهَرَ فَلَانُ سَيْفُهُ يَشْهَرُهُ شَهْرًا أَيْ سَلَّهُ وَشَهْرُهُ انْتِصَاهُ فَرَفَعَهُ عَلَى النَّاسِ ، لِسَانَ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (شَهَرَ) ٤ / ٤٣١ .
- (٩) الْحَرْبَةُ الْأَلَّةُ دُونَ الرَّمْحِ وَجَمْعُهَا حِرَابٌ ، لِسَانَ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (حَرْب) ١ / ٣٠٢ .
- (١٠) الْهَزُّ تَحْرِيكُ الشَّيْءِ كَمَا تَهْزُ الْقَنَاطَةُ فَتَضْطَرِبُ وَتَهْتَزُّ ، لِسَانَ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (هَزَز) ٥ / ٤٢٣ .
- (١١) الْإِنْكَارُ الْجُحُودُ وَالْمُنَاكَرَةُ الْمُحَارَبَةُ ، لِسَانَ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (نَكَر) ٥ / ٢٣٢ .
- (١٢) طَغَى يَطْغَى طُغْيَانًا وَيَطْغُو طُغْيَانًا جَاوَزَ الْقَدْرَ وَارْتَفَعَ وَغَلَا فِي الْكُفْرِ ، لِسَانَ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (طَغَى) ١٥ / ٧ .
- (١٣) الْخَلَالُ وَهِيَ الْخِصَالُ ، لِسَانَ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (خَلَل) ١١ / ٢١١ .
- (١٤) الضَّبُّ : الضَّبُّ الْحَقْدُ فِي الصَّدْرِ ، لِسَانَ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (ضَبَب) ١ / ٥٣٨ .
- (١٥) يُجْرَجَرُ : الْجَرْجَرَةُ صَوْتُ الْبَعِيرِ عِنْدَ الضَّجْرِ ، لِسَانَ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (جَرَر) ٤ / ١٢٥ .
- (١٦) شَفَا : شَفَفَهُ شَفَفًا أَبْغَضَهُ ، لِسَانَ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (شَفَف) ٩ / ١٨٣ .
- (١٧) الشَّنَانُ بِاسْكَانِ النَّوْنِ الْبَغْضَةُ ، لِسَانَ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (شَنَأَ) ١ / ١٠١ .
- (١٨) الْإِحْنَةُ الْحَقْدُ فِي الصَّدْرِ ، لِسَانَ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (أَحْن) ١٣ / ٨ .
- (١٩) الضَّغْنُ وَالضَّغْنُ الْحَقْدُ ، لِسَانَ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (ضَغَنَ) ١٣ / ٢٥٥ ، وَوَرَدَ فِي بَلَاغَاتِ النِّسَاءِ : وَكَيْفَ يُسْتَبْطَى فِي بَغْضَتِنَا مِنْ نَظَرِ الْبِنَاتِ الشَّقِيقِ وَالشَّنَانِ وَالْإِحْنِ وَالْأَضْغَانِ .
- (٢٠) صَحَّ فَصَاحَةٌ وَهِيَ الْبَيِّنُ فِي اللِّسَانِ وَالْبَلَاغَةُ ، لِسَانَ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (فَصَح) ٢ / ٥٤٤ .
- (٢١) السَّبِيُّ وَالسَّبَاءُ الْأَسْرُ ، لِسَانَ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (سَبَى) ١٤ / ٣٦٧ .
- (٢٢) الْحَوْبُ : الْحَوْبُ الْإِثْمُ الْعَظِيمُ ، لِسَانَ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (حَوْب) ١ / ٣٤٠ .
- (٢٣) فِي بَلَاغَاتِ النِّسَاءِ : غَيْرَ مُتَأَتِّمٍ وَلَا مُسْتَعْظِمٍ .

وَمَا جَزَزْتَ (١) إِلَّا لَحْمَكَ (٢) ، وَسَتَرْدُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ 9 بِمَا تَحَمَّلْتَ مِنْ دَمِ ذُرِّيَّتِهِ ، وَانْتَهَكْتَ (٣)
 مِنْ حُرْمَتِهِ ، وَسَفَكْتَ (٤) مِنْ دَمَاءِ عَشْرَتِهِ وَلَحْمَتِهِ ، حَيْثُ يَجْمَعُ بِهِ شَمْلُهُمْ (٥) ، وَيَلِمُ بِهِ شَعْنُهُمْ (٦) ، وَيَنْتَقِمُ
 مِنْ ظَالِمِهِمْ (٧) ، وَيَأْخُذُ لَهُمْ بِحَقِّهِمْ مِنْ أَعْدَائِهِمْ ، فَلَا يَسْتَفِرُّكَ (٨) الْفَرَحُ بِقَتْلِهِمْ (٩) ، Π وَلَا تَحْسَبَنَّ
 الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرَحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ O
 (١٠) ، وَحَسْبُكَ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَحَاكِمًا ، وَبِرَسُولِ اللَّهِ 9 خَصِيمًا (١١) ، وَبِجِبْرِئِيلَ ظَهِيرًا (١٢) .
 وَسَيَعْلَمُ مِنْ بَوَاكٍ (١٣) وَمَكْنَكِ (١٤) مِنْ رِقَابِ الْمُسْلِمِينَ أَنْ بَنَسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ، وَأَيُّكُمْ (١٥) شَرُّ مَكَانًا
 وَأَصْلُ سَبِيلًا ، وَمَا اسْتَصْغَارِي (١٦) قَدْرَكَ (١٧) ، وَلَا اسْتِعْظَامِي (١٨) تَقْرِيعَكَ (١٩) تَوْهَمًا (٢٠) لَانْتِجَاعِ (٢١)
 الْخِطَابِ (٢٢) فِيكَ بَعْدَ أَنْ تَرَكْتَ غُيُونَ الْمُسْلِمِينَ بِهِ عِبْرَى (٢٣) ، وَصُدُّوهُمْ عِنْدَ ذِكْرِهِ حَرَى (٢٤) ، فَيَلِكُ
 قُلُوبٌ قَاسِيَةً ، وَنُفُوسٌ طَآغِيَةٌ (٢٥) ، وَأَجْسَامٌ مَحْشُوءَةٌ (٢٦) بِسَخَطِ اللَّهِ (٢٧) وَلَعْنَةِ الرَّسُولِ ،

- (١) الجز : جَزَّ الصَّوْفَ والشَّعْرَ يَجْزُهُ جَزًّا فَهُوَ مَجْزُوزٌ وَجَزِيذٌ أَي قُطِعَ ، لسان العرب : مادة (جزز) ٣١٩ / ٥ .
 (٢) في بلاغات النساء : ولا حززت إلا في لحكم .
 (٣) انتَهَاكَ الْحُرْمَةَ تَنَالُهَا بِمَا لَا يَحِلُّ ، لسان العرب : مادة (نهك) ٤٩٩ / ١ .
 (٤) السَّفَكُ صَبُّ الدَّمِ ، وَسَفَكَ الدَّمَ وَالدَّمَعَ يَسْفِكُهُ سَفْكَاً فَهُوَ مَسْفُوكٌ وَسَفِيكَ صَبِيهِ وَهَرَاقَهُ ، لسان العرب : مادة (سفك) ٤٣٩ / ١ .
 (٥) شَمْلٌ : مُشْتَمِلُ الْقَوْمِ مُجْتَمِعٌ عِنْدَهُمْ وَأَمْرُهُمْ ، لسان العرب : مادة (شمل) ٣٦٤ / ١١ .
 (٦) شَعْنُهُ أَي جَمَعَ مَا تَفَرَّقَ مِنْهُ ، وَمَعْنَى ثَلَمَ بِهَا شَعْنِي أَي تَجَمَّعَ بِهَا مَا تَفَرَّقَ مِنْ أَمْرِي ، لسان العرب : مادة (شعث) ١٦٠ / ٢ .
 (٧) فِي بَعْضِ النُّسخ : مِمَّنْ ظَلَمَهُمْ .
 (٨) فَرَزْتُهُ : إِذَا غَرَزْتَهُ وَغَلَبْتَهُ ، لسان العرب : مادة (فرز) ٣٩١ / ٥ .
 (٩) فِي بَحَارِ الْأَنْوَارِ : يَقْتُلُهُ .
 (١٠) آل عمران / ١٦٩ - ١٧٠ .
 (١١) الْخُصُومَةُ الْجِدَلُ خَاصِمُهُ خُصَامًا وَمُخَاصِمَةٌ فَخُصِمَ يَخْصِمُهُ خُصْمًا غَلِبَهُ بِالْحُجَّةِ ، لسان العرب : مادة (خصم) ١٨٠ / ١٢ .
 (١٢) وَبِجِبْرِائِيلَ ظَهِيرًا ، وَمَعْنَى الظَّهِيرُ الْمُعِينُ ، الْمُدَبِّرُ لِلْأَمْرِ ، لسان العرب : مادة (ظهر) ٥٢٠ / ٤ .
 (١٣) بَوَاهُ إِيَّاهُ وَيَوَاهُ لَهُ وَيَوَاهُ فِيهِ بِمَعْنَى هَيَّاهُ لَهُ وَأَنْزَلَهُ وَمَكَّنَ لَهُ ، لسان العرب : مادة (بوا) ٣٦ / ١ .
 (١٤) وَتَمَكَّنَ مِنَ الشَّيْءِ وَاسْتَمَكَّنَ ظَفِرًا ، لسان العرب : مادة (مكن) ٤١٣ / ١٣ .
 (١٥) فِي بَحَارِ الْأَوَارِ : وَأَنْتُمْ .
 (١٦) الصَّغَرُ ضِدُّ الْكِبَرِ ، وَاسْتَصْغَرَهُ عَدَّهُ صَغِيرًا وَصَغَّرَهُ وَأَصْغَرَهُ جَعَلَهُ صَغِيرًا ، لسان العرب : مادة (صغر) ٤٥٨ / ٤ .
 (١٧) الْقَدْرَ أَي الْحُكْمَ ، لسان العرب : مادة (قدر) ٧٤ / ٥ .
 (١٨) وَوَعَضْنَهَا زَادَ عَلَى الْعِضَامِ ، لسان العرب : مادة (عضم) ٤٠٨ / ١٢ .
 (١٩) وَالتَّقْرِيعُ التَّائِيْبُ وَالتَّغْنِيفُ وَقِيلَ هُوَ الْإِجْجَاعُ بِالْوُجْهِ وَقَرَعَتْ الرَّجُلُ إِذَا وَبَّخَتْهُ ، لسان العرب : مادة (قرع) ٢٦٢ / ٨ .
 (٢٠) الْوَهْمُ مِنْ خَطَرَاتِ الْقَلْبِ وَالْجَمْعُ أَوْهَامٌ وَلِلْقَلْبِ وَهْمٌ وَتَوْهَمُ الشَّيْءِ تَخِيلُهُ وَتَمَثَّلُهُ كَانَ فِي الْوُجُودِ أَوْ لَمْ يَكُنْ ، لسان العرب : مادة (وهم) ٦٤٣ / ٢ .
 (٢١) وَانْتَجَعْنَا فَلَانًا إِذَا أَتَيْنَاهُ نَظْلِبُ مَعْرُوفِهِ ، لسان العرب : مادة (نجع) ٣٤٧ / ٨ .
 (٢٢) الْخِطَابُ وَالْمُخَاطَبَةُ مُرَاجَعَةُ الْكَلَامِ ، لسان العرب : مادة (خطب) ٣٦٠ / ١ .
 (٢٣) وَغَيْرَى وَغَيْرَةً حَزِينَةً ، لسان العرب : مادة (عبر) ٥٢٩ / ٤ .
 (٢٤) وَبِجِبْرِائِيلَ ظَهِيرًا ، وَمَعْنَى الظَّهِيرُ الْمُعِينُ ، الْمُدَبِّرُ لِلْأَمْرِ ، لسان العرب : مادة (ظهر) ٥٢٠ / ٤ .
 (٢٥) الطَّآغِيَةُ الَّتِي لَا يُبَالِي مَا أَتَى يَأْكُلُ النَّاسَ وَيَقْهَرُهُمْ لَا يَتَّخِذُهُمْ حَرَجًا وَلَا فَرْقًا ، لسان العرب : مادة (طغي) ٧ / ١٥ .
 (٢٦) مَحْشُوءَةٌ : تَقُولُ لِجَمِيعِ مَا فِي الْبَطْنِ ، لسان العرب : مادة (حشا) ١٧٨ / ١٤ .
 (٢٧) وَبِجِبْرِائِيلَ ظَهِيرًا ، وَمَعْنَى الظَّهِيرُ الْمُعِينُ ، الْمُدَبِّرُ لِلْأَمْرِ ، لسان العرب : مادة (سخط) ٣١٢ / ٧ .

قَدْ عَشَّشَ (١) فِيهَا الشَّيْطَانُ (٢) وَفَرَّخَ (٣)، وَمِنْ هُنَاكَ مِثْلُكَ مَا دَرَجَ (٤) وَهَضَ .

فَالْعَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ لِقَتْلِ الْأَتْقِيَاءِ ، وَأَسْبَاطِ (٥) الْأَنْبِيَاءِ ، وَسَلِيلِ الْأَوْصِيَاءِ ، بِأَيْدِي الطُّلُقَاءِ الْخَبِيثَةِ ،
وَنَسْلِ الْعَهْرَةِ (٦) الْفَجْرَةِ (٧) ، تَنْطَفُ (٨) أَكْفُهُمْ مِنْ دِمَائِنَا وَتَحْلَبُ (٩) أَفْوَاهُهُمْ مِنْ لُحُومِنَا ، تِلْكَ الْجُثَثُ
الزَّائِكِيَّةُ (١٠) عَلَى الْجُيُوبِ (١١) الصَّاحِيَةِ (١٢) ، تَنْتَابُهَا (١٣) الْعَوَاسِلُ (١٤) ، وَتُعَقِّرُهَا (١٥) [أُمَهَاتُ]
(١٦) الْفَرَاعِلِ (١٧) ، فَلَيْنِ اتَّخَذْتَنَا مَعْنَمًا (١٨) لَنَجِدَ بِنَا وَشَيْكَا مَعْرَمًا (١٩) ، حِينَ لَا تَجِدُ إِلَّا مَا قَدَمْتَ يَدَاكَ ،
وَمَا اللَّهُ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ (٢٠) .

فَإِلَى اللَّهِ الْمُشْتَكَى وَالْمُعَوَّلُ (٢١) ، وَإِلَيْهِ الْمَلْجَأُ (٢٢) وَالْمُؤْمِلُ ، ثُمَّ كَيْدُ كَيْدِكَ (٢٣) ، وَاجْهَدْ جَهْدَكَ
فُو [اللَّهُ] الَّذِي شَرَّفَنَّا بِالْوَحْيِ وَالْكِتَابِ ، وَالنُّبُوَّةِ وَالْإِنْتِجَابِ (٢٤) ، لَا تُدْرِكُ أَمَدَنَا (٢٥) ، وَلَا تَبْلُغُ غَايَتَنَا ، وَلَا

(١) (عشش) عش الطائر الذي يجتمع من حطام العيدين وغيرها، وعشش الطائر تغشيشاً كاعشش لسان العرب : مادة (عشش) ٦
٣١٦/ .

(٢) في بحار الأنوار : قد عشش فيه الشيطان .

(٣) وفرخ أي اتخذهم مفرراً ومسكناً لا يفارقهم كما يلزم الطائر موضع بيضه وأفراخه، لسان العرب : مادة (فرخ) ٤٢/٣ .

(٤) درج البناء ودرجه بالثقليل مراتب بعضها فوق بعض، لسان العرب : مادة (درج) ٢٦٦/٢ .

(٥) الأسباط خاصة الأولاد والمصاص منهم وقيل السبط واحد الأسباط وهو ولد الولد، لسان العرب : مادة (سبط) ٣٠٨/٧ .

(٦) العاهر هو الزاني، لسان العرب : مادة (عهر) ٦١١/٤ .

(٧) الفجار جمع فاجر وهو المنيعث في المعاصي والمحارم، لسان العرب : مادة (فجر) ٤٥/٥ .

(٨) تنطف : النطف التلطخ بالعيب، لسان العرب : ٣٣٤/٩ ، مادة (نطف) . ، ووردت في بعض النسخ : وتنفط .

(٩) في بلاغات النساء : وتخلب ، وخلبت : خلبت النبات خلْباً من باب قتل : قطعته ، ومنه المخلب للطائر ، ومعنى (تخلب) : تسيل .

(١٠) الزكاة الصلاح ورجل تقي زكي أي زاك من قوم أتقياء أزكياء، لسان العرب : مادة (زكا) ٣٥٨/ ١٤ .

وقد ورد في بلاغات النساء : وللجثث الزاكية .

(١١) الجيوب : بالفتح : الأرض الغليظة ، وقيل هو المدر ، وفي بلاغات النساء : على الجيوب .

(١٢) الضاحية والضحية، لسان العرب : مادة (ضحا) ٤٧٤/١٤ .

(١٣) أئب الرجل تأبياً عنقه ولأمه ووبخه، لسان العرب : مادة (أئب) ٢١٦/١ .

(١٤) تنتابها العواسل : تأتي مرة بعد أخرى ، والعواسل : الذئب ، وفي بعض النسخ وردت : (تنتاشها العواسل) ، وكلاهما بمعنى واحد .

(١٥) التعفير العفر ظاهر التراب، لسان العرب : مادة (عفر) ٥٨٣/٤ ، وورد في بلاغات النساء والتهوف : وتعفوها .

(١٦) وردت كلمة أمهات في رواية ابن طيفور (ت ٢٨٠) .

(١٧) الفرغل ولد الضبع، لسان العرب : مادة (فرغل) ٥١٨/١١ ، وفي بعض النسخ وردت : الفواعل ومعناها : أولاد الضباع .

(١٨) غيم الشيء غمماً فاز به وتغتمه واعتنمه عده غيمة، لسان العرب : مادة (غم) ٤٤٥/١٢ .

(١٩) المعرم وهو مصدر وضع موضع الاسم ويريد به معرم الذنوب والمعاصي، لسان العرب : مادة (غرم) ٤٣٦/١٢ .

(٢٠) وفي بلاغات النساء : ... وسيعلم من بؤاك ومكنك من رقاب المؤمنين إذا كان الحكم الله والخصم محمد صلى الله عليه وآله وسلم وجوارحك شاهدة عليك فبنس للظالمين بدلاً أيكم شر مكاناً وأضعف جنداً مع أي والله يا عدو الله وابن عدوه أستصغر قدرك

وأستعظم تقريعتك غير أن العيون عبرى والصدور حرى وما يجزي ذلك أو يغني عنا وقد قتل الحسين A وحزب الشيطان يقر بنا إلى

حزب السفهاء ليعطوهم أموال الله على انتهاك محارم الله ، فهذه الأيدي تنطف من دماننا وهذه الأفواه تتحلب من لحومنا وتلك الجثث

الزواكي يعتامها عسلان الفلوات فلئن اتخذتنا مغنماً لتتخذن مغرمًا حين لا تجد إلا ما قدمت يداك تستصرخ يا بن مرجانة ويستصرخ

بك وتتعاوى وأتباعك عند الميزان وقد وجدت أفضل زاد زدك معاوية قتلك ذرية محمد G فوالله ما تقيت غير الله ولا شكواي إلا إلى

الله فكد كيدك واسع سعيك وناصب جهدك فوالله لا يرحض عنك عار ما أتيت إلينا أبداً والحمد لله الذي ختم بالسعادة والمغفرة لسادات

شبان الجنان فأوجب لهم الجنة ، أسأل الله أن يرفع لهم الدرجات وأن يوجب لهم المزيد من فضله فإنه ولي قدير .

(٢١) العول والعويل الاستغاثة ومنه قولهم معولي على فلان أي ائكالي عليه واستغاثني به، لسان العرب : ٤٨١/١١ ، مادة (عول) .

(٢٢) لجأ ولجؤاً وملجأ ولجئ لجأ والتجأ وألجأت أمرى إلى الله أسندت، لسان العرب : ١٥٢/١ ، مادة (لجأ) .

(٢٣) ورد في بلاغات النساء : ولا شكواي إلا إلى الله فكد كيدك، والمعنى كد الشيء يكذه واكتده نزعه بيده، والكد الشدة في

العمل، لسان العرب : مادة (كد) ٣٧٧/٣ .

(٢٤) اللجيب الفاضل من كل حيوان وقد نجب يتجب نجابة إذا كان فاضلاً نفيساً في نوعه، لسان العرب : مادة (نجب) ٧٤٨/١ .

وورد في بعض النسخ : الانتخاب .

وَلَا تَمْحُوْا (٢) ذِكْرَنَا ، وَلَا يَرْحَضُ (٣) عَنْكَ عَارُنَا (٤) ، وَهَلْ رَأَيْكَ إِلَّا قَدْ (٥) ، وَأَيُّمُكَ إِلَّا عَدَدٌ ، وَجَمْعُكَ إِلَّا بَدَدٌ (٦) ، يَوْمَ يُنَادِي الْمُنَادِي أَلَا لَعْنُ الظَّالِمِ الْعَادِي (٧) .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي حَكَمَ (٨) لِأَوْلِيَائِهِ بِالسَّعَادَةِ ، وَخَتَمَ لِأَصْفِيَائِهِ (٩) بِبُلُوغِ الْإِرَادَةِ ، وَنَقَلَ لَهُمْ إِلَى الرَّحْمَةِ وَالرَّأْفَةِ (١٠) ، وَالرَّضْوَانِ وَالْمَغْفِرَةِ ، وَلَمْ يَشَقْ (١١) بِهِمْ غَيْرُكَ ، وَلَا ابْتَلَى (١٢) بِهِمْ سِوَاكَ ، وَنَسَّأَلَهُ أَنْ يُكْمِلَ لَهُمُ الْأَجْرَ ، وَيُجْزِلَ (١٣) لَهُمُ الثَّوَابَ وَالذُّخْرَ (١٤) ، وَنَسَّأَلَهُ حُسْنَ الْخِلَافَةِ ، وَجَمِيلَ الْإِنَابَةِ (١٥) ، إِنَّهُ رَحِيمٌ وَدُودٌ (١٦) .

(١) الْأَمْدُ الْغَايَةُ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (أَمَد) ٧٤/٣ .
 (٢) مَحَا الشَّيْءَ أَذْهَبَ أَثَرَهُ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (مَحَا) ٢٧١/١٥ .
 (٣) الرَّحَضُ: الْعَسَلُ يَرْحَضُهَا وَيَرْحَضُهَا رَحَضًا غَسَلَهَا، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (رَحَض) ١٥٣/٧ .
 (٤) فِي بِلَاغَاتِ النِّسَاءِ : فَوَاللَّهِ لَا يَرْحَضُ عَنْكَ عَارٌ مَا أَتَيْتَ إِلَيْنَا أَبَدًا ، وَفِي بَعْضِ النُّسخِ : وَلَا يَرْحَضُ عَنْكَ عَارُهَا، وَمَعْنَى الْعَارُ السُّبَّةُ وَالْعَيْبُ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (عِير) ٦٢٠/٤ .
 (٥) الْقَنْدُ : الْقَنْدُ الْخَرْفُ وَإِنْكَارُ الْعَقْلِ مِنَ الْهَرَمِ أَوْ الْمَرَضِ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (قَنْد) ٣٣٨/٣ .
 (٦) (بَدَد) يَبْدُدُ الشَّيْءَ فَيَبْدُدُ فَرْقَهُ فَيَفْتَرِّقُ وَيَبْدُدُ الْقَوْمَ إِذَا تَفَرَّقُوا وَتَبَدَّدَ الشَّيْءُ تَفَرَّقَ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (بَدَد) ٧٨/٣ .
 (٧) فِي اللَّهْوِ : أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ، وَفِي بَعْضِ النُّسخِ : أَلَا لَعْنُ اللَّهِ الظَّالِمِ الْعَادِي .
 (٨) فِي اللَّهْوِ : الَّذِي خَتَمَ .
 (٩) فِي بَعْضِ النُّسخِ : لِأَصْفِيَائِهِ بِالشَّهَادَةِ .
 (١٠) الرَّأْفَةُ الرَّحْمَةُ وَقِيلَ أَشَدُّ الرَّحْمَةِ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (رَأْف) ١١٢/٩ .
 (١١) الشَّقَاءُ وَالشَّقَاوَةُ بِالْفَتْحِ ضِدُّ السَّعَادَةِ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (شَقَا) ٤٣٨/١٤ .
 (١٢) الْإِبْتِلَاءُ الْإِخْتِبَارُ مِنْ بِلَاهُ يَبْلُوهُ وَابْتَلَاهُ أَيْ جَرَّبَهُ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (بِلَا) ٨٣/١٤ .
 (١٣) أَجْزَلَتْ لَهُ مِنَ الْعَطَاءِ أَيْ أَكْثَرَتْ وَقَدْ أَجْزَلَ لَهُ الْعَطَاءُ إِذَا عَظُمَ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (جَزَلَ) ١٠٩/١١ .
 (١٤) دَخَرَ الشَّيْءَ يَدْخُرُهُ ادْخَارًا اخْتَارَهُ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (دَخَرَ) ٣٠٢/٤ .
 (١٥) الْإِنَابَةُ الرَّجُوعُ إِلَى اللَّهِ بِالتَّوْبَةِ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (تَوْب) ٧٧٤/١ .
 (١٦) الْوُدُودُ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى فَعُولٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ مِنَ الْوَدِّ الْمَحَبَّةِ ، لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (وَدَد) ٤٥٣/٣ ، وَوَرَدَ فِي بِلَاغَاتِ النِّسَاءِ : ... وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَتَمَ بِالسَّعَادَةِ وَالْمَغْفِرَةِ لِسَادَاتِ شَبَّانِ الْجَنَانِ ، فَأَوْجِبَ لَهُمُ الْجَنَّةَ ، أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَرْفَعَ لَهُمُ الدَّرَجَاتِ ، وَأَنْ يُوْجِبَ لَهُمُ الْمَزِيدَ مِنْ فَضْلِهِ ، فَإِنَّهُ وَلِيُّ قَدِيرٍ .

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم .

- الاحتجاج : أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي (من أعلام القرن السادس الهجري) ، تح : الشيخ إبراهيم البهاري والشيخ محمد هادي به ، بإشراف العلامة الشيخ جعفر السبحاني ، ط٤ ، دار الأسوة للطباعة والنشر - قم ، ١٤٢٤ هـ .
- أحكام صفة الكلام لذوي الوزارتين : أبو القاسم محمد بن عبد الغفور الكلاكي الأشبيلي الأندلسي ، أحد أعلام القرن السادس الهجري ، تح : محمد رضوان الداية ، دار الثقافة ، مطبعة النجوى ، بيروت - لبنان ، ١٩٦٦ م .
- أخبار الزينبيات : يحيى بن الحسين العبدلي (ت ٢٧٧ هـ - ٨٩٠ م) ، منشورات مكتبة السيد النجفي المرعشي - قم ، ١٤٠١ هـ .
- الأدب السياسي المُلتزم في الإسلام : د. صادق آئينة وند ، ود. حسن عباس نصر الله ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت - لبنان ، ب.ت .
- الأدب العربي في العصر الجاهلي وصدر الإسلام : أ.د. زكريا صيام ، ط٣ ، المكتبة الوطنية - عمان ، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م .
- أدب النساء في الجاهلية والإسلام / القسم الأول - النشر : د. محمد بدر معبد ، مطبعة مكتبة الآداب ، المطبعة النموذجية - مصر ، ١٩٨٣ م .
- أساليب الإستفهام في القرآن الكريم : عبد العليم فودة ، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والأدب والعلوم الاجتماعية ، مؤسسة دار الشعب ، ب.ت .
- أساليب القسم في اللغة العربية : كاظم فتحي الراوي ، ط١ ، مطبعة الجامعة المستنصرية - بغداد ، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م .
- أسرار البلاغة : أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (ت ٤٧١ هـ أو ٤٧٤ هـ) ، تح : هـ - رتير ، مطبعة وزارة المعارف - استانبول ، ١٩٥٤ م .
- الأسرار الفاطمية : محمد فاضل المسعودي ، ط١ ، منشورات ذوي القربى ، إيران - قم ، ١٣٨٤ هـ .
- الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية : د. أحمد الشايب ، ط٦ ، مكتبة النهضة المصرية ، مزودة ومنقحة بالقاهرة ، ١٩٦٦ م .

- الإصابة في تمييز الصحابة : شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (ت ٨٥٢هـ) ، تح: علي محمد البجاوي، ط ١ ، دار الجيل - بيروت ، ١٤١٢ هـ .
- إعجاز القرآن : أبو بكر محمد بن الطيب الباقلائي (ت ٣٤٩هـ) ، تح : السيد أحمد الصقر ، القاهرة - دار المعارف ، د.ت .
- أعلام النساء : علي محمد د خليل ، ط ١ ، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان ، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م .
- أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام : عمر رضا كحالة ، المطبعة الهاشمية - دمشق ، ١٣٥٩ هـ - ١٩٤٠ م .
- أعلام النساء المؤمنات : محمد الحسون وأم علي مشكور ، ط ٢ ، دار الأسوة للطباعة والنشر - إيران ، ١٣٧٩ هـ .
- اعلّموا أني فاطمة - فاطمة الزهراء B والحضارة الإسلامية - : عبد الحميد المهاجر ، المجلد الرابع ، ط ١ ، ١٤٢٦ هـ .
- أعيان الشيعة : السيد محسن الأمين ، حققه وأخرجه وعلق عليه : السيد حسن الأمين ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٣ هـ .
- الأغاني : أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ) ، تح : سمير جابر ، ط ٢ ، دار الفكر ، بيروت - لبنان .
- الأمالي : أبو علي اسماعيل بن القاسم القالي ، دار الكتب - مصر ، ١٩٥٤ م - ١٣٧٣ هـ .
- الأمالي : أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ) ، قدّم له : السيد محمد صادق بحر العلوم ، نشر المكتبة الأهلية - بغداد ، د.ت .
- أنموذج في علم البلاغة وتوابعها : عبد الوهاب طاهر بن علي الأسترباذي (ت ٨٣٣هـ - أو ٨٧٥هـ) ، تح : عبد الله حبيب وشاكر هادي التميمي ، مطبعة المتنبي - الديوانية ، ٢٠٠٢ م .
- أنوار الربيع في أنواع البديع : علي صدر الدين بن معصوم المدني ، تح : شاكر هادي شكر ، النجف الأشرف ، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م .
- الإيضاح في علوم البلاغة - المعاني والبيان والبديع - : جلال الدين أبو عبد الله محمد بن سعد الدين بن عمر المعروف بالخطيب القزويني (ت ٧٣٩هـ) ، ط ٤ ، دار إحياء العلوم - بيروت ، ١٩٩٨ م .

- بحار الأنوار الجامع لدرر أخبار الأئمة الأطهار : العلامة الشيخ محمد باقر المجلسي (ت ١١١٠هـ) ، ط ٢ ، مؤسسة الوفاء ، بيروت - لبنان ، ط ٢ ، ١٩٨٣م - ١٤٠٣هـ .
- البرهان في علوم القرآن : بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م .
- بلاغات النساء (وطرائف كلامهن وملح نوادرهن وأخبار ذوات الرأي منهن) وأشعارهن في الجاهلية والإسلام : أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر بن طيفور (ت ٣٨٠هـ) ، النجف الأشرف - المكتبة المرتضوية ، ١٣٦١هـ .
- بنية اللغة الشعرية : جان كوهين ، ترجمة : عبد الولي ومحمد العمري ، المغرب - الدار البيضاء - دار تويقال للنشر ، ١٩٨٦م .
- البيان والتبيين : أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) ، تح : المحامي فوزي عطوي ، ط ١ ، دار صعب - بيروت ، ١٩٦٨م .
- تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي : د. محمود البستاني ، مجمع البحوث الإسلامية - بيروت - لبنان ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .
- تاريخ الأمم والملوك : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) ، ط ١ ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٤٠٧هـ .
- تراجم سيدات بيت النبوة : عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ ، دار الحديث - القاهرة ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .
- التعريف في الأدب العربي : رفيف خوري ، لجنة التأليف المدرسي ، بيروت .
- تمهيد في النقد الحديث : روز غريب ، ط ١ ، دار المكشوف - بيروت ، ١٩٧١م .
- جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة : أحمد زكي صفوت ، المكتبة العلمية - بيروت ، د - ت .
- جمهرة اللغة : أبي بكر دريد (ت ٣٢١هـ) ، علق عليه ووضع حواشيه وفهارسه : إبراهيم شمس الدين ، ط ١ ، منشورات محمد علي بيضون - دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ٢٠٠٥م .
- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع : أحمد الهاشمي ، ط ٢ ، ١ ، دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان .
- جوهر الكنز : نجم الدين أحمد بن إسماعيل بن الأثير الحلبي ، تح : د. محمد زغلول سلام ، منشأة المعارف ، الإسكندرية - مصر ، ب . ت .

- حسن التوسّل إلى صناعة الترسّل : أبو الثناء شهاب الدين محمود بن سليمان المعروف بشهاب الدين الحلبي (٧٢٥هـ) ، تح ودراسة : أكرم عثمان يوسف ، ب.ط ، دار الحرية للطباعة - بغداد ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .
- حياة الزهراء بعد أبيها الرسول : العلامة الحاج الشيخ فضل علي القزويني ، تح : السيد أحمد الحسيني ، ط ١ ، ١٤٢٦هـ .
- حياة السيدة زينب B : جعفر النقدي (ت ١٣٧٠هـ - ١٩٥٠م) ، ط ١ ، منشورات مؤسسة الأعلمي للطبوعات - بيروت - لبنان ، ١٩٩٨م - ١٤١٩هـ .
- الحيوان : أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) ، تح : عبد السلام محمد هارون ، ط ١ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر ، ١٣٥٦هـ - ١٩٣٨م .
- خزائن الأدب وغاية الأرب : تقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله المعروف بابن حجة الحموي (ت ٨٣٧هـ) ، تح : عصام شعيتو ، ط ١ ، دار ومكتبة الهلال - بيروت ، ١٩٨٧م .
- الخطابة : أرسطو طاليس ، ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوي ، دار الرشيد للنشر - بغداد ، ١٩٨٠م .
- الخطابة العربية في عصرها الذهبي : إحسان النص ، دار المعارف - مصر ، ١٩٦٣م .
- الخطابة في صدر الإسلام ، محمد طاهر درويش ، دار المعارف - مصر ، ١٩٦٥م .
- الخطابة في عصر صدر الإسلام : د. محمد طاهر درويش ، دار الجيل للطباعة - مصر .
- الخطب والمواعظ : محمد عبد الغني حسن ، ط ٤ ، دار المعارف - القاهرة ، ١٩٨٠م .
- الدر المنثور في طبقات ربات الخدور : زينب بنت علي فواز العاملي ، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق - مصر ، ١٣١٢هـ .
- دراسات في الأدب الجاهلي وصدر الإسلام : د. عبد المجيد هندي ، مكتبة عين شمس - القاهرة ، ١٩٨٠م .
- دلائل الإعجاز : أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت ٤٧١هـ أو ٤٧٤هـ) ، صحّحه وشرّحه وعلّق عليه : الأستاذ أحمد مصطفى المراغي ، ط ٢ ، المكتبة المحمودية التجارية ، مصر ، د.ت .
- دلائل الإمامة : أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري ، منشورات المطبعة الحيدرية ومكتبتها - النجف الأشرف ، ١٣٦٩هـ - ١٩٤٩م .
- زينب الكبرى بنت الإمام علي بن أبي طالب : جعفر النقدي (ت ١٣٧٠هـ) ، إيران .
- زينب الكبرى من المهد إلى اللحد : محمد كاظم القزويني ، تح : مصطفى القزويني ، ط ٢ ، دار القارئ ، بيروت - لبنان ، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م .

- زينب والظالمون : محسن المعلم ، ط ١ ، دار الهادي للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م .
- سر الفصاحة : أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦ هـ) ، صحّحه وعلّق عليه : عبد المتعال الصعيدي ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده - الأزهر - مصر ، ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٣ م .
- السقيفة وفدك : أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري (ت ٣٢٣ هـ) .
- سنن ابن ماجه : أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (٢٧٥ هـ) ، تح : محمود محمد حسن نصّار ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٩٩٨ م .
- سنن الترمذي : أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت ٢٩٧ هـ) ، تح : محمود محمد محمود حسن نصّار ، ط ١ ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م .
- السيدة زينب رائدة الجهاد في الإسلام ، عرض وتحليل : باقر شريف القرشي ، مطبعة النجف ، ١٤١٤ هـ .
- السيدة زينب وأخبار الزينبيات : يحيى بن الحسن بن جعفر العبيدي (ت ٢٧٧ هـ) ، تح : حسن محمد قاسم ، ط ٢ ، مصر ، ١٩٣٤ م .
- شرح نهج البلاغة : عبد الحميد بن محمد بن أبي الحديد (ت ٦٥٥ هـ) ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربيّة ، ١٣٧٩ هـ - ١٩٥٩ م .
- شعر الشريف الرضي - الفن والإبداع : د. حافظ المنصوري ، ط ١ ، النجف الأشرف ، ٢٠٠٧ م .
- صبح الأعشى في صناعة الإنشا: أحمد بن علي القلقشندي، تح : د.يوسف علي طويل ، ط ١ ، دار الفكر - دمشق ، ١٩٨٧ م .
- الصديقة زينب B مثال المرأة الواعية : الشيخ حسن مكي الخويلدي ، ط ١ ، دار المحجّة البيضاء للطباعة والنشر - بيروت - لبنان ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م .
- الصديقة الصغرى زينب بنت علي B : صالح الجصّاني ، مراجعة عبد الجبار الساعدي .
- الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث : بشري موسى صالح ، المركز الثقافي العربي، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٩٩٤ م .
- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب : د. جابر أحمد عصفور ، ط ٢ ، دار التنوير للطباعة والنشر - بيروت ، ١٩٨٣ م .

- الصورة الفنية في القرآن الكريم : عبد السلام أحمد الراغب ، ط ١ ، فصلت للدراسات والترجمة والنشر ، حلب ، ٢٠٠١ م .
- الصورة الفنية في المثل القرآني : د. محمد حسين الصغير ، ط ٢ ، دار الهادي - بيروت ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .
- الصورة الفنية معياراً نقدياً منحى تطبيقي على شعرا الأعشى الكبير: د. عبد الإله الصائغ ، ط ١ ، دار الشئون الثقافية العامة - بغداد ، ط ١ ، ١٩٨٧ م .
- الصورة في الشعر العربي حتى أواخر القرن الثاني الهجري: دراسة في أصولها وتطورها ، د. علي البطل ، دار الأندلس ، ط ١ ، ١٩٨٠ م .
- الطبقات الكبرى : أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع (ت ٢٣٠ هـ - ٨٤٤ م) ، تح : إحسان عباس ، دار الفكر - بيروت ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .
- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز : يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني (ت ٧٤٥ هـ) ، مراجعة وضبط وتحقيق : محمد عبد السلام شاهين ، مطبعة المقتطف - مصر ، ١٩١٤ م - ١٣٣٢ هـ .
- ظواهر فنية في لغة الشعر العربي الحديث : علاء الدين رمضان السيد ، منشورات اتحاد الكتاب العربي - دمشق ، ١٩٩٦ م .
- العباس : عبد الرزاق المقرم : دار الفردوس ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
- العصر الجاهلي : د. شوقي ضيف ، ط ٢ ، دار المعارف - مصر ، ١٩٦٥ م .
- عصر النبوة : إبراهيم نمير سيف الدين ، لبید إبراهيم أحمد ، ط ١ ، دار الطباعة الحديثة، البصرة ، ١٩٦٨ م .
- العقد الفريد : أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربّه الأندلسي (ت ٣٢٨ هـ) ، تح : أحمد أمين ، إبراهيم الأبياري ، عبد السلام هارون ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م ، لجنة التأليف والترجمة - مصر .
- العقيلة زينب والفواطم : حسين الشاكري ، طبعة إيران ، ٢٠٠١ م .
- علم الخطابة : د. محمد سمير الشاوي ، ط ١ ، سوريا ، دمشق - البرامكة ، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٦ م .
- علم المعاني : عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية - بيروت ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

- نت العدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت ٤٥٦ هـ) ، حققه وفصله وعلق حواشيه : محمد محي الدين عبد الحميد ، ط ٤ ، دار الجيل - بيروت - لبنان ، ١٩٧٢ م .
- عيون الأخبار : أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ) ، دار الكتاب العربي (طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية) - القاهرة ، د.ت .
- غريب الحديث : ابن الجوزي ، علق عليه : د. عبد المعطي أمين قلججي ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ، ٢٠٠٤ م .
- فاطمة بنت الحسين X : جعفر النقدي (ت ٣٧٠ هـ - ١٩٥٠ م) ، المطبعة الحيدرية - نجف ، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .
- فاطمة الزهراء B أم أبيها : د. فاضل الحسيني الميلاني ، ط ٩ ، مؤسسة البلاغ ، دار سلوني - بيروت ، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م .
- فاطمة الزهراء B شخصيتها / ظلامتها (رؤية جديدة) : محمد الهنداوي ، مؤسسة العارف للمطبوعات .
- فاطمة الزهراء B وتر في غمد : سليمان كئاني ، ط ٢ ، دار الصادق - بيروت ، ١٩٦٨ م .
- فاطمة الزهراء B والفاطميون : عباس العقاد ، د/ط ، دار الهلال ، د.ت .
- فاطمة صوت الحق الإلهي : محسن المعلم ، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع .
- فصل المقال في شرح كتاب الأمثال : أبو عبيد البكري ، ط ٣ ، تح: د. إحسان عباس و د. عبد المجيد عابدين ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ١٩٨٣ م .
- فضائل الخمسة من الصحاح الستة : العلامة السيد مرتضى الحسيني الفيروز آبادي ، ط ٤ ، منشورات مؤسسة الأعلمي - بيروت ، ١٤٠٢ هـ .
- فن التشبيه : علي الجندي ، القاهرة ، ط ١ ، ١٣٦٨ هـ - ١٩٦٦ م .
- فن الخطابة : إبراهيم البدوي ، راجعه وقدم له العلامة السيد محمد حسين فضل الله ط ١ ، دار الأمير - بيروت ، ١٩٩٤ م - ١٤١٤ هـ .
- فن الخطابة : د. أحمد محمد الحوفي ، ط ٤ ، مطبعة دار نهضة للطبع والنشر - الفجالة - القاهرة - مصر ، ١٩٨٦ م .
- الفن ومذاهبه في النثر العربي : د. شوقي ضيف ، ط ١٠ ، دار المعارف .

- في الأدب الجاهلي (دراسة ونقد) : د. علي صبح ، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه ، دار إحياء الكتب العربية .
- في رحاب السيدة زينب B : محمد بحر العلوم ، دار الزهراء للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان ، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م .
- القاموس المحيط : مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي الفيروز آبادي (ت ٨١٧ هـ) ، ب. ط، ود. ت.
- قصة الأدب في الحجاز في العصر الجاهلي : عبد الله عبد الجبار ، محمد عبد المنعم خفاجي ، دار مصر للطباعة - القاهرة ، ١٩٥٨ م .
- القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي : د. محمود البستاني ، ط ١ ، مؤسسة الطبع والنشر ، إيران - مشهد ، ١٤١٤ هـ .
- الكافي : لثقة الإسلام أبي جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني الرازي (٣٢٨ هـ) ، صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري - دار الكتب الإسلامية - طهران ، ط ٤ ، ١٣٧٥ هـ .
- الكامل في التاريخ : أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري المعروف بابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ) ، غني بمراجعته نخبة من العلماء ، ط ٢ ، دار صادر - بيروت ، ١٩٨٠ م .
- كتاب جمهرة الأمثال : أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ) ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم و عبد المجيد قطامش ، ط ٢ ، دار الفكر - دمشق ، ١٩٨٨ م .
- كتاب الشافي في الإمامة : الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي (ت ٤٣٦ هـ) ، تح : عبد الزهراء الحسيني الخطيب ، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر ، طهران - إيران ، ١٤١٠ هـ .
- كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر) : أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت ٣٩٥ هـ) ، تح : علي مح مد البجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم ، ط ١ ، مطبعة البابي الحلبي ، ١٩٥٢ م - ١٣٧١ هـ .
- كشف الغمة : علي بن عيسى الأربلي (ت ٦٩٣ هـ) ، مكتبة الصدر ، طهران - ١٣٩٧ هـ .
- لسان العرب : جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري الأفرريقي المصري (ت ٧١١ هـ) ، ط ١ ، دار صادر - بيروت ، د. ت.
- اللهوف في قتلى الطفوف : علي بن محمد بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس الحسيني (ت ٥٨٩ هـ) ، منشورات سجدة .

- المزهري في علوم اللغة وأنواعها : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تح :
فؤاد علي منصور ، ط١ ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٩٩٨ م .

- المستقصى في أمثال العرب : أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، ط٢ ، دار الكتب
العلمية - بيروت ، ١٩٨٧ م .

- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ضياء الدين بن الأثير (ت ٦٣٧هـ) ، قدم له
وحققه وعلق عليه : الدكتور بدوي أحمد طبانة والدكتور أحمد الحوفي ، دار النهضة
للطباعة ، ١٩٨٧ م .

- مثير الأحزان : ابن نما الحلبي نجم الدين جعفر بن محمد بن جعفر بن هبة الله (٥٦٧ هـ -
٦٤٥ هـ) ، تحقيق ونشر مؤسسة الإمام المهدي A قم المقدسة ، ١٤٠٦ هـ .

- مجمع الأمثال : أبو الفضل أحمد بن أحمد النيسابوري الميداني ، تح : محمد محيي الدين
عبد الحميد ، ط٢ ، مصر - القاهرة ، ١٩٥٩ م - ١٣٧٩ هـ .

- المحبر : أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي (ت ٢٤٥ هـ) ،
صحح الكتاب : إيلزة ليختن شتيتز ، ط بيروت ، بلا . ت .

- المرأة العربية في ظلال الإسلام : عبد الله عفيفي ، ط١ ، دار الكتاب العربي ، ١٤١٢ هـ -
١٩٩٢ م .

- المرأة في أدب العصر العباسي ، د. واجدة مجيد عبد الله الأترقي ، دار الرشيد للنشر ،
منشورات وزارة الثقافة والإعلام - الجمهورية العراقية ، ١٩٨١ م .

- المرأة في الشعر الجاهلي : د. أحمد الحوفي ، مطبعة النهضة - مصر .

- المرأة وحقوق الإنسان : محمد جمال الهاشمي ، مطبعة الغري الحديثة - نجف ،
١٣٨٠ هـ .

- المرجع في الحضارة العربية الإسلامية : إبراهيم سلمان الكروي ، عبد التواب شرف
الدين ، ط٢ ، منشورات ذات السلاسل - الكويت ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

- المستطرف في كل فن مستظرف : شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبيشي ،
تح : د. مفيد محمد قميحة ، ط٢ ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٩٨٦ م .

- مسند أحمد : أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ) ، دار الفكر - بيروت .

- معاني الأخبار : محمد بن علي بن الحسين بن بابويه (الشيخ الصدوق) (ت ٣٨١ هـ)
ملحق بكتابه علل الشرائع ، ط - إيران .

- معجم آيات الاقتباس : حكمت فرج البدري ، دار الحرية ، ١٩٨٠ م .

- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : د. أحمد مطوب ، مطبعة المجمع العلمي العراقي - بغداد ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .
- مفتاح العلوم : أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي (ت ٦٢٦ هـ) ، تح : د. أكرم عثمان يوسف ، ط ١ ، مطبعة دار الرسالة - بغداد ، ١٩٨٢ م - ١٤٠٢ هـ .
- المفصل في العربية : للزمخشري : مطبعة دار التقدّم ، ١٣٢٣ هـ .
- مقتل الحسين A : أبو المؤيد الموفق بن أحمد أخطب خوارزم (ت ٥٦٨ هـ) ، تح : الشيخ محمد السماوي ، ط ٣ ، منشورات أنوار الهدى - قم ، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م .
- مقتل الحسين A وحديث كربلاء : عبد الرزاق الموسوي المقرّم ، المطبعة الحيدريّة - نجف ، ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م .
- منال الطالب في شرح طوال الغرائب : أبو السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير (ت ٦٠٦ هـ) .
- من تاريخ الأدب العربي ، النثر الجاهلي : طه حسين ، ط ٣ ، دار العلم للملايين - بيروت ، أيار ١٩٧٩ م .
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء : أبو الحسن حازم القرطاجني (ت ٦٨٤ هـ) ، تح : محمد الحبيب بن الخوجة ، دار الكتب الشرقية - تونس ، ١٩٦٦ م .
- نشر الدر في المحاضرات : الوزير الأديب أبو سعد منصور بن الحسين الآبي (ت ٤٢١ هـ) ، تح : خالد عبد الغني محفوظ ، ط ١ ، منشورات دار الكتب العلميّة - بيروت - لبنان ، ٢٠٠٤ م - ١٤٢٤ هـ .
- النثر الفني بين صدر الإسلام والعصر الأموي (دراسة تحليليّة) د. مي يوسف خليف ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة) .
- النثر الفني بين العصر الجاهلي وصدر الإسلام - دراسة فنيّة تحليليّة - د. وفاء علي سليم ، وكالة المطبوعات - الكويت .
- نشر المرأة في الجاهلية إلى نهاية العصر الأموي ، دراسة وجمع وتحقيق : د. عبد الحي بن علي سيد أحمد الحوسني ، إصدارات المجمع الثقافي - أبو ظبي - الإمارات العربية المتّحدة ، ٢٠٠٤ م - ١٤٢٥ هـ .
- النقد الأدبي عند اليونان : بدوي طبانة ، مكتبة الأنجلو المصريّة - القاهرة ، ط ١ ، ١٩٦٧ م .
- نقد الشعر : أبو الفرّج قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧) ، غني بتصحّحه : س.أ. بونيباكو ، مطبعة بريل ، لندن ، ١٩٥٦ م .

- النكت في إعجاز القرآن : أبو الحسن علي بن عيسى الرّماني (ت ٣٨٦هـ) ، (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) ، تح : محمّد خلف الله ، ومحمّد زغلول سلام ، دار المعارف - القاهرة ، ١٩٧٦م .
- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز : فخر الدين الرازي ، القاهرة ، ١٣١٧هـ .
- نهج البلاغة : شرح صبحي الصالح ، دار الهجرة - قم ، ١٤١٢هـ .
- الوسيط في الأدب وتاريخه : الشيخ أحمد الإسكندري ، الشيخ مصطفى عناني ، ط ١٧ ، دار المعارف - مصر .
- وفاة زينب الكبرى : فرج آل عمران القطيفي ، طبعة النجف ، ١٩٥٩م .
- ينابيع المودة : القندوزي ، سليمان بن إبراهيم البلخي (ت ١٢٩٤هـ) ، مطبعة اختر ، اسلامبول ، ١٣٠١هـ .

* الرسائل والأطاريح الجامعية :

- أثر البواعث في تكوين الدلالة البيانية : صباح عباس عنوز ، اطروحة دكتوراه ، كلية الآداب - جامعة الكوفة ، ٢٠٠١م .
- أثر المرأة في الحياة الإسلامية حتّى نهاية العصر الراشدي : علي كسار غدير الغزالي ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب - جامعة الكوفة ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .
- التصوير الفني في خطب الإمام علي A : عباس الفحام ، رسالة ماجستير ، كلية التربية - جامعة الكوفة ، ١٩٩٩م .
- التصوير الفني في خطب المسيرة الحسينية من مكة إلى المدينة : هادي سعدون هتون ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب - جامعة الكوفة ، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م .
- الخطابة الحقلية في العصر الأموي - دراسة موضوعية فنية - : حسين عبد العال الهبيبي ، رسالة ماجستير ، كلية التربية - جامعة الكوفة ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .
- دور نساء آل البيت السياسي والفكري في معركة الطف وما بعدها : أمل محمّد خضير ، اطروحة دكتوراه ، المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية - الجامعة المستنصرية ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م .

- السيدة زينب ودورها في أحداث عصرها : هناء سعدون جبار العبودي ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب - جامعة الكوفة ، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م .
- شعر رثاء الإمام الحسين A في العراق ابتداءً من سنة ١١٠٠ هـ وحتى ١٣٥٠ هـ - دراسة فنية - : خالد كاظم الحميداوي ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب - جامعة الكوفة ، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م .
- شعر المرأة في القرن الأول الهجري أغراضه وميزاته الفنيّة : شاكر محمود عبد علي ، رسالة ماجستير ، كلية التربية - جامعة بغداد ، ١٩٨٩ م .

* الأبحاث والمجلات المحكمة :

- أثر كربلاء في خطابة آل البيت والتوايين رؤية عناصر الواقعة واللغة الفنية : د. علي زيتون ، مجلة المنهاج - العدد الخامس ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م .

B

the second dealt with the structures, while the third was concerned with the study of styles.

In the third chapter, we studied the artistic structure of those orations within three chapters also. The first focused on the orations' structure, the second dealt with the structure of the rhetorical image, and the third was about the rhythmic unit of these orations.

The study was ended with some results, the most important of them are the following :

- Women have great effect in enriching the Arabic literature with the oratory art.
- The orations of the women descendants of the prophet are considered as a school of oratory which any orator, throughout age, can derive his method from.
- The religious content implied two topics: the legislative and the doctrinal, so as to meet the receiver's need. While the political content are those initiated from the status of the chaos effects prevailing the first century of the Hegira, reflecting what is trembling the women orators' soul of images, methods, and planning for the political affairs. Meanwhile, those women orators could cover a wide range of social subjects not as statistics, but as a more inclusive and comprehensive method to meet the need and the attitude's requirements.
- The orations of those women orators have a sedate style reflecting the way women were at that century, owing to their rhetoric skills in logic, artfulness in prolixity, excellence in the methodology of vocabulary choosing, as well as in sentences patterning and structure sequence within a solid and artistic unit. Those women were also able of using variable style that well comply with the receivers.
- Those women orators were preferring the compositional style, especially that of requisition, rather than the predicative one, and this resulted in having composition of clear stylistic phenomenon. This was due to rhetoric and other objective reasons.
- There is abundance of rhetoric images derived from metaphor, metonymy rather than simile.
- Those orator women drew, through rhythm, an effective image on the receivers' soul and feeling, so the rhythm was considered as one of the elements adopted by the those orators in such an organized and harmonious contexts that they were affecting receivers.

The Orations of the Alawid Household's Women Descendants till the End of the First Century of the Hegira

Zainab Abdullah Kadhim Al-Mousawi

Summary

Praise be to God, the Lord of the world, and prayer and peace be upon the master of messengers, Mohammad and his honourable household.

This is a research I called " The Orations of the Alawid Household Women Descendant " to study it objectively and artistically. Those orations had had a great influence in enriching the Arabic literature with oratory art. They were accurate in terms of their semantic and rhetoric depth. My desire was urgent to deal with those orations which were not privileged with a study giving them their due of discussion to suit their literary value.

Tens of literary and historical references have enriched this study . Of them are : *Women's Rhetorical speeches* for Ibn Teifur (280 A.H.), *Oratory* for Ahmed Al-Hawfi, *A collection of Arab Speeches in the Renascent Literary Ages of Arab* for Ahmed Zaki Safwat. Of the historical books are *Al-Tabari's History* (310 A.H.), *Al-Saqifa and Fedak* for Abi-Bakr Al-Jawhari (323A.H.), and *Al-Hussein's Murder* for Al-Khawarizmi (568A.H.), in addition to many others.

The research, of course faced so many difficulties. The first was the documentation of the reportedly controversial texts. The other difficulty was the long period of the their collecting which is deadlined by the research period. In order to overcome so many problems, I could, by God's grace, prepare a method depending completely on the production of the Alawid Household's women descendants in oratory. This methodology required the study to be divided into three chapters preceded by an introduction and preface, and ended with the conclusion which is followed by a documentary index of the speeches texts.

Since the research is concerning oratory, particularly orations of the Alawid Household's women descendants, so the preface included the following topics :

- 1- The effect of women on the development of oratory.
- 2- Writing the biographies of the great women-figures of the Alawid household.

The first chapter deals with the content of the orations within three section. The first implied the religious content, the second studied the political content, while the third was about the social content.

While the second chapter implied a study about the diction of those texts within three sections also. The first studied the utterances,



University of Kufa
College of Arts
Department of the Arabic Language

The Orations of the Alawid Household's Women Descendants till the End of the First Century of the Hegira

**A Thesis Submitted to
The Council of the College of Arts \ University of Kufa**

**By
Zainab Abdullah Kadhim Al-Mousawi**

**In Partial Fulfillment of the Requirements for the Master
Degree in the Arabic Language and its Literature**

**Supervised by
Asst. Prof. Dr. Raheem Khureibet Attiya Al-Sa'idi**

1429A.H.

2008 A.D.